أرنالدور أندريداسون

ARNALDUR INDRIĐASON

بيعت 14 مليون نسخة من رواياته وترجمت إلى 40 لغة عالمية







الدار العربية للعلوم ناشرون

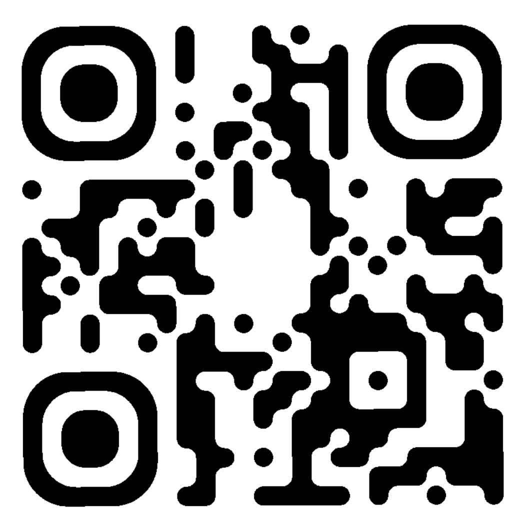
Arab Scientific Publishers, Inc.

قاتل الظل

THE SHADOW KILLER

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

انقر هنا .. اتبع الرابط



telegram @soramnqraa

THE SHADOW KILLER
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
Forlagið, Bræðraborgarstig 7, 101 Reykjavík, Iceland
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون

Title of the original Icelandic edition **þýska húsið**
Published by agreement with Forlagid Publishing, www.forlagid.is

تم ترجمة هذا الكتاب بدعم مالي من:
This Book has been translated with a financial support from:



ICELANDIC LITERATURE CENTER

الطبعة الأولى: أيار/مايو 2023م - 1444هـ

ردمك 978-614-01-3611-3

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

إصدار
الدار العربية للعلوم ناشرون م م ح

التوزيع في المملكة العربية السعودية
دار إقــراء للــنــشــر

مركز الأعمال، مدينة الشارقة للنشر
المنطقة الحرة، الشارقة
الإمارات العربية المتحدة
جوال: 585597200 971+ - داخلي: 0585597200
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

قاتل الظل

THE SHADOW KILLER



أرنالدور أندريداسون

ARNALDUR INDRIĐASON

ترجمة من الأيسلندية
فيكتوريا كريب

تعريب إسماعيل كاظم

مراجعة وتحرير
مركز التعريب والبرمجة



1

ناورت سود بحذر حول البوارج وكاسحات الألغام في طريقها إلى ميناء ريكيافيك قبل أن تركن بمحاذاة الكواسر. بعد قليل نزل الركاب، واحداً تلو الآخر. لقد ترنّح العديد منهم، وبدوا مسرورين عندما شعروا بأنّ أقدامهم تخطو على أرض صلبة. كانت الرحلة هادئة وخالية من حوادث تُذكر حتى وصلوا خليج فاكسافلوي حيث هبت رياح جنوبية غربية، وحملت معها وابلاً من الأمطار، فتأرجحت السفينة بشدة، وهرب معظم الركاب إلى الطوابق السفلى التي شهدت اكتظاظاً، وعبقت برائحة الثياب الرطبة. أصيب كثير من الركاب بدوار البحر في القسم الأخير من الرحلة، وكان إيفيندور واحداً منهم.

صعد إيفيندور على متن السفينة في إسافيوردر، مصطحباً حقيبتيه المهترئتين ونام معظم الرحلة؛ فقد شعر بالتعب بعد أن تنقل لفترة طويلة بين قرى إقليم المضايق ومزارعه، احتوت الحقيبتان على علب لمواد التلميع: ميلتونيان للأحذية وبوليفلور للمفروشات، بالإضافة إلى مجموعة أوانٍ للمائدة استوردها تاجر جملة من هولندا قبل الحرب تماماً.

نجح إيفيندور في الترويج لمواد تلميع الأحذية والمفروشات، ولكن محاولاته في الترويج لأدوات المائدة الهولندية باءت بالفشل، فلم تكن هناك سوق لمثل هذه البضاعة في تلك الأوقات العصيبة. لم يحب الترويج لأدوات المائدة، لذا لم يزر جميع الزبائن الذين تعوّد زيارتهم، ولسبب ما لم يستطع أن يستحضر قواه على الإقناع التي كانت أساسية لكل من يعمل في هذه المهنة لذا عاد مع طلبات شراء قليلة. لقد شعر إيفيندور بتأنيب الضمير لأنه كان

يستطيع بذل جهد أكبر، وأدرك أن الطلبات القليلة التي ضمنها لن تخفض كثيراً من المخزون الكبير لتجار الجملة.

عندما غادر ريكيافيك قبل أسبوعين كان متوتراً، فقد كان هذا أحد الأسباب التي جعلت رحلته لا تسير كما هو مخطّط لها. قبل لحظات من مغادرته، اتّهم فيرا بطريقته الفظّة المعتادة، وهذا ما أدّى إلى تشاجرهما، وهذا ما ترك أثراً عليه طوال الرحلة. لقد كان ردّ فعل فيرا حاداً، فقد شتمته بأبشع الشتائم، وما لبث أن ندم على ما اتهمها به حالما انطلقت سود من ميناء ريكيافيك. كان أمامه أسبوعان كي يندب حظّه، ويعثر على أعذار تبرر تصرفه. لم يقتنع أنه مذنب، ولكن ثورتها بدت صادقة حين قالت إنها لا تستطيع تصديق أنه وجّه لها مثل هذا الاتهام. لقد أجهشت بالبكاء، وحبست نفسها في غرفة النوم، ورفضت التحدث إليه. ولأنه خشي أن تفوته الرحلة جمع حقيبتي مواد التلميع وأدوات المائدة، وغادر متمنياً أن يعمل في مهنة أخرى لا تجبره على الغياب عن منزله لفترات طويلة بحيث لا يُتاح الوقت لفيرا لتفعل ما يحلو لها.

راودته تلك الأفكار حين انطلق إلى الساحل، ومشى بسرعة كبيرة باتجاه وسط المدينة، ثمّ زاد سرعته أكثر بقدر ما أتاحت له ساقاه الثخينتان والمتعبتان. ارتدى معطفاً واقياً من المطر، وحمل حقيبة في كل يد. تساقط المطر بغزارة وتسرب من حافة قبعته وبلغ عينيه، كما تسربت عبر حذائه وبللت قدميه. وقف تحت مظلة صيدلية ريكيافيك، ونظر إلى الزاوية التي تؤدي إلى ساحة أوستورفولور؛ كانت هناك كتيبة من الجيش عند مقر البرلمان، فقد كان الأميركيون يستلمون من البريطانيين. أدت شاحنات رعاة البقر، وسيارات الجيب الخاصة بالجيش، والمدفعيات، وأكياس الرمل، وكل حواجز الاحتلال العسكري، إلى ازدحام المدينة التي لم تعد كسابق عهدها.

في بعض الأحيان، كانت فيرا تنتظره في الميناء، وكانا يعودان سيراً على

الأقـدام إلـى المنـزل، وعندهـا تُخبـره عما فعلته في غيابـه. وكان يحدثها عن رحلته الأخيرة، وعن الشخصيات التي قابلها، والمؤن التي جلبها. اعترف أنه لا يعرف كم سـيبقى في هذا العمل، فهو لـم يكن مناسـباً لوظيفة بائع جوال. إنـه لا يُحـب الثرثـرة وهي صفة أساسـية يجـب أن يتصف بها من يعملون في هذا المجال، أضف إلى ذلك أنه لـم يكن اجتماعياً بخلاف فيلكس الذي كان يفيض ثقة بالنفس.

وهذا ينطبق أيضاً على رانكي الذي كان يسافر هو الآخر على متن سود وحقائبه مليئة بالقبعات من لوتون. غبط إيفيندور زميله رانكي الذي كان واثقاً من نفسه، لا بل مغروراً، وهو لـم يجد صعوبة في الاستحواذ على انتباه الناس. لقـد خُلـق ليعمـل في هذه المهنة، ففي الوقت الذي تلعثم فيه إيفيندور ليروّج لأدوات المائدة الهولندية كان الجميع يتهافتون لرؤية قبعات رانكي الجديدة، ظناً منهم أنهم يحصلون على صفقة جديدة.

عندمـا نفـد صبـر إيفينـدور ولـم يتحسـن الطقس، حمـل حقائبه، وأحنى رأسـه، وركـض ليتجـاوز السـاحة فلفحت الريـاح وجهه وانهمـر المطر على رأسـه. كان مطـر أواخـر الصيف بارداً، وشـكّل مظلة منخفضـة فوق المدينة. كان يعيـش مـع فيـرا فـي أقصـى الغرب في شـقة صغيرة تعـود ملكيتها لعمه؛ فـي تلـك الأيـام كانت بـدلات الإيجار خيالية لأن النـاس كانوا يهاجرون من الأريـاف إلـى المدن وخصوصاً ريكيافيـك حيث أغرتهم فكرة العمل لصالح الجيـش مـن أجـل المال وتأمين حياة أفضـل. امتلك عمه الثري عدة عقارات فـي المدينـة وتقاضـى من إيفيندور إيجـاراً منخفضاً، ومع هذا وجده إيفيندور مرتفعـاً. ولطالمـا طالـب بتمديـد مهلة الدفع، فقد حالت قلة ثقته بنفسـه دون نجاحه في جني ما يكفي من المال.

تقع الشقة في الطابق الأرضي من مبنى إسمنتي مؤلف من ثلاثة طوابق، فتح الباب الأمامي ثمّ باب الشقة قبل أن يسرع في إحضار حقيبتيه من الخارج،

وبينما كان يفعل ذلك نادى حبيبته التي توقّع أنها تنتظره في الداخل.

«فيرا؟ عزيزتي فيرا؟».

لم يسـمع جواباً، أغلق الباب وأنار المصابيح والتقط أنفاسـه، لم يبحث فـي الشـقة فقـد بـدا جليـاً أنها غير موجودة؛ لا بد أنهـا خرجت وهذا يعني أن عليـه انتظارهـا كي يتوسّـلها لتسـامحه على ما اتهمها بـه. كان يتدرّب على ما سيقوله؛ فقد كان مصراً على أن يسوي الأمور.

كان الماء يقطر من ثيابه القديمة، لذا نزع قبعته وفرد معطفه على كرسي في غرفة المعيشة، وعلّق سترته في الخزانة قرب الباب. فتح إحدى الحقيبتين، وتناول رطلاً من القهوة اسـتطاع الحصول عليه في إقليم المضايق، وأمل أن يكـون هـذا مفاجأة سـارة لفيـرا. عندما همّ دخول المطبـخ توقف لبرهة، كان هناك شيء غير صحيح.

اسـتدار إيفيندور، وفتح الخزانة مجدّداً، كانت سـترته معلّقة قرب سـترة أطـول لـه ومعطـف آخـر، إن مـا أوقفه هو مـا كان مفقوداً: لقـد اختفت ثياب فيـرا! لـم يجـد الحـذاء، الذي اعتادت أن تضعه أسـفل الخزانة، ولا معطفيها. حدّق لبرهة إلى الخزانة ثمّ توجّه إلى غرفة النوم، حيث هناك خزانة أكبر فيها أدراج للجوارب والثياب الداخلية ومشجب لتعليق الفساتين والسترات، فتح إيفيندور الخزانة ثمّ فتح الأدراج فرأى أن ثياب فيرا قد اختفت. ما زالت ثيابه في مكانها، ولكن لم يعد هناك أي ملابس نسائية.

لـم يُصـدق مـا رأتـه عيناه، لم يكن مركّزاً عندما توجّـه إلى منضدة الزينة الخاصة بفيرا، إذ تكرر المشهد نفسه. هل هجرته؟ هل غادرت المنزل؟

جلس على السرير، وتذكر ما قاله رانكي عن فيرا، ولم يظن أن إيفيندور سيسمعه، لقد التقيا، يوم استقل السفينة إلى إقليم المضايق، في مطعم، وكان هـذا مطعمـاً يرتـاده الجنود. كان رانكي برفقة صديقه، وكانا يتناولان السـمك

والبطاطا المقرمشة وحالما تأكد أن إيفيندور لن يستطيع سماعه قال ما قاله عن فيرا.

كانت كذبة لا تُصدق، وكان عليه أن يذهب ويجعل ذلك الوغد يندم على التفوه بها.

لقد أغضبت تلك الكذبة فيرا وآلمتها حين واجهها فيها بغبائه.

حدق إيفيندور في الأدراج الفارغة، وضرب السرير بقبضته. كان خائفاً من هذا في أعماقه، ولم يعد واثقاً في أن تعليق رانكي كان كذبة لا تُصدق، وأنه أقحم فيرا في الموقف على سبيل الخطأ.

كان هناك الهراء الذي تفوّه به زميله القديم والواشي القذر فيلكس حين التقيا في إسافيوردر. هل كان صحيحاً؟ كل تلك الأمور بخصوص المدرسة وتلك التجارب، أو أنه أراد إذلال إيفيندور لأنه كان ثملاً ووقحاً، كما كان في تلك الأيام التي ظن فيها إيفيندور بغباء أنهما كانا صديقين؟

2

تفحّص فلوفينت الشقة، ولكنه لم يرَ إشارات على حدوث عراك مع أن ما رآه أظهر له العنف بأشنع صوره؛ فقد تمددت على الأرض جثة رجل أُطلقت على رأسه رصاصة. بدا الأمر وكأنه حكم إعدام نظامي، فلم يظهر دليل على أن الضحية حاولت الهرب. لم تكن هناك أيّ كراس مقلوبة أو طاولات حُركت من مكانها، وكانت الصور معلقة بشكل مثالي على الجدران، والنوافذ سليمة ومغلقة بإحكام وكذلك الباب، لذا استبعد أمر الاقتحام. لا بد أن الرجل الممددة جثته على الأرض والذي ثقبت رصاصة مؤخرة رأسه قد فتح الباب لقاتله أو تركه مفتوحاً ولم يدرك أن هذا سيكون آخر شيء سيفعله في حياته. بدا الأمر وكأن القتيل قد وصل لتوه حين حصل الاعتداء، فهو ما زال مرتدياً معطفه ويمسك بمفتاح الباب الأمامي بيده، وللوهلة الأولى لم يستطع فلوفينت أن يميز إن كان هناك شيء مسروق أم لا، لا بد أن الزائر قد أتى إلى هنا بنية القتل ونفّذ ما أتى لأجله بوحشية. ذُهل أحد الشرطيين اللذين وصلا أولاً، فتقيأ، وتقيأ في غرفة المعيشة، أما الآخر فقد وقف في الخارج ورفض العودة إلى مسرح الجريمة.

في البدء، أبعد فلوفينت الذين لم يكن لهم علاقة مباشرة بالتحقيق: الشرطي الذي تقيأ في مسرح الجريمة، والشاهد الذي بلّغ عن الجريمة، والجيران الفضوليين الذين لم يستطيعوا البت في أنهم سمعوا إطلاق نار حين أبلغوا عن الواقعة. لم يبقَ في الداخل سوى فلوفينت وطبيب المنطقة الشرعي الذي أتى ليتحقق من موت الرجل.

قال الطبيب وهو رجل قصير ونحيل وقد كزّ بأسنانه على غليون لم يبرح فمه إلا نادراً: «لقد مات على الفور، كانت الطلقة قريبة جداً لدرجة أنه كان لديها اتجاه وحيد لتسلكه». نفث الدخان مع كل كلمة، وأضاف: «خرجت الطلقة من عينه هنا وهذا ما سبب فوضى عارمة»، وعاين بركة الدماء التي غطت ألواح الأرضية. خطا أحد الشرطيين بشكل أرعن على بركة الدماء، فانزلق وكاد يقع، كانت خطوته واضحة على الدماء. تناثرت بعض قطرات الدم على الأثاث والجدران، وكانت هناك قطع من الدماغ على الستائر. لقد أطلق القاتل الرصاصة عبر وسادة سميكة لكتم الصوت ثمّ ألقاها مجدداً على الأريكة، لقد كانت الجهة الأمامية لوجه الضحية متشظية.

ركّز فلوفينت على محاولة تذكر بروتوكول معاينة موقع جريمة. لا تحصل جرائم القتل كل يوم في ريكيافيك، وكان جديداً نسبياً على هذا العمل، لذا لم يرد أن يرتكب أيّ أخطاء، وهو الذي لم يمر على عمله في قسم ريكيافيك للتحقيق الجنائي سوى بضع سنوات، ولكنه خدم ستة أشهر في قسم إيدينبورغ للتحقيق الجنائي حيث تعلم أشياء كثيرة عن نظرية التحقيق وآليته، بدا أن القتيل في العشرينات من عمره، وكان خفيف الشعر رث الثياب وينتعل حذاء خفيفاً. وبدا أنه أُرغم على أن يجثو على ركبتيه ثمّ سقط إلى الأمام حين أصيب بالطلقة. إنّها طلقة واحدة أصابته بِمقتل، ولكن لسبب ما لم يكن هذا كافياً. فبعد عملية الإعدام وضع القاتل إصبعاً في الجرح ولطخ جبهة الرجل المقتول بالدم. ما الذي دفعه لفعل ذلك؟ هل كانت هذه إشارة ما؟ أو تعقيباً عده الجاني مهماً، ولكن فلوفينت لم يفهمه؟ هل كان هذا تبريراً؟ أو شرحاً؟ أو تغييراً في الرأي؟ أو ندماً؟ أو كل ما سبق معاً؟ أو لا شيء منه؟ أو تحدياً هدفه إثبات أن الفاعل لم يشعر بالندم؟ أشاح فلوفينت بوجهه، ولم تعنِ له الإشارة المرسومة بشكل أخرق شيئاً.

لم تخبئ الرصاصة نفسها، فقد عُثر عليها بسرعة. كانت مدفونة في لوح الأرضية. علم فلوفينت الموقع قبل أن ينتشل الرصاصة بسكين جيبه ويعاينها على راحته. لقد تعرف إلى هذا النوع فهو مُهتم بعلم المقذوفات بشكل خاص ولديه إلمام به. كان هذا أحد أهم التطورات في الاستدلال الجنائي، وكان متحمساً لينشره في آيسلندا، بالإضافة إلى علم البصمات وتصوير الضحايا ومسارح الجرائم الكبيرة، وعند الضرورة كان يستعين بمصور يمتلك استديو في المدينة. وخطوة تلو أخرى كان قسمه يطوّر أرشيفاً، ولكنه لا يزال بدائياً وناقصاً.

قال الطبيب بعد أن أبعد غليونه لبرهة: «لا بد أن الشخص الذي أطلق الرصاصة أمسك السلاح على بعد ذراع من الضحية». ثمّ وضع الغليون مجدداً بين أسنانه «لذا لا بد من أنك ستكوّن صورة لا بأس بها عن طوله».

قال فلوفينت: «أجل، كنت أتساءل عن هذا الأمر، لا يمكننا البت بأن القاتل رجل، فربما تكون امرأة».

«لست واثقاً، هل ستستطيع امرأة فعل ذلك؟ أشك في هذا بطريقة أو بأخرى».

«لا يمكن أن أنفي الاحتمال».

قال الطبيب: «من الواضح أنه كان إعداماً، لم يسبق لي أن رأيت شيئاً كهذا؛ لقد أجبر على الركوع في منزله ثمّ أطلقت النار عليه وكأنه كلب، لا بد أن القاتل وغد ليفعل شيئاً كهذا بدم بارد».

«ماذا عن تلطيخ وجهه بالدماء؟».

«لا أعرف ماذا يعني هذا».

«برأيك متى حصلت جريمة القتل؟».

قال الطبيب وهو ينظر إلى الدم المتخثّر على الأرض: «منذ وقت ليس

ببعيد، أي منذ اثنتي عشرة ساعة تقريباً، إن تشريح الجثة سيعطينا تقديراً أدق».

قال فلوفينت: «يعني مساء أمس؟».

في هذه المرحلة وصل المصور ومعه سلّم ثلاثي القوائم وكاميرا التصوير الفوري التي اشتراها قبل الحرب. وبعد أن سلّم على فلوفينت والطبيب وعاين المكان على مضض، باشر العمل بمهنية؛ ثبّت السلم ثمّ تناول الآلة من علبتها ووضعها في مكانها، ثمّ وضع حمّالة الأفلام في الخلف. كل حمالة كانت تتسع لفيلمين. لقد زوّد المصور نفسه بعدة حمالات وعدة مصابيح وميضية إضافية.

سأل: «كم لقطة تريد؟».

قال فلوفينت: «التقط عدة صور».

سأل المصور حين توقف ليبدل حاملة الأفلام: «هل الفاعل جندي؟». ثمّ ثبت الكاميرا على السلّم ثلاثي القوائم مجدداً وغيّر المصباح.

«ما الذي جعلك تقول ذلك؟».

«ألا يشبه عمل جندي؟». كان المصور رجلاً زاهداً يبلغ من العمر ستين عاماً، لم يسبق لفلوفينت أن رآه مبتسماً.

بدا فلوفينت مشتتاً عندما قال: «ربما». كان يبحث عن دلائل تكشف هوية القاتل: أي دليل تركه خلفه كبصمات أصابعه أو قطعة ثياب أو رماد سيجارة. بدا أن المستأجر كان في المطبخ يعد لنفسه وجبة خفيفة؛ كانت هناك شطيرة جبنة على الطاولة، وإلى جانبها كوب من الشاي لم يشرب منه كثيراً. بحث فلوفينت في جيب الضحية عن محفظته، ولكنه لم يعثر عليها هناك أو في أي مكان آخر في الشقة.

قال المصور: «لا أظن أن أحداً سوى جندي يستطيع أن يقتل بمثل هذه الاحترافية».

لقد كانت الغرفة منارة إلى حدّ ما بمصباحه ثمّ نقل الكاميرا الثقيلة بصعوبة إلى موقع آخر وأدخل فيلماً جديداً.

قال فلوفينت: «ربما، لا يمكنني البت بهذا، لعلك تعرف أكثر مني».

تابع المصور بتأمل: «لعله ضابط؟ أو شخص في موقع سلطة؟ تبدو الجريمة إعداماً؟ إنها تشي بشيء من التعجرف».

علّق الطبيب بعد أن أخفض غليونه: «يبدو أنكما تفكران في منحيين مختلفين، يعتقد فلوفينت أن الفاعل امرأة».

قال المصور بحزم بعد أن عاين الجثة الممددة على الأرض لوهلة قبل أن يلتقط صورة أخرى: «لا، لا أظن ذلك».

قال فلوفينت: «لعله قُتل بدافع السرقة، لم أعثر على محفظته».

أثناء معاينة الشقة استنتج أن الرجل يعيش بمفرده؛ كانت شقة تناسب رجل أعزب، فهي صغيرة وبسيطة وخالية تقريباً من الزينة، ولكنها نظيفة ومرتبة. كانت الوسادة التي استخدمت لكتم صوت المسدس الشيء الوحيد النافر فيها، عدا ذلك بدا الأثاث بسيطاً وقديماً: أريكة كبيرة وأريكة مفردة بالإضافة إلى كرسيين خشبيين في المطبخ، وعلى الأريكة كان هنالك حقيبة مفتوحة تحتوي على قبعات، ومسحوق التنظيف ليدو، وبضع علب من معجون أسنان كولينوس. كانت البضائع ملطخة بالدماء.

أنار المصباح مسرح الجريمة المروعة للمرة الأخيرة، قبل أن يبدأ المصور بتوضيب معداته. توقف الطبيب عند الباب ليعيد إشعال غليونه، ونظر فلوفينت مجدداً إلى الجثة الممددة على الأرض ولم يفهم سبب كراهية القاتل، وغضبه، وعدم رحمته.

سأل: «هل التقطت صوراً للعلامة على جبهته؟».

«أجل، ماذا تعني؟».

أجاب فلوفينت: «لا أعرف». بعد فحصه الأولي للضحية تجنب النظر إلى وجه الرجل المتشظي «لم أفهمها، لم أستطع تفسير معناها أو السبب الذي يدفع أحداً لتلطيخ جبهة قتيل بالدماء بهذه الطريقة؟».

سأل المصور وهو يغادر: «هل تعرّفت إليه؟».

«أجل، لقد أخبرتني مالكة المنزل باسمه، كما أن هنالك فواتير باسمه».

«من هو؟».

قال فلوفينت: «لم يسبق لي أن التقيته، اسمه فيلكس، فيلكس لاندين».

3

عثرت امرأة خمسينية تدعى أولافيا على الجثة. نزلت لتذكر الرجل بدفع الإيجار، فرأت ما وصفته بالمشـهد الشـنيع. كان يُفترض به دفع الإيجار أول الشـهر، ولـم يسـبق لـه أن تأخر. ذكـرت أنها لم تره منذ فتـرة، ولكنه تعود أن يغيب بين الحين والآخر لأسـبوع أو أسـبوعين. كانت في طريقها إلى القبو، وكانـت علـى وشـك أن تطـرق بابه حين لاحظت أنه مـوارب، ولم يرد عليها عندما نادت اسمه. لذا، دخلت الشقة بعد تردد لتطمئن عليه، ولتسأله لِمَ تأخر في دفع الإيجار.

وضّحت أولافيا قائلة: «نزلت لأنني كنت قلقة عليه»، وكأنها كانت خائفة مـن أن يشـك بدافعهـا وبفضولهـا. «في اللحظة التي دخلـتُ فيها رأيته ممدداً على الأرض، بدا الأمر فظيعاً، فظيعاً للغاية... لقد شهقت، ولأكون صريحة، لقد صرخت وهربت وأغلقت الباب خلفي. كان الأمر برمته أشـبه بكابوس، كابوس مروّع».

«هل أفهم أنك وجدت الباب مفتوحاً؟».

«نعـم، واسـتغربت الأمـر؛ فهـو تعـوّد أن يبقيـه مقفلاً. فـي الحقيقة، لقد أخبرني أنه يريد تبديل القفل لأنه قديم ويسهل خلعه. لعله كان محقاً، ولكننا لا نكتـرث لإقفـال أبوابنـا حالنـا كحـال معظم سـكان المدينة، لـم نتعود هذا الأمر. أعتقد أن هذه عادات بلدنا القديمة التي لم تواكب العصر، ولم تواكب الأحوال التي تسود في هذه الأيام».

«هل أنت الوحيدة التي تملكين مفتاحاً لشقته؟».

«أستميحك عذراً؟».

«أين تحتفظين بمفتاحك؟».

«مفتاحـي؟ أتمنـى أنـك لا تتهمنـي بشـيء، يـا لوقاحتك!»، بـدت المرأة غاضبة.

قال فلوفينت: «كلا يا سيدتي، بالطبع لا، أريد أن أعرف ببساطة من كان بوسـعه أن يدخل إلى الشـقة في الأربع والعشـرين سـاعة الأخيرة، هذا كل ما في الأمر. هل يُحتمل أن شـخصاً آخر أخذ مفتاحك واسـتخدمه للدخول إلى الشـقة، ثـمّ أعـاده وجلس منتظراً عـودة الرجل وهاجمه عندما دخل؟ أو خلع القفل كما ذكرت؟ لا بد من أن الجريمة وقعت مساء أمس».

بدا الشك في عيني أولافيا ولكنها قالت بحزم: «لا يمكن لأحد أن يأخذ مفتاحي لأنه مع فيلكس، لقد اسـتعار مفتاحي الإضافي ليحصل على نسـخة منه، وقال لي إنه أضاع مفتاحه. لعل هذا هو السبب الذي جعله يتحدث عن تبديل القفل».

«هل رأيت فيلكس مساء أمس؟».

«لا، أبداً».

«ولم تسمعي أصواتاً من شقته؟».

«لا، لم أسـمع شـيئاً، لقد نمت في تمام السـاعة العاشـرة كالعادة وهذه حال معظم سكان هذا المبنى، أحبذ أن تكون ساعات المستأجرين منظمة».

«هل استأجر فيلكس هذا المنزل منذ وقت طويل؟».

«لا، لقـد سـألني عـن الشـقة منـذ سـتة أشـهر، كان علـيّ أن أتخلص من المسـتأجرين السـابقين: رجـل سـكير أخـرق وزوجتـه، لـم يجلبـا لي سـوى المشاكل، لا أتسامح مع هذه التصرفات».

«قلت إن فيلكس كان يغيب عادة لأسبوع أو أسبوعين، لماذا؟».

«لأنه بائع متجول تعود الذهاب في رحلات دورية خارج المدينة».

«ولم يسبق له أن تأخّر في دفع الإيجار؟».

«صحيح، ولكنه تأخّر أسبوعاً هذه المرة، وأردت مالي».

أما جارا الرجل وهما زوجان في الثلاثينات من العمر ويسكنان الشقة فوقه، فقالا إنهما لم يلحظا شيئاً أو يسمعا أي أصوات عالية ليلة أمس، فقد كانا يغطان بسبات عميق. إنهما يسكنان في مبنى أولافيا منذ سنتين وهذا يعني أنهما يقطنان هنا قبل فترة من جارهما القتيل. لم يعرفاه حق المعرفة ولكنهما اتفقا على أنه كان رجلاً مرحاً ودمث الأخلاق، كما هو متوقع من رجل يعمل في التجارة. لم يعرفا إن كان متورطاً مع أحد، ولم يتخيلا ما حصل له، وقد فاجأتهما الوحشية التي قُتل بها.

قالت المرأة وهي تنظر بتوتر إلى فلوفينت: «لا أعرف إن كان بوسعي أن أنام في هذا المنزل اليوم». وحالما سمعت أن جارها قد قُتل اتصلت بزوجها الذي يعمل مراقباً لصالح البريطانيين فعاد باكراً إلى المنزل.

طمأنها فلوفينت وقال: «لا أعتقد أن أحداً في هذا المبنى معرض للخطر».

سألت المرأة: «من يستطيع أن يطلق النار على رأس رجل بهذه الطريقة؟».

لم يمتلك فلوفينت إجابة عن سؤالها، بل سألها: «هل كانت لديه أيّ تعاملات مع الجيش؟ هل سبق لك أن رأيت جنوداً برفقته؟ هل زاره أي منهم على حد علمك؟».

قالت المرأة: «لا، لا أعتقد هذا، لم أرَ جنوداً قرب شقته».

وافقها الرجل الرأي. وبعد أن طرح فلوفينت عليهما بعض الأسئلة شكرهما على وقتهما، ثمّ ذهب وطرق على باب ثالث المستأجرين وكانا عبارة عن مُسنين وقد استأجرا هذه الشقة من أولافيا منذ وفاة زوجها. أخبراه دون أن يسألهما أن زوجها قد غرق في شبه الجزيرة الجنوبية في آيسلندا إثر عاصفة.

لم يسمع أي منهما صوت مسدس حيث كانا نائمين في الوقت الذي أخبرهما فيه فلوفينت أنه يظن أن الرصاصة قد أُطلقت فيه، لم يستطيعا أن يخبراه مزيداً عن فيلكس لاندين، فهو لم يسكن هنا منذ وقت طويل ولم يسبب أيّ متاعب ولم يستقبل أياً من الزوار أو يقم أيّ حفلات، ولا يبدو أنه كان يحظى بكثير من الأصدقاء، ولا يعرفان إن كانت لديه صديقة، وفي حال كانت لديه صديقة فلم يرياها تزوره، لم يعرفا شيئاً عن وضعه العائلي.

سأل فلوفينت: «هل تعرفان إن كانت لديه علاقات مع الجيش؟».

«لا، هل تسأل إن كان يعمل لصالح الجيش؟».

«نعم، وإن كان يعرف أياً من الجنود؟».

قالت المرأة: «لا،... ليس على حد علمنا».

جلس فلوفينت مع المسنين قليلاً قبل أن يعود إلى شقة فيلكس لاندين. لقد نُقلت الجثة إلى مشرحة المستشفى الوطني، وغادر طبيب المنطقة الشرعي والمصور، وبقي شرطي يرتدي الزي الرسمي يحرس الباب كي لا يسمح لأحد بدخول الشقة. كان فلوفينت المحقق الوحيد الذي يعمل لصالح قسم التحقيق الجنائي في ريكيافيك، لأن زملاءه عينوا منذ بدء الحرب في مناصب أخرى أهم، ولكنه فكّر في الاتصال ببعضهم كي يعاونوه في هذه القضية، التي بدت معقدة وصعبة.

عاين لطخات الدم على أرضية غرفة المعيشة، ثمّ عاين الرصاصة التي كانت مدفونة في لوح الأرضية. حرّكها في راحته ثمّ التقطها بين أصابعه ووجهها نحو الضوء. كل مسدس يترك علامات مميزة متفردة على الرصاصة مثل البصمة، وإذا عثر على المسدس سيعرف إن كان هو السلاح المستخدم في الجريمة أو لا، عن طريق مقارنة العلامات التي تركها المسدس على الرصاصة.

تعرف إلى عيار الرصاصة، إنها عيار 0.45 كولت وهو السلاح الفردي الذي يُسلح به الجنود الأميركيون. إن سؤاله للجيران إن رأوا فيلكس لاندين بصحبة جنود أميركيين لم يكن من فراغ، فالمعطيات تشير إلى أنه قتل على يد شخص له علاقة بالجيش، وكانت الرسالة واضحة: لم يستحق فيلكس شيئاً سوى الإعدام بدم بارد.

4

سـارت الطائرة صوب نهاية المدرج، ثم انعطفت واسـتعدت للانطلاق. أما ثورسون الذي كان يقود خلفها بسرعة البرق فلم يجد أمامه وسيلة سوى اعتـراض طريقهـا. لـم ينـوِ تضييع أي وقت على الفنان إن كان بوسـعه تفادي ذلك.

أخيراً ظهر الرجل بعد أن أبلغت عنه مُسنة تعيش في أولدوغاتا للشرطة، التـي أمضـت النهـار في البحث عنـه. في البدء عندما عثرت على الرجل نائماً على الدرج خارج منزلها حسبته متسولاً، ولكن لم يسبق لها أن رأت متسولاً بأناقتـه. وحيـن عاينتـه أيقنـت أنه أجنبي وكان هنا مـع الجيش، ولكنه لم يكن يرتدي بذلة. وحين أبلغتها الشرطة أنه مغنٍ أميركي فُقد في المدينة وأنّه سكير، ضحكت وقالت إنها لو عرفت حقيقة هويته كانت ستدعوه إلى منزلها.

لقد أهدر ثورسون يومه بالكامل على ذلك المتعب وكل هذا ليضعه على متن طائرة ويرسله إلى دياره. كان الفنان من نيويورك، وصل إلى آيسلندا منذ أسبوع مع مجموعة من أصدقائه الريفيين للترفيه عن الجنود. كان ثملاً طيلة الفترة التي أمضاها هنا، وهذا ما أوقعه بمتاعب جمة.

تورّط ثورسـون في هذه المشـاكل عندما ضُرب الرجل لأنه أهان بعض الجنود بعد أن أنهى عرضه وكان ثملاً. استدعيت الشرطة العسكرية الأميركية، ودوّن ثورسون شهادة الرجل حين اصطُحب إلى جناح المرضى لتنظيفه قبل إرسـاله إلـى فنـدق الجزيـرة حيث كان يقيم جميـع الفنانين. لم يملك المغني فكرة عن هوية المعتدين عليه، ولم يكن هناك أي شهود، لم يتذكر سوى أنهم

كانوا ثلاثة علقوا على خطأ في غنائه فوصفهم بالبدائيين. وقعت الحادثة خلف الثكنات الكبيرة حيث كانت تقام عروض راقصة للفرق العسكرية، ولم يخرج المغني سليماً منها. كانت شفته مشقوقة وعينه سوداء وكان جانبه يؤلمه لأنه رُكل على أضلاعه. بعد يومين وعندما توجب على جميع الفنانين أن يعودوا إلى الوطن تخلف ولم يأتِ إلى المطار، فكُلف ثورسون بالعثور عليه وإرغامه على أن يستقل الطائرة مهما تكن الظروف. لم يكن المغني في الفندق ولم يحزم حقائبه، وكانت الفوضى تعم غرفته وكأن قنبلة انفجرت داخلها حيث كانت الثياب والزجاجات الفارغة وأوراق النوتات الموسيقية متناثرة في كل مكان. اكتشف ثورسون أنه كان يلعب البوكر في المطبخ مع الطباخين حتّى الفجر، وقال أحدهم لثورسون إن الرجل كان يثرثر بخصوص التعادل مع بعض الأوغاد، وإنه رآه آخر مرة فجراً وهو يتجه إلى الميناء.

سأل ثورسون: «هل كان جيداً في لعب البوكر؟».

قال الطباخ النعس بإنصاف: «لقد شلحنا ثيابنا».

اتصل ثورسون بالمطار، وأخذ وعداً منهم بألا تقلع الطائرة إلا عندما يصعد المغني، بعدها اتصل ببعض زملائه في شرطة العاصمة كي يساعدوه في البحث عنه، ومسحوا المدينة وتحققوا من جميع فتحات الصرف ومنازل الضيافة وحتى الحدائق، كما أعلم الشرطة الآيسلندية في حال سمعوا شيئاً عن مكانه. لم يمكث المغني في ريكيافيك كثيراً كي يكون لديه أماكن معتادة، لذا لم تكن هناك معلومات كافية عن تحركاته. لقد عُثر على شخص يشبهه يحاول اختلاس زجاجة برينيفين في نزل البحارة الذي كان يديره جيش الخلاص، أما الزبائن الذين كانوا يقفون خارج مطعم السيدة مارتا بيورنسون في هافناستريتي فقد أبلغوا عن أميركي يمشي مترنحاً صوب النهاية الغربية، وأبلغت امرأة ترتدي الزي الآيسلندي التقليدي أن أجنبياً تودد إليها بالقرب من وايت ستار وهي حانة ليلية في لوغافيغور

وعرض عليها مالاً لتمارس الجنس معه. لقد شاع حدوث تلك الحوادث منذ أن أطلق أحدهم شائعة مفادها أن النساء اللواتي يرتدين الزي الآيسلندي التقليدي كن بائعات هوى.

أبلغت عنه السيدة في أولدوغاتا عند الظهر، وسُلِّم المغني إلى ثورسون الذي أخذه بسرعة البرق إلى فندقه ليجمع أشياءه، ثمّ قاده إلى مطار ريكيافيك حين عرف أن صبر الطيار قد نفد. كانت الطائرة على وشك الإقلاع، ولم يهدر ثورسون الوقت فقد ضغط على دواسة البنزين وانطلق على المدرج، وبحلول هذا الوقت كان الفنان قد استوعب فكرة أن طائرته على وشك الإقلاع، وأنه قد يظل عالقاً في هذه الجزيرة البعيدة. وقف في سيارة الجيب ولوّح بيديه وصرخ بصوته الأجش كي يجعل الطائرة تتوقف.

كان الطيار يراقب وصولهما، وبدا لوهلة أنه سيتجاهلهما، ثمّ لوح بيديه وانتظر إلى أن وصل ثورسون، كان صوت المراوح عالياً للغاية، فُتح باب في بدن الطائرة وقفز المغني من الجيب وأمسك بحقيبته وكان على وشك أن يركض إلى الطائرة حين تذكر منقذه، استدار باتجاه ثومسون، ووقف بشكل معتدل وحياه ثمّ ركب الطائرة. تنهد ثومسون وأبعد الجيب عن الطريق وراقب الطائرة وهي تتحرك على المدرج قبل أن تقلع في الهواء وتختفي غرباً.

في طريقه إلى المطار، حاول ثورسون أن يعرف كيف انتهى المطاف بالمغني على درج منزل في أولدوغاتا. أما الرجل الذي بالكاد تذكر أنه سبق له أن قابل ثومسون فقال إنه لا يعرف كيف وصل إلى هناك ولماذا نام على الدرج. ولكن بعض النساء اقتربن منه في فندق الجزيرة وأعطته إحداهن عنواناً ولعله كان يحاول البحث على ذلك العنوان.

علّق ثورسون وهو يعاين الرجل: «لقد كنت مشغولاً على الأقل في إقامتك ضمن آيسلندا». كان المغني أميركياً من أصول إيطالية: شعر غامق وبشرة سمراء، وحين ابتسم أظهر أسناناً ناصعة البياض.

سأله عندما لاحظ أنه يُحدق إليه: «لمَ تحدّق إليّ هكذا؟».

قال ثومسون: «أعتذر لقد كنت شارداً. أعتقد أنني لم أنم جيداً في الآونة الأخيرة، إن هذا المكان يتفوق عليك بعد فترة».

قال الرجل بشكل قاطع: «إنه مكان ناء ولعين».

5

أخيراً، عندما عاد ثورسون ليمكث في لوغارنس بوينت وصلته رسالة تفيد بأن رئيسه يسأل عنه. كانت تلك المرة الأولى التي يتعاطى فيها مع الجنرال فرانكلن ويبستر الذي كان رئيس الشرطة العسكرية الأميركية في آيسلندا، وكان الجنرال يحضر اجتماعاً مهماً في بيت هوفدي وأُمر ثومسون بالذهاب إليه. استقل سيارته واتجه إلى المنزل الأبيض الجميل الذي يقع قرب البحر عند طرف المدينة تماماً، عندما أتى ثومسون إلى ريكيافيك للمرة الأولى رأى أن هذا المبنى كان أحد أهم المباني فيها، ولم يتغير رأيه، لقد كان المنزل ملكاً لشاعر مشهور وقيل إنه كان مسكوناً، وبعد وقت قصير من الاحتلال في العاشر من أيار عام 1940 اشترى البريطانيون البيت وجعلوه مقراً لسكن قنصلهم.

ركن ثومسون سيارته أمام المنزل، وأعلن عن وصوله. عرّف عن نفسه، وذكر اسم الشخص الذي يريد مقابلته فأرشد إلى غرفة انتظار، بدا أنه كان هناك تحركات كثيرة: كان هناك رجال من ذوي الرتب العليا يتحدثون بصوت منخفض مع ضباط بريطانيين أما نظراؤهم الأميركيون فقد ركضوا من غرفة إلى أخرى. وتعرف إلى وزير آيسلندي يشق طريقه عبر المنزل وصعد إلى الطابق الأول وكان معه مرافقان، لقد بدا أن هناك شيئاً مهماً، فقد عُلقت صورة كبيرة لرئيس وزراء المملكة المتحدة ونستون تشرشل على الجدار في غرفة الانتظار، وكان ثومسون ينظر إليها عندما سمع صوتاً عميقاً يخاطبه.

قال الجنرال الذي ظهر خلفه من دون أن يصدر أي صوت: «سمعت أن أحد فنانينا سبب لك بعض المشاكل».

استدار ثورسون وأدى التحية، لقد بدا القنصل الذي كان عمره ثلاثين عاماً على الأقل ودوداً إلى حد ما، ولكن ثورسون سمع من زملائه أن التعامل معه صعب.

قال ثورسون: «لقد تدبرنا الأمر يا سيدي».

«ممتاز، قيل لي إنك تتحدث الآيسلندية بطلاقة لأن والديك آيسلنديان ولكنك ترعرعت في كندا، هل هذا صحيح؟».

«نعم يا سيدي، يعتبرونني آيسلندياً غريباً كما هو متعارف عليه في وضعي. لقد هاجر والداي إلى كندا، وأنا وُلدتُ وترعرعت هناك».

«هكذا إذاً، كم مضى على مجيئك إلى آيسلندا؟».

«أرسلت إلى هنا بصفتي مترجماً يا سيدي منذ بدء الاحتلال، برفقة بعض المتطوعين الكنديين. لقد نقلوني إلى الشرطة العسكرية حالاً، وحين وصل الأميركيون هذا الصيف حوّلت إلى فيلق الشرطة التابع لك. من المفيد أن أعرف اللغة كي أحل المشاكل التي تحصل بين الفرق والسكان المحليين».

«نعم، لاحظت هذا. صادف أنني أبحث عن شخص يتحدث الآيسلندية ويفهم العادات المحلية، ويهتم بالمصالح الأميركية، هل تظن أنك شخص يتصف بهذه المواصفات؟».

قال ثورسون: «أنا أتحدث الآيسلندية يا سيدي، ولكنني لا أجزم أنني أفهم العادات المحلية».

ارتسمت ابتسامة على وجه الجنرال: «لا أعتقد أنك تعرف أشياء كثيرة عن التحقيقات الجنائية أليس كذلك؟».

«كلا، يا سيدي».

«ستتعلم بسرعة، إن الطلب قادم من شرطة ريكيافيك، وأياً يكن الأمر عليّ أن أغادر الآن، ولكن عملك يتطلب أن تبذل ما في وسعك لمساعدتهم. أعتقد أن الشرطي المسؤول عن التحقيق اسمه فلورينت أو شيء من هذا

القبيل، ستعمل معه، إنه ينتظر اتصالاً منك».

«ما نوع القضية، إن حق لي السؤال؟».

قال الجنرال: «لقد أُطلقت رصاصة على آيسلندي في شقته. إنهم يدّعون أن الرصاصة التي عثروا عليها في مسرح الجريمة أطلقت من مسدس عسكري أميركي، وهم يشكون في أن الفاعل أميركي. وإن عاد الأمر لي فسأقول إن هذا هراء، ولكن ليس بإمكاني بالطبع... أتوقع منك تقارير دورية بشأن عملية التحقق، وإذا احتجت إلى أيّ مساعدة اتصل بي، إذا تبيّن أن ما يقولونه صحيح وإذا قادت التحقيقات إلى أحد رجالنا فسنكون في وضع لا نُحسد عليه. ليس كلّ المحليين سعداء بوجودنا هنا، ضع في بالك أننا لا نريد أيّ متاعب: لقد اكتفينا منها».

غادر الجنرال غرفة الانتظار فجأة بالطريقة نفسها التي ظهر فيها، فعاود ثورسون النظر إلى صورة تشرشل الذي قطب حاجبيه في وجهه وكأنه يذكّره بصعوبة الأيام التي كانوا يعيشونها، ثمّ استدار وخرج من منزل هوفدي. وعلى الدرج مر بوزير الحكومة الآيسلندي ومرافقيه، وكانوا يتهامسون وهم واثقون أن أحداً لا يستطيع فهمهم، توقف ثورسون حين سمع اسم تشرشل.

قال الوزير الذي كان أكبر من مرافقيه بقليل: «... ولكنهم لا يعرفون بعد، وبالطبع يجب أن يتم الأمر بسرية تامة».

قال أحد المرافقين: «ليس هناك مؤشرات تدل على أنه سيأتي إلى هنا».

«ولكنهم لم ينفوا هذا الاحتمال، المعلومات قليلة حتّى الآن ولكنهم يتأملون خيراً».

رمق الرجال الثلاثة ثورسون الذي ابتسم لهم بلا مبالاة واضحة وكأنه لم يفهم كلمة مما قالوا، ثمّ تابع طريقه إلى سيارته. وحين كان في طريقه إلى المدينة تساءل إن كان ما سمعه صحيحاً، هل يخطط ونستون تشرشل لزيارة إلى آيسلندا؟

6

بحلـول الوقـت الـذي وصـل فيـه فلوفينت إلـى المشـرحة، كان الطبيب المسـؤول عـن معظـم حـالات تشـريح الجثث قد أنهى معاينتـه لجثة فيلكس لاندين. كان هناك جثتان أخريان وقد غطيتا بشرشفين أبيضين تنتظران دورهما على عربتين مجاورتين. الطبيب بالدور من سـكان شـبه جزيرة هورنسـتراندير الواقعة في الشمال الغربي، كان يعرج قليلاً حين يتحرك بسبب عدوى قديمة أصابـت إحـدى قدميـه. لقد كانت أمامه عربـة معدنية وضعت عليها مجموعة أدوات ملطخة بالدماء -مشـارط، وكلابات، ومناشـير صغيرة- مُعدة لتغوص في خفايا أعمق أقسـام جسـم الإنسـان. ذهب إلى المغسـلة المعدنية وشـرع ينظف يديه.

علّق وهو يجفف يديه بمنشـفة: «لا بد أن مظهره كان شـنيعاً لأن نصف وجهه كان متشظياً».

قال فلوفينت: «نعم، لقد كان منظراً شنيعاً بالفعل».

«لا أظـن أن علـيّ أن أخبـرك عن سـبب الموت؛ رصاصة واحدة صوبت إلـى الـرأس». عـرض بالـدور علـى فلوفينت بعض القهوة من قـارورة حافظة للحرارة كان يحفظها في كيس من الصوف، سـكب كوباً من السـائل الدافئ وأعطـاه لفلوفينـت، وسـأله إن كان يرغـب بالقليل مـن البرينيفين على القهوة ليحسـن مذاقهـا، وحيـن رفض فلوفينت، أضـاف بالدور إلى كوبه قطرات من زجاجة يحتفظ بها أسفل المغسلة. لقد أوشك النهار على الانتهاء، ولكن لديه أعمالاً كثيرة حيث قال لفلوفينت إنه سيبقى هنا حتّى منتصف الليل. كان الجو

بارداً في المشرحة، ولم يستطع فلوفينت التفكير في مكان أقل جاذبية من هذا المكان في شتى أنحاء ريكيافيك.

سأل: «هل أسفر التشريح عن أيّ معلومات مهمة؟».

«لا شيء لافت بخصوص الجثة؛ لم يكن الرجل رشيقاً، وهو مُدخن، ويمكن معرفة ذلك من أظفاره وحالة رئتيه. كما أنه لم يبذل جهداً يدوياً منذ وقت طويل لأن يديه ناعمتان ولا توجد عليهما معالم تصلب الجلد».

«قيل لي إنه كان بائعاً متجولاً».

«نعم، هذا منطقي. يبدو لي أن القاتل متمرّس لأن طلقة واحدة أدت الغرض».

«هل تقول لي إن الفاعل جندي؟».

«نعم، على الأرجح، ولكنني لا أستطيع الجزم».

سأل فلوفينت: «هل استنتاجي صحيح بأن القاتل لطخ جبهة الضحية بالدم؟».

«نعم، هذا صحيح».

«بإصبع؟».

«نعم، لقد استخدم إصبعه».

«هل أدخلها في الجرح؟».

«نعم، إلا إذا استخدم الدم المسفوك على الأرضية، أظن أن هناك بركة من الدم حيث عثرتم على الجثة».

«لماذا فعل شيئاً كهذا؟ لماذا أهان الضحية عن طريق تلطيخ جبهتها بالدم؟».

«ما كان اسم الضحية؛ فيلكس لاندين أليس كذلك؟».

أومأ فلوفينت برأسه.

قال بالدور: «أعتقد أنه قريب لطبيب عمل في هذا المستشفى منذ فترة.

لا يمكن أن يكون هناك كثير من الناس بهذه الكنية في آيسلندا. لقد عمل في عيادة ضمن هافناستريتي لعدة سنوات».

«من هو؟».

«رودولف، لقد كان اسمه رودولف لاندين. كان ينحدر من أسرة دانماركية-ألمانية، وقد أجبر على إغلاق عيادته بسبب حادثة، لا أعتقد أنه مارس الطب بعدها. لم أكن على معرفة وطيدة به، ولكن ذاع صيته بأنه مشاكس وعلى علاقة بالحركة النازية الآيسلندية في أيام عزها قبل الحرب».

«أتظن القتيل ابنه؟».

أجاب بالدور: «ربما، بالنظر إلى اسمه وإلى العلامة على جبهته».

«هل تعرف إلى ماذا تشير؟».

«أظن ذلك»، ارتشف الطبيب قليلاً من القهوة وأردف: «أعتقد أن القاتل أراد إيصال رسالة محددة للغاية حين رسم هذا الرمز».

«ما هي الرسالة... وعن أي رمز تتحدث؟».

عندها فُتح باب المشرحة، وظهر جندي شاب، كان يضع شريطاً على ذراعه فوق بذلته يدل على أنه كان فرداً من فيلق الشرطة العسكرية الأميركية، نظر الشاب إلى الرجلين بالتتابع.

قال بخجل: «قيل لي إنني سأعثر هنا على المحقق فلوفينت من شرطة ريكيافيك، هل هذا صحيح؟». كان طليقاً بالآيسلندية.

«أنا فلوفينت».

قال الشاب بأدب: «كيف حالك يا سيدي؟» ثمّ صافح فلوفينت. «أدعى ثورسون، وطلب مني أن أعرض خدماتي على الشرطة الآيسلندية في ما يخص مقتل رجل. لقد فضلت أن أتواصل معك بأقرب وقت ممكن، آمل أنني لم آتِ في وقت غير مناسب؟».

قال فلوفينت: «لا، على الإطلاق، كنا نتناقش بشأن تشريح جثة فحسب.

إنك تتحدث الآيسلندية بشكل جيد، هل أصلك من هنا؟ وبالمناسبة لا داعي لأن تقول لي سيدي».

شرح ثورسون وهو يصافح بالدور: «إنني آيسلندي غربي من مانيتوبا في كندا، ينحدر أهلي من إيافيوردور، هل هذا هو الرجل الذي أُطلقت رصاصة على رأسه؟»، لاحظ فلوفينت أنه تجنب النظر بشكل مباشر إلى الجثة.

قال فلوفينت: «نعم، فيلكس لاندين وهو بائع متجول؛ هذا ما توصلنا إليه حتّى الآن. لقد تعود أن يبيع القبعات والأحزمة بالإضافة إلى تشكيلة من مساحيق الوجه ومعاجين الأسنان وغيرها من الأشياء».

قال بالدور وهو يضيف مزيداً من البرينيفين إلى قهوته: «مساحيق الوجه؟ هل يمكن للناس أن يجنوا مالاً من هذا؟».

«يبدو أنهم يجنون، كان القتيل يعيش بمفرده ولا يبدو أنه يعيل أحداً». تقدم فلوفينت من ثورسون عندما لاحظ أنه أصبح شاحب الوجه «لا أعتقد أنك متعود على رؤية جثث في مثل هذه الحالات».

قال ثورسون: «لا، لم... لم أخدم سوى في آيسلندا، ولم تعترضني أيّ حوادث بعد. كما أن الحالات التي تعاملت معها حتّى الآن في الشرطة العسكرية لم تكن... لم تكن شبيهة بهذه».

لاحظ فلوفينت أن الجندي الشاب يبذل جهداً كبيراً كي يحافظ على رباطة جأشه، وقد نجح في مسعاه. في الواقع، لاحظ فلوفينت أن الشاب يبدو ناضجاً رغم ملامحه اليافعة، ثورسون في أوائل العشرينات، وسيم وتوحي ملامحه بالبراءة. فكّر فلوفينت: يبدو أنه يفرط بالثقة في الناس. كانت هناك نظرة في عينيه تدل على أن كثيراً من الناس قد خانوا ثقته تلك.

سأل ثورسون: «هل تعتقد أن الجاني أحد الجنود الأميركيين؟».

«لا بد أنك سمعت أننا عثرنا على الرصاصة ووجدنا أنها تعود لمسدس كولت 0.45؟».

«ألا يمكن لآيسلندي أن يقتني مثل هذا المسدس؟».

قال فلوفينت: «لن نستبعد هذا الاحتمال».

«إذا تبيّن أن الجاني جندي، وفي حال تم تناقل الخبر فإن قادتي يتهيبون من أن يقود هذا إلى -كيف صاغوا الأمر؟- شك متزايد في قوات الدفاع، وهم يخشون أن يصبح الجدال العام بخصوص هذه الجريمة أحادي المنحى بشكل أو بآخر».

سأل بالدور: «وهل كلفت بالحيلولة دون حصول هذه؟ إنك أصغر من أن تدخل عالم السياسة أليس كذلك؟».

أجاب ثورسون: «لا علاقة لي بالسياسة»، ثمّ أضاف ليغير الموضوع: «ما هذا الذي على جبهته؟»، لقد استجمع قواه أخيراً كي ينظر إلى وجه الجثة المحطم. «هل هذا حرف ما؟».

قال بالدور: «كنت على وشك أن أخبر فلوفينت حين دخلت، إنه ليس حرفاً، إنه شيء آخر تماماً، يمكن القول إن الجثة قد وسمت عن قصد».

سأل فلوفينت: «وسمت بماذا؟».

«برمز النازية على حدّ علمي».

«رمز النازية؟ هل تقصد الصليب المعقوف؟».

قال الطبيب: «أجل، الصليب المعقوف». سار بتثاقل صوب الجثة، ووجه مصباحاً على الرأس: «يبدو لي أن هذا هو التفسير الوحيد لما تريد أن تمثّله الفوضى على جبهة الرجل».

اقترب كل من فلوفينت وثورسون وفحصا الوسم. كان الطبيب محقاً، مع أن الوسم كان عشوائياً وليس دقيقاً ولكن تحت ضوء المصباح الموجّه، بدا جلياً أن الجثة وُسمت بصليب النازية المعقوف.

7

كان هناك جلبة في الرواق، وظن فلوفينت أنها بسبب مجيء أولافيا. لقد طلبها كي تتعرف إلى جثة المستأجر، وخرج ليحييها. قيل له إنها لم تحبذ أن تأتي إلى هذا المكان الشنيع؛ قالت إنها متعبة، فقد كان يومها طويلاً وصعباً. لقد ارتكبت جريمة وحشية في مبناها، وهذا سيؤثر على سمعتها وسمعة المبنى. لقد كانت دقيقة للغاية في كل الأمور، وكانت تنتقي المستأجرين بعناية، وهي لم تقبل بأي مستأجر لديه أكثر من طفلين.

سألت حين دلها فلوفينت إلى المشرحة: «وجدت الرجل المسكين ممدداً على الأرض، ماذا تريد أكثر من ذلك؟».

شرح لها: «هذا إجراء روتيني علينا الانتهاء منه في أقرب وقت ممكن، لا أعرف إن استطعت رؤيته بوضوح، ولكن عليّ أن أذكر في تقريري أنك تعرفت إلى المستأجر بشكل رسمي، علينا أن نتواصل مع عائلته و...».

«أجل، أجل، دعنا ننتهِ من الأمر».

«هل كان انطباعك الأولى عن فيلكس جيداً عندما سكن في المبنى؟».

أجابت أولافيا: «نعم، كان انطباعي جيداً جداً، وحدسي لا يخيب في مثل هذه الأمور. لقد كان مهذباً وحسن التربية ودمث الأخلاق».

«ذكرت أنه كان يدفع الإيجار في الوقت المحدد؟».

«دائماً. لقد كان حريصاً على الدفع في الوقت المحدد».

«هل دفع بالكرونور الآيسلندي أم استخدم عملة أجنبية كالدولار أو الجنيه؟».

«مـال أجنبـي؟ لا، لـم يكن لديه أي مال أجنبي على حد علمي، لقد دفع بالكرونور كالجميع».

سـأل فلوفينـت: «هـل تحـدث يومـاً عـن عائلته؟ أو ذكر اسـم والده؟ أو والدته؟».

«لا، هل والداه على قيد الحياة؟».

«لا نعرف، كما أننا لا نعرف ما كان لديه إخوة أو أخوات. في الحقيقة، نحن لا نعرف شيئاً عنه حتى الآن لذلك يهمنا أن تسدي لنا هذا المعروف».

قالت أولافيا بفظاظة: «ولكنني لا أفضل هذا مطلقاً لأنه فعل فظيع. ضع نفسـك في مكاني، لا أعرف إن كنت سأسـتطيع تأجير تلك الشـقة مجدداً، لا أدري إن كان سيطاوعني قلبي لفعل ذلك، أو هل سيرغب أحد باستئجارها بعد هذه الجريمة الـ... شنعاء، ليست لديّ فكرة عما سأفعل بخصوص المكان، عليّ أن أدفع لبعض الفتيات كي ينظفنها وهذا سيكلفني كثيراً من المال».

دخلت إلى المشرحة وحيت بالدور وثورسون، فدلهّا الطبيب إلى الطاولة.

قـال بالـدور: «حاولـت أن أصلـح الوضع قليلاً في حـال أراد أقرباؤه أن يلقـوا عليـه نظـرة، ولكنـه فـي حال يرثى لها لذا أتمنـى ألا يزعجك الوضع يا عزيزتي، أعلميني حين ترين ما يكفي».

قالت أولافيا: «لقد كنت أول من عثر على الجثة، ولست عزيزتك».

قـال بالـدور وهـو يرمـق فلوفينـت بنظـرة يقول لـه فيها إنه كان يسـتمتع بشـهادتها: «بالطبع، أسـتميحك عذراً»، رفع الشرشـف عن رأس فيلكس، لقد صعقـت أولافيـا بوضـوح مـن الوجه المشـوه ومحجر العين الفـارغ والوجنة والفك المهشمين، ولكن ملامح الرجل لا تزال واضحة على الجانب الآخر حيـث لـم تؤثـر الرصاصـة كثيراً فوجهت انتباههـا إليه وبدت غيـر متأكدة أو مترددة، نقلت نظراتها بين بالدور وفلوفينت وبدت في غاية الحيرة.

اعتلت ملامح الغضب وجهها، وكأن صبرها قد نفد تماماً وسألت: «ماذا؟

هل حدثت جريمة أخرى مثل الجريمة التي حصلت في مبناي؟».

«جريمة أخرى؟»

«أجل».

سأل فلوفينت: «ما الذي تقصدينه بقولك يا سيدتي؟».

«اعتقدت أنني حضرت إلى هنا كي أتعرف إلى جثة المستأجر فيلكس لاندين، ألم يكن هذا السبب الذي جررتني فيه إلى هذا المكان الشنيع؟».

«أجل».

سألت أولافيا وهي تجول بعينيها في أرجاء الغرفة: «أين هو إذاً؟».

كرر فلوفينت سؤاله: «ماذا تقصدين، أليس هو الرجل الممدد على الطاولة أمامك؟».

«من؟».

«فيلكس لاندين بالطبع».

«هذا الرجل؟».

«أجل».

«لا، لم يسبق لي أن رأيت هذا الرجل».

«ولكن...؟».

قالت أولافيا بحزم: «هذا ليست جثة فيلكس لاندين بالتأكيد، ولا أعرف من هو».

8

كان هناك شرطي خارج شقة فيلكس لاندين حين ركن ثورسون سيارته الجيب خارج المبنى. ركن فلوفينت خلفه وفتح الباب لأولافيا، ثمّ رافقها إلى منزلها وشكرها مرة أخرى على مساعدتها.

لقد تغير مجرى التحقيق بالكامل حين قالت إنها لا تعرف إلى من تعود الجثة الممددة على طاولة المشرحة، وأنكرت أنها جثة فيلكس لاندين. لقد دلّ هذا على أنها لم تنظر إلى الجثة عن كثب، واعتقدت فقط أن القتيل كان فيلكس بما أنها كانت شقته. لقد كان الرجل ممدداً على وجهه بعد أن أُطلقت رصاصة على رأسه مما سبب تناثر الدم في كل أرجاء الشقة وهذا ما جعلها تتوصل إلى استنتاجاتها الخاصة.

عندما سألها فلوفينت إن كانت واثقة من كلامها، وحاول أن يستحصل على مزيد من المعلومات غضبت أولافيا وأصرت على العودة إلى المنزل، وفي طريقها إلى المنزل، شرحت له أنها اعتقدت ببساطة أن القتيل كان المستأجر، لقد كانت غاضبة من نفسها على تسرعها.

حيا فلوفينت الشرطي الذي كان يحرس الشقة، وذكّر ثورسون ألا يلمس شيئاً من دون أن يعلمه. كانت الشمس تغرب فأنار جميع المصابيح فور وصولهما إلى الشقة، عندما توجّه فلوفينت إلى غرفة النوم، توقف ثورسون عند البركة الداكنة التي كانت تغطي أرضية غرفة المعيشة، وعاين الدم المتناثر على الجدران، وفكّر في الوسم على جبهة الرجل، لقد كانت هذه القضية خارج نطاق خبرته تماماً، وأدرك أنه كان عليه أن يتعلم بسرعة.

قال حين عاد فلوفينت من غرفة النوم وهو يحمل بعض الكتب: «إن اسم فيلكس لاندين ليس اسماً آيسلندياً أليس كذلك؟».

«لا، ليس آيسلندياً، يمكن أن يكون من عائلة ألمانية، وجدت بعض الكتب التي تتعلق بالنازية في غرفته: كتاب كفاحي لهتلر، وكتاب صور من رالي نورنبرغ عام 1927، وكتيب عن شيء اسمه جمعية ثول. في الواقع لم يكن يروج لفكرة أنه يمتلك هذه الكتب، لقد وجدتها في علبة حذاء في مؤخرة خزانته، إن جميع الكتب باللغة الألمانية وهذا يدل أنه مهتم للغاية بالنازية».

قال ثورسون: «ورسم صليباً معقوفاً على الجثة».

«إذا كان هو القاتل».

سأل ثورسون: «ألم يكن لديكم حزب فاشي محلي هنا؟».

«نعم، كانوا يسمون أنفسهم الحزب القومي، وكانوا يرشحون أشخاصاً للبرلمان والانتخابات المحلية، ولكنهم لم يتلقوا أي دعم تقريباً، وعلى حد علمي لقد تفكك الحزب عندما اندلعت الحرب».

بدأ ثورسون بتصفح الكتب: «إذاً كانوا يستلهمون من النازية الألمانية؟».

«أعتقد هذا، لقد كانوا معارضين للاحتلال العرقي، ويبغضون اليهود، ويكرهون الشيوعيين، ويروجون للأيديولوجية العرقية وكل الأمور التي عرفت عن النازية. لقد كانوا ينادون بآيسلندا قوية ولا أعرف ما الذي يعنيه ذلك، وللاتحاد القومي غير المنتهك وكل تلك الدعوات».

«الاحتلال العرقي؟».

«أرسل الألمان قنصلاً يدعى ويرنير جيرلاش وكان متعصباً»، أخذ فلوفينت إحدى القبعات الملطخة بالدم من الحقيبة التي كانت على الأريكة وتفحصها. «كان يفترض به أن يتعرف إلى ثقافة آيسلندا الشعبية وحضارتها والعرق الآري الصافي الذي قيل إنه كان يعيش هنا».

«أحفاد شعب الفايكنغ؟».

أجاب فلوفينت: «نعم، أحفاد شعب الفايكنغ بشكل أو بآخر. إن الألمان خبراء بالأدب الآيسلندي الذي يعود إلى العصور الوسطى، ولكن جيرلاش أصيب بخيبة أمل كبيرة عندما لاحظ أن الدولة يسكنها بعض الرعاع، وأن روح الفايكنغ أصبحت شيئاً من الماضي. أُعتقل صباح الاحتلال وأرسل إلى بريطانيا. عثروا عليه وهو يحرق مستنداته في حوض الحمام ضمن القنصلية الألمانية».

قال ثورسون: «هناك شيء مكتوب على هذا الكتاب»، سلم فلوفينت الكتاب الذي كان يحوي صوراً لرالي نورنبرغ.

قرأ فلوفينت: «إلى فيلكس، مع خالص تحياتي الأبوية، من رودولف، في عيد الميلاد عام 1930».

«رودولف؟».

«أجل، هذا يعني أن رودولف لاندين هو أبوه حقاً، إنه طبيب ألماني مارس الطب في ريكيافيك، لقد عرفه بالدور قليلاً وذكر أنه كان نازياً، علينا أن نتواصل معه ونلاحق ابنه هذا».

وضع فلوفينت القبعة على الأريكة، وعاين الحقيبة عن كثب. لقد بدت أنها استخدمت كثيراً لأن الجلد البني كان مخدوشاً وعليه بقع، وكان مهترئاً عند الزوايا كما هو متوقع من حقيبة بائع متجول، مخططة بخيوط من الكتان بيضاء اللون، وكان صاحبها يستخدمها ليحمل عيناته -مساحيق التنظيف ومعاجين الأسنان والقبعات والأحزمة- ويعرض حسناتها. إذا كان فيلكس يعمل بائعاً لبعض الوقت فلا بد أنه قابل كثيراً من الناس، وزار الأماكن ذاتها مرات ومرات، وكان لديه زبائن أوفياء. قالت أولافيا إنه كان يغيب أوقاتاً طويلة وهو يجوب الدولة. لا شك في أنها حقيبته؟

مرر فلوفينت يده فوق العينات، ولاحظ أنها قد انتشلت كثيراً ليعاينها الزبائن. تخيّل فيلكس وهو يجلس في منازل الناس ويلقي نظرة على حيواتهم،

ويستمع إلى قصصهم، ويحاول أن يشق طريقه إليها. كما تخيّله وهو يحاول أن يقنعهم أن منتجاته هي ما يحتاجون إليه. لا شك في أنه سافر إلى البلدات والقـرى وإلـى المـزارع البعيـدة، وأن الكلاب هاجمته في بعض الأماكن، ولا شك في أنه جلس في أماكن أخرى ليشرب القهوة ويطلعهم على أخبار البلدة القريبة أو من مكان أبعد كريكيافيك قبل أن يخرج قبعة من حقيبته لربة المنزل وقبعة أخرى لزوجها.

ابتسـم فلوفينـت لنفسـه حيـن سـرح في تلك المشـاهد وعندها لمسـت أصابعه عقدة تحت قماش الحقيبة قرب المسكة. كانت العقدة صغيرة نسبياً، ولكنهـا لـم تبـدُ جـزءاً مـن الحقيبة، وحين عاينها فيلكـس عن كثب لاحظ أن الـدرزة قـد فكـت ودرزت مجدداً، شـد على خيط مفكـوك، فانفتح جيب في القماش وكشـف عن كبسـولة بحجم حبة أسـبرين، بدا أن ثورسـون كان في المطبخ وكان يفتح الخزائن والأدراج.

انتشـل فلوفينت الكبسـولة ووضعها على راحته وتسـاءل عن ماهيتها في الوقت الذي خرج فيه ثورسـون من المطبخ حاملاً دليل هاتف، وقال إنه لم يجد أثراً لاسـم رودولف لاندين. حين رأى أن فلوفينت مسـتغرق في أفكاره لاحظ ثورسون أنه لم يسمع كلمة قالها، اقترب ثورسون أكثر ولاحظ الكبسولة التي كانت في يده.

سأله: «قل لي أين عثرت على كبسولة السيانيد هذه؟».

9

جلس فلوفينت في سيارته خارج المنزل، وراجع ما سيقوله في الزيارة، وتساءل عن أفضل طريقة للبوح بالحقائق الضرورية ليستشف المعلومات التي أراد الوصول إليها. لم يتعلم أيّ تقنيات مقابلة خاصة حين أصبح محققاً لأنه لـم يكـن مـن ضرورة لها في القضايا البسـيطة التي مرت عليـه. لطالما اعتمد على المنطق الذي لم يخذله حتّى الآن.

أخـذ ثورسـون كبسـولة السـيانيد ليحللهـا المختصـون فـي المختبرات الحربيـة. كان التعـرف إلـى هـذه الكبسـولات جزءاً من تدريبـه بهدف تحديد مكانها وانتشـالها من السـجناء الألمان. لقد اعتقد أنها كانت ألمانية من دون شـك، وأنه يمكن ربطها بعملية تجسـس. أُملي على عملاء الرايخ الثالث أن يحملوا مثل هذه الكبسولات في كل الأوقات ليستخدموها بدلاً من الاستسلام والتعرض لأهوال التحقيق، وكان هذا كله جديداً على فلوفينت، فلم يسبق له أن صادف شيئاً مثل كبسولة السيانيد، فما بالك بالجواسيس النازيين.

علق حين شـرح ثورسـون أفكاره بخصوص الكبسـولة: «بالطبع سيكون هنالـك الكثيـر مـن الجواسـيس فـي آيسـلندا، إنهـا أكبر قاعدة لحلف شـمال الأطلسي».

قال ثورسـون: «بالتأكيد، تملك الاسـتخبارات الحربية كتيبة هنا لتراقب الأنشـطة غيـر المألوفـة، بالإضافـة إلـى الأفراد الذين تربطهـم علاقات قديمة بألمانيا أو المواطنين الألمان، أو أي آيسلندي درس في تلك الدولة وهكذا».

«هل هم على علم بفيلكس لاندين؟»

أجـاب ثورسـون: «سأستفسـر عـن الموضـوع، هل تمانـع أن آخذ الحبة وأسلمها للأخصائيين لدينا كي يحللوها؟».

«لا مانـع، إنهـا فكرة سـديدة، وسـنرى ما سـيتوصلون إليـه. يبدو لي أن هذه القضية تهم شعبك بقدر ما تهم شعبنا». شعر بتردد ثورسون فسأله: «ألا توافقني الرأي؟».

«بلى، ولكن...»

«ماذا؟».

قـال ثورسـون: «ربمـا عليـك الاسـتعانة بمسـاعد لك، سـأكون صريحـاً معـك... ليـس لـديّ فكـرة عمـا يجب عليّ القيام به من أجـل التحقيق، وقبل أن نبدأ العمل أريدك أن تعرف أنه لم يسبق لي العمل على قضية مثل هذه».

قـال فلوفينـت: «ولأكـون صريحـاً معك، حالي ليس أفضـل من حالك، ولكن لعلك لست شغوفاً بهذا النوع من العمل؟ أستطيع تفهم هذا».

قال ثورسون: «أخاف أن أعترض طريقك أو أعرقل التحقيق».

لـم يكـن فلوفينـت متعـوداً على مثل هـذا الإخلاص فقـال: «لقد عرفت كبسولة السيانيد بمجرد النظر إليها».

«أجل».

قال فلوفينت: «دعنا نرَ ما سـينتهي إليه الأمر. لعل عدم خبرتنا سـتكون مفيدة في هذه القضية».

حل المسـاء وأوحت السـحب الداكنة بأن هطول المطر وشـيك. بحث فلوفينت إلى المنزل الطبيب الذي وجده بسرعة فوفقاً لألدور ولد في شلسفيغ هولشتاين، وانتقل إلى آيسلندا قرابة العام 1910 وتزوج امرأة آيسلندية أنجبت لـه ولـداً واحـداً. يعتقـد بالـدور أن زوجـة رودولف توفيت بسـبب الإنفلونزا الإسبانية.

اتفـق كل مـن فلوفينـت وثورسـون على أن فيلكس لاندين كان المشـتبه به البديهي باعتبار أن الجثة لم تكن جثته. لقد انطلقا من فكرة أساسـية وهي أنه هرب وغادر البلاد أو ينتظر مغادرتها. كانت الشـرطة سـتعمم أوصافه عبر الراديو والصحف، وستطلق حملة بحث عنه في شتى أنحاء البلد.

لا تـزال هويـة القتيـل مجهولـة، ولم يبدُ أن أحداً بلّغ عن فقدان رجل في العشـرينات من العمر بمواصفات الرجل الذي أنهت رصاصة حياته في شـقة فيكلس لاندين.

هناك شيء واحد يحير فلوفينت، فوفقاً لما هو متوفر من معلومات فتح الرجل باب شـقة فيلكس باسـتخدام المفتاح الذي كان يمسـكه في يده حين قتل. لقد ذكر فيلكس لأولافيا أنه فقد مفتاحه فأعارته المفتاح البديل الوحيد. ولذلـك، وبطريقـة مـا، حصـل الرجل على مفتاح شـقة فيلكـس. قاده المنطق السـليم للظن بأنهما تقابلا حديثاً، وأن الرجل مجهول الهوية دخل الشـقة من دون إذن.

وعندمـا وجـد أن الوقـت حـان ترجـل فلوفينت من السـيارة وتوجّه إلى المنـزل، كان مؤلفـاً مـن طابـق واحـد مطلـي بطلاء خشـن يبعث علـى الكآبة وتحيط به حديقة صغيرة. حُفر بشكل واضح على الباب الأمامي اسم المنزل: سـكوغابيورغ، وهي تعني أشـباح الصخور. فتحت الباب خادمة ترتدي مئزراً أبيـض فـوق ثـوب أسـود، فعرّف فلولينت بنفسـه وطلب التحـدث إلى مالك المنـزل. رحّبـت بـه الخادمة وأدخلته المنزل، وطلبت منه الانتظار في الردهة، وحيـن مضـى الوقـت ولـم تعـد الخادمة شـق فلوفينـت طريقه إلـى الداخل، وعايـن اللوحـات علـى الجدران، وحـاول قراءة العناوين علـى أغلفة الكتب المكدسـة، ثـمّ اكتفـى بالوقوف صامتـاً. بدا أن الترتيب صفـة المنزل الأولى: كانـت الأرضيـات لامعـة والأثاث والكتب واللوحـات نظيفة جداً. في النهاية عادت الخادمة.

قالت بأسـف: «لم يكن سـيدي يتوقع قدومك، سـيكون جاهزاً لمقابلتك بعـد قليـل، فـي غضـون ذلك طلب مني مرافقتك إلـى مكتبه لتنتظره هناك، ما لم يكن لديك مانع».

قال فلوفينت: «طبعاً، لا مانع لديّ، شكراً لك»، وتبع الفتاة إلى المكتب حيـث تركتـه بمفـرده. وجد فـي المكتب مزيداً من خزائـن الكتب التي كانت زاخـرة بكتـب الأدب الألمانـي، بالإضافة إلى كتـب أكاديمية ونصوص طبية. لاحظ نسـخة من كتاب أصل الأنواع بلغته الأصلية أي الإنكليزية، ولكنه لم يتعرف إلى معظم الكتب لأنه لم يكن يعرف اللغة الألمانية. وفي طرف الغرفة كان هنـاك مكتـب كبيـر وضعت عليه أوراق وعدة كتابة وكدسـات من الكتب المرتبة بشكل أنيق، وأُسند إلى إحدى خزائن الكتب عكازان.

سمع خلفه صوتاً أجش يتحدث بلهجة ألمانية: «هل أثار اهتمامك شيء على الرفوف؟». فاجأه الصوت، وعندما اسـتدار رأى رجلاً في السـتينات من عمره، يجلس على كرسي متحرك ويراقبه من عتبة الباب بعينين غائرتين. لم يعـرف فلوفينـت كـم مضى على الرجل وهو يراقبه، ولكنه شـعر أنه راقبه منذ فترة طويلة.

أجاب كي يكسر الجليد: «إنها مكتبة جميلة».

قـال الرجـل الجالس على الكرسـي المتحرك: «شـكراً لـك». كان أبيض الشعر، نحيل الوجه، حاد العينين، يضع نظارة دائرية العدستين سوداء الإطار. لقد بدا الغضب في عينيه كما يبدو الأستاذ عندما يرى طلاباً مشاغبين. ارتدى معطفـاً داكـن اللون فوق سـترة مزركشـة وغطى سـاقيه ببطانيـة صوفية بيضاء اللون، قال بلهجة آيسـلندية واضحة: «أحاول بناء مكتبة شـخصية لائقة، هل أنت من الشرطة؟».

قال فلوفينت وهو يسـتعيد رباطة جأشـه: «نعم، من فضلك اعذر تطفلي،

هل حضرتك رودولف لاندين يا سيدي؟».

«نعم، أنا هو».

«أنا فلوفينت وأعمل محققاً لصالح قسم ريكيافيك للتحقيق الجنائي. لقد أتيت لمقابلتك بخصوص شيء خارج عن المألوف، لديك ابن اسمه فيلكس أليس كذلك؟».

«نعم».

«هل تعرف أين أستطيع العثور عليه؟».

«تعثر عليه؟! لماذا؟».

«أنا...»

قاطعني الرجل بحزم: «ماذا تريد الشرطة منه؟».

«هل هو هنا؟».

«يبدو أنك لم تسمع ما قلته: «ماذا تريد الشرطة منه؟ من فضلك هل بإمكانك الإجابة عن سؤالي؟».

«بالطبع، أنا...»

قاطعه الرجل بصوت أعلى ولكن هذه المرة كانت لهجته الألمانية أكثر وضوحاً: «هل بإمكانك أن تدخل في صلب الموضوع؟ من فضلك لا تهدر وقتي».

لقد فاجأته وقاحة الرجل، وهو الذي مكث وقتاً طويلاً في السيارة قبل أن يطرق الباب، مفكراً بأنجع الطريق التي يمكنه أن يخبره بما أراده منه، بحيث لا يسبب له كثيراً من الألم. أما الآن فقد تبيّن له أنه أهدر وقته، فالرجل لا يستحق أن يعامل بلطف.

قال: «أتيت لمقابلتك يا سيدي بخصوص جريمة شنعاء ارتكبت في شقة ابنك. لقد أطلقت رصاصة على رأس رجل وقتل. في البدء، ظننا أن القتيل هو فيلكس ولكن تبيّن أنه شخص آخر، نحن الآن نبحث عن ابنك بخصوص

علاقته بالجريمة، نحن نعتقد أنه متورط فيها بطريقة أو بأخرى».

نظر الرجل الذي كان يجلس في الكرسي المتحركة إلى فلوفينت وكأنه لم يسمع كلاماً أسخف من هذا: «متورط في جريمة...؟»

«نعم».

سأله رودولف بحزم: «ماذا تقصد؟». ورأى فلوفينت أنه نجح في إزعاجه ولكن لفترة قصيرة، تابع رودولف بغضب: «ماذا تقول؟ لم يسبق لي أن سمعت شيئاً... مثل هذا الهراء».

قال فلوفينت: «أياً يكن رأيك، ولكن هذا ما نظنه، إن الحقائق...»

«كيف سمحت لنفسك أن تُفكر بمثل هذا الأمر المستحيل؟».

«أخشى أن هذه هي الحقيقة، أستطيع تفهم صدمتك، هل بإمكانك أن تخبرني أين يمكنني العثور على فيلكس الآن؟».

«جريمة قتل، في شقة فيلكس؟»، بدا رودولف مصعوقاً.

«مع الأسف يا سيدي، هل تعلم أين هو ابنك؟».

«كيف بحق الجحيم...؟».

«هل تعلم أين كان مساء أمس يا سيدي؟».

سأل رودولف وتجاهل أسئلة فلوفينت وكأنه لم يسمعها: «من كان ذلك الرجل؟ من هو الرجل الذي عُثر على جثته في الشقة؟».

قال فلوفينت: «لم نعرف حتى الآن، لم نتمكن من التعرف إلى الجثة، ولكنها مسألة وقت وستتمكن من التوصل إلى علاقة الضحية بابنك، أكرر سؤالي: هل تعلم أين هو ابنك؟».

حدّق رودولف إلى الفراغ وكأنه تلقى صفعة.

كرر فلوفينت سؤاله: «هل تعلم أين هو ابنك؟».

لم يجبه الرجل الجالس في الكرسي المتحرك.

سأل فلوفينت: «هل تعتقد أنه فر من العدالة؟ هل تعتقد أنه مختبئ؟».

بـدا أن رودولـف قـد ضـاق ذرعـاً بزيارته فقال غاضباً: «هل هناك شـيء آخر؟».

«آخر؟».

«تريد أن تقوله لي».

قال فلوفينت: «أعتقد أنك أسأت فهم الوضع يا سيدي. أنا جئت إلى هنا بصفتي أعمل لصالح الشرطة لأطلب المعلومات منك لا بالعكس».

قال رودولف: «ليس لديّ ما أقوله، هل بإمكانك أن تتركني وشـأني من فضلك».

«أخشى أن...»

رفع الرجل صوته مجدداً وقال: «غادر، ليس لديّ ما أقوله».

أصرّ فلوفينت: «هل لديك أيّ معلومات عن مكان ابنك؟ هل يمكن أن تساعدنا في العثور عليه؟ فمن الضروري أن نتحدث إليه».

صرخ رودولف وقال بإصرار: «غادر منزلي».

تابع فلوفينت: «هل هو معك؟ هل هو في المنزل؟».

«غادر منزلي أيها المغفل الآيسلندي».

«لا، س...»

صرخ رودولف ودفع عجلات كرسيه نحو فلوفينت: «غادر، أخرج الآن، ليس لديّ ما أقوله، اخرج اخرج!»

وقف فلوفينت بصلابة، ظهرت الخادمة عند باب المكتب، لقد سمعت سـيدها يصـرخ ونظـرت إلى فلوفينـت، وحين لاحظ رودولـف وجودها أدار كرسـيه، وطلب منها مرافقة الشـرطي إلى الباب لأن لقاءهما انتهى. لوّح بيده غاضبـاً عندمـا حاولت مسـاعدته، ثمّ دفع نفسـه مغـادراً الغرفة، ظل فلوفينت وحيداً مع الخادمة وخيّم عليهما صمت مريب.

علّق فلوفينت بعد لحظة: «لا أظنه أفضل شخص يمكن العمل لديه».

لم تجرِ المقابلة كما خطط لها، ولم يفهم ما حصل، هل هو من أخطأ أم رودولف؟ أمكان الخطأ مشتركاً. ولكنه أدرك أن عليه التعامل مع الطبيب بطريقة مختلفة في لقائهما التالي والذي يجب أن يحصل في وقت قريب.

قالت الفتاة آسفة: «لقد مر بوقت عصيب مؤخراً». وقفت عند العتبة تنتظر مغادرة فلوفينت وكانت ضخمة الجثة وقد سرحت شعرها بطريقة مرتبة. بدت له في العشرينات من عمرها وأنها وُظفت لأنها قوية الذراعين، لأن رودولف يحتاج إلى المساعدة في كل شيء وتبين من النظر إلى بنيتها أنها قادرة على مساعدته من دون أن تبذل جهداً كبيراً.

«هل هو مقعد منذ فترة طويلة؟». حاول فلوفينت أن يبدو هادئاً بعد اللقاء العاصف.

«لا أدري... لا أحبذ الحديث عنه في غيابه، إنه شخص دمث، ويعاملني باحترام وأنا مدينة له بالاحترام نفسه».

حاول فلوفينت بطريقة أخرى: «هل يمكن أن تخبريني شيئاً عن فيلكس؟ هل سبق لك أن قابلته؟».

أجابت الخادمة بصوت منخفض: «عليك أن تسأل سيدي عنه»، ثمّ طلبت منه أن يرافقها إلى الردهة. «لم يسبق لي أن قابلته».

«هل تعرفين أين هو إن لم يكن في المنزل؟».

كررت: «لا أعرف... عليك أن تسأل سيدي».

«نعم، بالطبع سأسأله، هل أتى فيلكس إلى هنا عن قريب؟ في الأيام القليلة الأخيرة؟ هل هو هنا الآن؟».

قالت الفتاة بحزم: «لا، لم يأتِ إلى هنا منذ فترة».

«هل علاقته بأبيه جيدة؟»

«عليك أن تسألهما».

قال فلوفينت بعد أن ألقى نظرة خاطفة إلى العكازين المسنودين إلى

خزانة الكتب: «أرى أن رودولف يحتفظ بعكازين في مكتبه، هل هو... هل يستطيع...؟»

«بإمكانه الاستعانة بهما ليمشي ولكنه يجد صعوبة في ذلك».

«انظري، سأكون ممتناً لك إن كان لديك ما تقولينه بخصوص فيلكس. لا داعي لتضخيم الأمر حيث إنه من الضروري أن نعثر عليه».

قالت الفتاة: «آسفة يا سيدي».

«مهما تكن المعلومات ثانوية».

«أتفهمك، ولكنني لا أعرف شيئاً يمكن أن يساعدك».

«هل زاركم مؤخراً ضيوف غرباء؟ أو وردكما اتصال مريب؟».

أشاحت وجهها، ثمّ رافقته إلى الباب الأمامي وفتحته. صعد فلوفينت الدرجات، وشكرها ثمّ صافحها. لم تفلت يده ربما لأنها شعرت أنها لم تكن مفيدة وربما كانت تعتذر بطريقة غير مباشرة عن فظاظة سيدها.

«أُعذره يا سيدي، رودولف... لا يكون فظاً في العادة، لم يكن على سجيته في الآونة الأخيرة، أي منذ أن أتى شقيق زوجته، وتشاجرا».

«شقيق زوجته؟».

همست وبدا الخوف في عينيها وكأنها تخشى أن يسمعها أحد: «الناظر، شقيق زوجته المتوفاة، سمعتهما يتشاجران وبدا منزعجاً».

«ما الذي تشاجرا بشأنه؟».

همست الخادمة: «لا أعرف... بعض الصبية، لا أعرف». ثمّ دخلت المنزل، وأغلقت الباب بهدوء.

في طريقه إلى السيارة نظر فلوفينت إلى المنزل فرأى امرأة في منتصف العمر تراقبه من غرفة الاستقبال. أوحت ملامح وجهها بالحزم، وعندما تلاقت أعينهما سحبت الستارة واختفت.

10

مُنحت الاستخبارات الأميركية المضادة مقراً مؤقتاً في أحد أجنحة مستشفى ليبير القديم في لوغارنس بوينت. المستشفى الذي تشاركه الأميركيون مع زملائهم البريطانيين الذين استقروا في مبنى المستشفى بعد فترة قصيرة من الاحتلال، وأُرسل المرضى إلى مصحة في كوبافوغور جنوب ريكيافيك.

في ذلك الوقت كانت الولايات المتحدة لا تزال محايدة، ولكن في غضون أشهر أُرسلت فرق أميركية لإنقاذ الحامية البريطانية واستلام زمام الأمور للدفاع عن آيسلندا. وصلت قوات مشاة بحرية الولايات المتحدة وفوج الدفاع الخامس في السابع من تموز مع صواريخهم المضادة للطائرات، وتبعتهم أول وحدة عسكرية أرضية في السادس من آب، ومنذ ذلك الحين أصبح من المتوقع أن تأتي قوات إضافية في أي وقت؛ كان هناك آلاف الجنود الذين لم يسبق لهم أن سمعوا بآيسلندا ولم يعرفوا أين تقع على الخريطة. وفي لمح البصر، أصبحت ريكيافيك تعج بالوحدات البريطانية التي تستعد للانسحاب وبالوحدات الأميركية التي أتت لتقدم الدعم، وبالوافدين من الريف الآيسلندي - الذين كانوا يسعون وراء حياة أفضل في المدينة التي أصبحت غير معقولة- بالإضافة إلى سكان ريكيافيك أنفسهم، اليافعين والبالغين، الذين لم يتأقلموا بعد مع التغيير الذي طرأ على مدينتهم في السنة الماضية.

عندما توجه ثورسون إلى مستشفى ليبير القديم شمالي لوغارنس وجد نفسه يفكر في العزل، ولم تكن هذه الأفكار غريبة عنه. لم يُختر موقع المستشفى عبثاً حيث نُقل المرضى ليبقوا آمنين بعيداً عن المدينة، أو بكلام أدق،أُبقي

سكان البلدة بمعزل عن المرضى. كان المستشفى يتألف من طابقين وعلية وكانت هناك صفوف من النوافذ الممتدة على طول المبنى، وهناك جملونان ظاهران عند نهايتي واجهته. بينما كان ثورسون يتأمله فكر في الفوضى التي جلبها الاحتلال العسكري إلى هذه الجزيرة المسالمة وشعبها البسيط. في يوم ربيعي هادئ عام 1940 طرقت الحرب باب ريكيافيك، وغيّرت حياة مواطنيها، وكان ثورسون، بالإضافة إلى متطوعين كنديين آخرين، من أوائل الذين حطوا مع قوات الاحتلال البريطاني. لقد أتى بصفته جندياً في ثاني فوج للمشاة البحرية الملكية. توجّه الجنود إلى مقر الحكومة الرئيسي وشاهدوا المفاجأة التي ارتسمت على ملامح السكان الذين أيقنوا فوراً أن آيسلندا لن تعود كسابق عهدها.

عاد ثورسون ليفكر في مهمته الحالية. لقد كانت نتيجة تحليل كبسولة السيانيد التي عثر عليها في شقة لاندين متوافقة مع شكوكه: كانت فعلاً ما يسمى بحبة الانتحار وهي ألمانية الصنع. نظرياً، إذا عض المستخدم على الكبسولة أو الأمبولة فسيقتله سيانيد البوتاسيوم المعبأ داخلها في غضون ثوانٍ، ولكنه عملياً لن يموت قبل مضي ربع ساعة من العذاب الذي لا يوصف. لقد كانت هذه المرة الأولى التي تظهر فيها مثل هذه الكبسولة في آيسلندا، لذا طلب رئيس الاستخبارات الرائد غراهام أن يعرف كيف انتهى بها المطاف في يد الشرطة الآيسلندية. الرائد غراهام عدواني ونزق في الخمسينات من عمره، مُتندب الوجه بسبب الجدري، وكان يغطي إحدى يديه بقفاز أسود. بدا لثورسون وكأنه فقد إصبعين. يخدم غراهام في الاستخبارات الحربية الأميركية منذ سنوات، وكان برفقته نظيره من الاستخبارات البريطانية الذي يبحث في السجلات عن أي ذكر لرودولف لاندين في الفترة التي تلت الاحتلال مباشرة. كان أصغر من الرائد غراهام وقد شوه حرق عنقه وطرفاً من وجهه. نُقل إلى الاستخبارات بعد أن تعرض لإصابات خطيرة حين أُسقطت طائرته، وهو

يدعى بالانتاين؛ مثل اسم الويسكي كما قال لنا حين عرف عن نفسه، بأنه لم تكن تجمعهما رابطة دم. بدت الابتسامة التي رافقت هذا التعليق أشبه بتكشيرة، وشعر ثورسون بأن الدعابة قديمة.

سأل الرائد غراهام: «ما الذي يدفع آيسلندياً إلى حمل كبسولة انتحار؟ هل قلت إنها كانت مخبأة في الحقيبة؟».

أجاب ثورسون: «نعم، نعتقد أن مالك الحقيبة بائع متجول يا سيدي، وضع الحبة في الحقيبة كي تكون في متناول يده أينما يذهب».

قال بالانتاين الذي كان رائداً هو الآخر: «هذا ستار شائع في الواقع، وهذه الفكرة سديدة في هذا البلد إذ يسمح له هذا العمل بالسفر حيث يحلو له، ولا يلفت النظر إليه، وبوسعه إخفاء أيّ أداة لها علاقة بنشاطات تجسسه في حقيبته. لقد قلت لنا إنك عثرت على عينات من بضاعته في الحقيبة، أليس كذلك؟».

قال ثورسون: «نعم، هذا صحيح يا سيدي»، لقد قدّم تقريراً مختصراً حين سلم الكبسولة إلى المختبر. «هل أنتما واثقان من أنه جاسوس ألماني؟».

أجاب الرائد غراهام: «لا نستطيع حسم الأمر، ولكن الحبة تُرجّح أنه متورط مع الألمان بطريقة أو بأخرى، ففي النهاية هو من أسرة ألمانية إن فهمتُك بشكل جيد».

«مع احترامي البالغ يا سيدي، ولكن هذا ليس دليلاً كافياً، لا يسعنا أن نعتبر كل المواطنين ذوي الأصول الألمانية جواسيس».

سأله غراهام: «ولمَ لا؟».

قال بالانتاين وهو يفتح ملفاً جلبه معه إلى الاجتماع: «ألقي القبض على والده رودولف لاندين بعد يومين من الاحتلال مع مجموعة من الأشخاص كانت أسماؤهم مدوّنة على لوائحنا بسبب علاقاتهم الوطيدة مع ألمانيا. لقد اعتقل لأيام، وحقق معه مطولاً. وأرسلناه مع ثلاثين مواطناً ألمانياً ليسجن

في بريطانيا، ولكن ذلك لم يحصل، وأُطلق سـراحه في نهاية المطاف. ليس لدينا معلومات عن ابنه فيلكس، فلم يكن بين المعتقلين».

«هل تعرف لماذا لم يُرسل رودولف لاندين إلى بريطانيا يا سيدي؟».

قال بالانتاين: «لم يعد الضابط المسؤول إلى هنا، لذا لم أعرف التفاصيل. ربما توصلوا بعد التحقيق معه إلى أنه لا يُشكل خطراً. لقد فُتش منزله ولم يُعثر فيه على شـيء مريب، بالإضافة إلى أن الرجل مقعد وهذا يحدّ من تحركاته. وضعنا منزله تحت المراقبة لفترة، ولكنه بالكاد غادره ولم يستقبل سوى عدد قليل من الزوار».

«ربما عرف أنه مراقب؟».

«لا أظن ذلك».

«هل أثمرت المقابلات عن أيّ معلومات بخصوص فيلكس؟».

«لا، لـم يذكـر ابنـه، وربمـا لم يسـأل عنه فـي المقـام الأول. لقد ركّزت المقابـلات علـى تحديـد طبيعـة علاقته مـع القنصل الألمانـي الدكتور ويرنير جيرلاش، فقد كانا صديقين مقربين، وكانا يلتقيان بشكل منتظم وفقاً للاندين، ولكنه برر لقاءهما أنهما من البلد نفسه، هذا إن كان صادقاً».

سأل ثورسون: «هل كان فيلكس عضواً في الحركة النازية الآيسلندية أو الحزب القومي؟ هل لديك أيّ معلومات عن هذا يا سيدي؟».

أجاب بالانتاين: «كما أخبرتك، لا نعرف شـيئاً عنه. ولكن بالمقابل ذُكر اسـم أبيه في لائحة الأعضاء، وصادرنا من منزله محاضر جلسـات، بالإضافة إلى لائحة أعضاء تعود لثلاث سنوات».

سأل ثورسون: «ألم يُحلّ الحزب؟».

أجاب بالانتاين: «لقد حدّ نشاطاته بالفعل، ولكن هذا لا يعني أن الأعضاء تخلـوا عـن ميولهـم النازية. نحـن نراقب بعضهم ويبـدو أن معظمهم اعترفوا بأخطائهم».

قال ثورسـون: «أعتقد أن هناك معلومات كثيرة في آيسـلندا يود الألمان الحصول عليها».

قال بالانتاين: «صحيح، فطائرات الاسـتطلاع من النرويج ليسـت مفيدة، وهـم يحتاجـون إلـى رجـال علـى الأرض ليراقبـوا سـفننا الحربيـة، ويتتبعوا شحنات أسلحتنا، ويراقبوا قواعدنا المهمة كالقاعدة البحرية في هفالفيوردر. يهتـم النازيـون بـكل أنشـطتنا فـي آيسـلندا، وإن كان فيلكـس لانديـن يجمع المعلومـات لهـم فـلا بد من أنه يمتلك جهازاً لاسـلكياً وكاميـرا أيضاً. يمكن للجهـاز اللاسـلكي أن يخفـى فـي حقيبة كالتي وجدتموها في شـقته، ويجب أن يكـون جهـازاً قويـاً ليسـتطيع التواصل من خلاله مـع الغواصات الألمانية التي تتربص بشـاطئنا لتحدد سـفننا والسـفن الآيسـلندية أيضاً. وإن كان هذا صحيحاً، فلا بد أنّه يمتلك مفتاح لشيفراتهم وسيفيدنا العثور عليه. لن يكون من الصعب عليه أن يتواصل مع الغواصات في مكان محدد -أو أماكن محددة حـول البـلاد- فـي أوقـات محددة مسـبقاً، لا بد أنها نقـاط موجودة على خط السـاحل يمكن للغواصات أن تأتي إليها كي تكون أقرب إلى الشـاطئ، لقد عززنا دورياتنا في بعض تلك المناطق».

سـأل ثورسـون: «برأيـك هـل أجلته غواصة ألمانيـة؟ أو أنه يعتزم الهرب بهذه الطريقة؟».

أجاب بالانتاين: «إنه احتمال وارد جداً».

أضـاف غراهـام وهـو يحـك ذقنه: «لـم نقبض حتّـى الآن على أي عميل ألمانـي فـي آيسـلندا، يمكـن أن يكون فيلكس العميـل الأول، هل تعرفتم إلى هوية القتيل؟».

قال ثورسون: «لا يا سيدي، ونحن لا نملك أي دليل. لم يسأل أحد عنه ولم يلحظ أحد غيابه، أو بالأحرى لم تتلقّ الشـرطة الآيسـلندية أيّ بلاغ عن رجل مفقود بعمره».

قال غراهام: «لا أظن أنني بحاجة للقول يا -ثورسون أليس كذلك؟- إنه من الضروري إعلامنا بأية تطورات في هذا التحقيق. أريد منك أن تقدم تقريراً شفوياً كل يوم لتطلعنا على كل ما يتوصل إليه الآيسلنديون، ويجدر بك أن تتحدث إليّ مباشرة لأن البريطانيين ينسحبون وبالانتاين ليس استثناء».

قال ثورسون وهو يحاول أن يكون لبقاً إلى أقصى الحدود: «أظن أن عليك أن تتباحث بالأمر مع رئيسي يا سيدي. إنه القنصل فرانكلن ويبستر، وقد طلب مني أن أبقيه على اطلاع على هذا التحقيق، وإذا أراد أن يحدث أي تغيير على هذا التدبير فأنا متأكد من أنه سيعلمني به».

سأل غراهام وهو ينظر إلى بالانتاين: «أليس من الأنسب أن نتولى أمر التحقيق؟ هل بإمكاننا ذلك؟ لا بد أن هناك خطورة بترك الأمر بيد الآيسلنديين، هل يمكنهم أن يتعاملوا مع قضية التجسس هذه؟».

أجاب ثورسون قائلاً: «إذا أردت رأيي يا سيدي، نحن لا نعرف حتّى الآن إن كانت قضية تجسس. يبدو المحقق المسؤول عن هذه القضية جديراً بالثقة، وهو يهتم بأدق التفاصيل».

«ألست آيسلندياً؟ هل تستطيع التحدث بلغتهم؟».

صحح له ثورسون وقال: «أنا آيسلندي-كندي يا سيدي، لا أعلم إن كنت كندياً أم آيسلندياً، أعتقد أنني الاثنان معاً، لا أعتقد أن الآيسلنديين يحتاجون إلى أي...»

قال غراهام بفظاظة: «حسناً، إذا لم يتوصلوا إلى شيء قريباً سيتوجب علينا التدخل في الأمر، فهذه هي الطريقة الوحيدة لنتوصل إلى أي شيء. لقد أطلقت الرصاصة من مسدس أميركي، هذا يكفيني لأعتبر الأمر من صلاحياتنا».

قال بالانتاين بهدوء: «سيسبب تدخلنا في أمور الشرطة الآيسلندية متاعب جمة خصوصاً في هذه المرحلة. في الوقت الحالي أنصح بالتنحي ومراقبتهم

عن كتب». ثمّ نظر إلى ثورسون وقال: «أعتقد أن هذا هو دورك، هل لدينا إثبات قاطع على أن الحقيبة التي وجدت فيها حبة السيانيد هي لفيلكس لاندين؟».

سأل غراهام: «لمن ستكون إذاً؟».

قال بالانتاين: «ربما للقتيل».

نظر الاثنان إلى ثورسون، وكأنهما يتوقعان أنه يمتلك جواباً، ولكنه لم يمتلك جواباً، لا هو ولا فلوفينت. إنهما متفقان على أن الحقيبة كانت لفيلكس على الأرجح، ولكن فلوفينت شعر أنه لا يجدر بهما أن يستبعدا فرضية أخرى: وهي أن القتيل المجهول جلبها معه إلى الشقة. وإذا كان كلام أولافيا صحيحاً، كان المستأجر يبيع كثيراً من المواد التي عثر عليها في الحقيبة، ولكن هذا ليس دليلاً قاطعاً على أن الحقيبة حقيبته.

قال ثورسون: «تُحلل الشرطة البصمات الموجودة على الحقيبة، وربما سيزودون القضية بمزيد من الدلائل، ولكنني أُرجح أن تكون الحقيبة لفيلكس».

كرر غراهام عابساً: «إن هذه المنطقة تحت سيطرتنا، وسنتولى الأمر عاجلاً أم آجلاً فالمسألة مسألة وقت ليس إلا».

بعد قليل، فُضّ الاجتماع، وعاد ثورسون إلى سيارته. وهو يعبر أروقة المستشفى، رأى أجنحة العزل القديمة التي حولت الآن إلى مكاتب للعسكريين، فمشى بتؤدة وفكّر بالمرضى والمعزولين الذين لا تزال جدران هذا المبنى تحتفظ بقصصهم، لقد تصور المرضى الذين شغلوا هذه الغرف وعانوا من أمراض يصعب علاجها، وجروح خفية تلتهم عقولهم: جروح العزلة. لقد شعر بصلة مع نزلاء هذا المبنى السابقين، فهو يعي ميوله الخاصة، ولكنه لا يفهمها تماماً، ولكنه يعرف أنها منبوذة في المجتمع أكثر من مرض الجذام الذي كان منبوذاً لدرجة أن هذا المبنى الهائل خصص لاحتواء مرضاه. لقد حاول عدم التفكير بهذه المشاعر، حتّى أنه رفض الاعتراف بها لنفسه، ولكنها ألحت عليه وواجه صعوبة في كبحها مع أنه لم يجرؤ أن ينبس ببنت

شفة أمام أي أحد خوفاً من أن يُفضح أمره. بذل قصارى جهده ليكون متأهباً، ولكنه في بعض الأحيان ينسى نفسه كما حصل بالأمس، حيث بالكاد تجنب الشك في المغني الثمل.

لِمَ تحدق إليّ هكذا؟

11

رفض رودولف لاندين بشتى الطرق أن يخضع للاستجواب في سجن سكولافارداستيغر. كُلِفَ شرطيان ليراقبا منزله بعد زيارة فلوفينت، وقبل أن يُستدعى فُتش منزله بدقة للتأكد من أن فيلكس لا يختبئ هناك. لقد صب رودولف عليهم اللعنات وهددهم بأنهم سيفصلون من أعمالهم، ولم يتبدد غضبه بعد ساعتين حين وصل فلوفينت إلى السجن لتدوين إفادته. كان فلوفينت في اجتماع مع ثورسون الذي أعلمه بتفاصيل زيارته إلى مستشفى ليبير، ولم يبدُ أن الانتظار حسّن من مزاج الطبيب.

خاطب فلوفينت بغضب: «هل لديك فكرة عن مقدار الإهانة التي سببتموها لي عندما جلبتموني بهذه الطريقة؟».

كانا يجلسان في غرفة التحقيق الصغيرة التي أُدخل إليها رودولف ما إن وصل إلى السجن، وقد ترك هناك ليقتنع -دون أي شرح ولم يسمح لأحد بالتحدث إليه أو عرض الماء أو القهوة عليه- وكان يستشيط غضباً كل تلك المدة.

«لم تترك لي خياراً آخر يا سيدي».

«سيارة شرطة خارج منزلي!».

قال فلوفينت: «لم تبدِ تعاوناً يا سيدي»، كان يعرف أن هذه الطرق الجزرية لن تفيد في تهدئة روع الألماني. «لقد رفضت الإجابة عن أسئلتي حين زرت منزلك. لذا، لم تترك لي خياراً سوى جلبك إلى هنا. أؤكد لك يا سيدي أنني لم أرغب في أن تصل الأمور إلى ما وصلت إليه».

صرخ رودولف: «أنت مغفل، أنت مغفل لعين».

قال فلوفينت: «أتمنى أن أقول الشيء نفسه عنك، ولكنني لا أعرفك حق المعرفة. كل ما أعرفه أنك صعّبت الأمر على نفسك عندما صرخت عليّ ورفضت الإجابة عن أسئلتي وطردتني من منزلك. لا أظنك ساذجاً لتعتقد أن تصرفاتك هذه ستردع الشرطة، فهذه التصرفات تعزز شكوكنا في أن ابنك متورط في هذه الجريمة. اعتقدت أنك تريد معرفة الحقيقة. نحن لا نعرف مكانه، وإذا حاولت حمايته فهذا سيجعلك شريكاً في الجريمة ويفترض بي القول إن الطريقة التي تصرفت بها بالأمس معي ومع الشرطيين اللذين اقتاداك إلى هنا عنوة تدل على أن لديك ما تخفيه، ولمصلحتك أتمنى ألا يكون هذا صحيحاً، ولكن عليّ أن أكتشف الأمر».

أصغى إليه رودولف، وبدت على ملامحه الجدية وللمرة الأولى لم يحاول أن يقاطعه. لبرهة ظن فلوفينت أنه تمكن من تهدئته وإقناعه بمواجهة الحقائق، ولكن حين طالت فترة صمته الحانق فكّر فلوفينت أن رودولف قرر التعبير عن اعتراضه من خلال الصمت، وفكّر في طريقة جديدة للتعامل معه، ولكنه وجد صعوبة في مسايرة هذا الرجل.

قال فلوفينت: «أنت لست رهن الاعتقال يا سيدي، ودعني أشدد على هذه الفكرة. أنت هنا للاستجواب فحسب، وعليك أن تحدد طريقة إكمالنا لهذه المقابلة؛ أي هل تُفضّل البقاء هنا لوقت طويل أو العودة بسرعة إلى منزلك».

قال رودولف: «أظنك تهددني، من الأفضل أن تكون ظنوني في غير محلها».

قال فلوفينت: «أنا لا أهددك، ولكن يفترض بي أن أطلعك على وضعك».

لم يتكبد رودولف عناء الردّ.

قال فلوفينت: «أعرف أنك أرمل حيث قيل لي إنك فقدت زوجتك في خريف العام 1918، أعتقد بسبب الإنفلونزا الإسبانية، أليس كذلك؟».

«لم أظن أن الأمر يهمكم».

«أنا أسألك فقط لأن الإنفلونزا الإسبانية أودت بحياة أمي وأختي».

لم يبدِ رودولف أيّ ردّ فعل.

«من المؤلم أن يرى الأطفال أحبتهم يتعذبون ويموتون، أعتقد أن فيلكس مرّ بهذه التجربة أليس كذلك؟».

«لا يتذكر فيلكس أمّه».

«حقّاً؟».

قال رودولف: «أريد التحدث إلى رئيسك فمن الواضح أنك لست أهلاً لهذا العمل. أنت ترتكب خطأً جسيماً، وأريد التأكد أنهم يعرفون الطريقة التي تتعاملون بها معي وبتصرفك المشين مع رجل... رجل لديه صعوبة في... رجل مقعد».

قال فلوفينت: «أعتقد أنك تشير إلى مفوض شرطة ريكيافيك، هل تريدني أن أناديه؟ لا يوجد أحد آخر فأنا المحقق الوحيد في قسم التحقيق الجنائي حالياً. لقد كُلف رئيس قسمي وزملائي بمهام أخرى بعد الاحتلال. هل تريد مني أن أتصل بالمفوض؟ سألبي هذا فوراً».

بدا رودولف متردداً، ولم يستطع أن يحدد إن كان فلوفينت يتحدث بصراحة أو يستهزئ به. لقد بدا وكأنه يتردد بين استدعاء أعلى سلطة موجودة في الشرطة أو التعامل مع المرؤوس الحالي.

أخيراً قال رودولف وبحقد: «لقد أنجبتْه قبل أن تصاب بالأنفلونزا بوقت قصير، لم يكن باليد حيلة، لقد كان فيلكس... لم نتناقش بالأمر».

قال فلوفينت: «لقد دفنت أمي وأختي في أحد القبرين الجماعيين في مقبرة شودورغاتا، وأنا أزورهما بين الحين والآخر، يريد أبي أن نسترد رفاتهما لندفنهما في مدافن العائلة».

قال رودولف: «لماذا تخبرني؟ ما علاقتي بهذا؟».

قال فلوفينت: «لماذا تتصرف بعدوانية، هل أنت عدواني تجاه السلطة؟

أو تجاه الآيسلنديين؟ أو تجاه الحرب وجيش الاحتلال؟ أو تلجأ للعدوانية لتخفي شيئاً بهدف حماية ابنك؟».

أشاح رودولف بوجهه، وبدا أنه ضاق ذرعاً بفلوفينت، لقد أغلق الشق الصغير الذي فتحه في درعه.

قال رودولف وهو يكز على أسنانه: «سبق لي أن أتيت إلى هنا، وأنتم لا تخيفونني، ليس لديّ ما أقوله لك، لا شيء أبداً».

سأله فلوفينت: «لماذا اعتقلك البريطانيون؟».

«لأنهم مغفلون».

«هل اعتقلت بسبب علاقتك بالقنصل الألماني ويرنير جيرلاش؟».

«لقد عاملوه بشكل شنيع، شنيع للغاية».

«هل اعتقلوك لأنك تعمل لصالحه؟».

قال رودولف: «أرفض الإجابة عن اتهامك هذا، فأنا لست جاسوساً، ولم أكن يوماً، أعترض على... على هذا التلميح».

«ما هي طبيعة علاقتك بجيرلاش؟».

«لا أفهم لماذا أنت مهتم بهذا الأمر؟».

«هل كنت تلتقيه بشكل دوري؟».

«لقد كنا صديقين».

«ما الذي كنتما تتحدثان بشأنه؟».

«هذا ليس من شأنك».

«هل كنتما تتحدثان عن فيلكس مثلاً؟».

«فيلكس؟ لا، لِمَ سنتحدث عنه؟».

«هل كان يرافقك إلى هذه اللقاءات؟».

«لا، لماذا سيرافقني؟ ما هذه الأسئلة؟».

قال فلوفينت: «أحاول أن أجمع معلومات عن فيلكس لأعرف من هو،

وأيـن هـو؟ ونـوع العلاقة التي تجمع بينكما، وإن كنت تحاول حمايته. يا ليته يعرف أن من مصلحته تسليم نفسه، وإذا لم يفعل سيصعّب من موقفك جداً؛ طبعاً إن كنت تعرف مكانه».

«لا أعرف مكانه».

«هل تعرف الشخص الذي عُثر على جثته في شقته؟».

أشاح رودولف بوجهه.

«هل يملك فيلكس مسدساً؟».

«لا أظن ذلك».

«هل تعتقد أن حياته معرضة للخطر؟».

سـأل رودولـف: «لـم تفكر في هـذا الاحتمال؟». وللمـرة الأولى لاحظ فلوفينت جذوة اهتمام.

قال فلوفينت: «أودّ أن أسألك عن شيء عثرنا عليه بين مقتنياته».

«بين مقتنياته؟ ماذا تقصد؟ ما الذي عثرتم عليه؟».

قال فلوفينت: «حبة دواء. في الواقع كبسولة».

«حبة دواء! ما هذا الهراء؟ ما نوعها؟».

قال فلوفينت: «ليست حبة دواء عادية فهي تستخدم لهدف معين، نعتقد أنها ألمانية وتُسمى بحبة الانتحار».

«الانتحار...؟»

«كانت مخبأة في حقيبة يضع فيها ابنك بضائعه كي تبقى في متناول يده. إنها عبارة عن كبسولة صغيرة مليئة بالسيانيد. أريد أن أطرح عليك ثلاثة أسئلة».

«ما هي... ما هي هذه الأسئلة؟».

«هل كنت تعرف بشـأن حبة السـيانيد؟»، بدا أن رودولف يرتعد بشـدة، ولكنّـه ألـحّ عليـه غيـر نـادم: «هـل أنـت مـن أمّنها لـه؟ وهل اتفقتمـا على أن يستخدمها عند الضرورة؟».

12

نظـر رودولـف إلى فلوفينت وتلاشـت تعابير الصدمة ببطء ليحل محلها الغضب الصامت. ثبت أنه من الصعب اسـتخلاص أيّ معلومات منه سـواء عـن ابنـه أو عنـه، فقرر فلوفينت اللجوء إلى تكتيك الضغط والمفاجأة ليجعله يفقـد توازنـه، ويبدو أنه نجح في مسـعاه، فقـد ابيضت براجم رودولف عندما أحكم قبضتيه على ذراعي الكرسي.

صرخ وحاول أن يستعيد رباطة جأشه قدر المستطاع: «هل فقدت عقلك؟ كيف تجرؤ وتطرح عليّ مثل هذا السؤال؟ هل تلمّح إلى أنني أريد لابني أن يموت؟ هل هذا ما تظنه؟».

سأل فلوفينت وهو يتظاهر بأنه لا يبالي بالغضب الذي استفزه: «هل كنت على علم بحبة السيانيد؟».

انفجـر رودولـف غاضبـاً وقـال: «كلا»، ثمّ قوّم جلسـته في الكرسـي «لم يسبق لي أن علمت بها».

«هل أمّنتها له؟».

«لا».

«هل شجّعته على ابتلاعها إذا اعتقل؟».

«أرفض الإجابة عن هذا السؤال».

«أظنـه وجـد فـي إبقـاء الكبسـولة معـه تصرفـاً حكيمـاً، هـل تعـرف لماذا؟».

«أرفض الإجابة عن هذا السؤال».

«هل جلبت الحبة من القنصلية عندما كنت تلتقي جيرلاش؟ هل مررتها لابنك؟».

زم رودولف شفتيه.

قال فلوفينت: «يعتقد البريطانيون والأميركيون أن عملاء العدو نشيطون في آيسلندا، أي أن هناك جواسيس ألماناً ينقلون تقارير عن القوات وعمليات الحلفاء الأخرى، هل ابنك واحد منهم؟».

عبس رودولف في وجه فلوفينت وحافظ على صمته.

«هل أنت جاسوس؟».

أخيراً، قال رودولف: «لقد أجبرت على الإجابة عن مختلف أنواع الأسئلة غير المنطقية عندما اعتقلني البريطانيون، ولكنهم في النهاية أخلوا سبيلي لأنهم لم يعثروا على دليل يدينني، وكانوا أكثر منك مهارة، لم يحاولوا إثارة استعطافي عن طريق إخباري بقصص مثيرة للشفقة عن أنفسهم. كانوا محترفين، أما أنت فعليك أن تتعلم كثيراً».

ألح فلوفينت: «هل يستخدم فيلكس عمله بائعاً متجولاً ليتستر على عمله الحقيقي؟ في البدء كيف أصبح بائعاً متجولاً؟».

«لا أعرف».

«هل يعمل في هذا المجال منذ وقت طويل؟».

«كيف لي أن أعرف؟ لا يحتاج إلى ستار فهو ليس جاسوساً، حاول أن تفهم هذا».

«هل يسافر إلى أماكن نائية في البلد خلال رحلاته التجارية؟ أم يكتفي بالعمل في ريكيافيك؟».

قال رودولف: «لا أعرف شيئاً، إن كل ما تقوله يثير اشمئزازي».

توقف فلوفينت عن طرح وابل أسئلته، وجلس في مكانه يراقب رودولف، وأخيراً قال: «وفقاً للائحة تملكها الشرطة كنت عضواً في الحركة الآيسلندية

الفاشية أي الحزب القومي، هل هذا صحيح؟».

«لست مضطراً للإجابة».

«ما كان دورك في الحزب؟».

«احتجزني أو اسمح لي بالعودة إلى منزلي. أرفض الإجابة عن أسئلة إضافية، وإن كنت تنوي احتجازي فسأصرّ على حقي في الاستعانة بمحامٍ».

«هل فيلكس عضو في الحزب أيضاً».

لم يجب رودولف.

«ما هي طبيعة علاقتك بابنك ما دامت أمه متوفاة؟ أم أن هذاشكّل عائقاً في وجه علاقتكما؟ هل أنتما مقربان أحدكما من الآخر؟».

اكتفى رودولف بإشاحة وجهه.

«هل ترعرع بشكل طبيعي؟ هل كان طفلاً سعيداً؟ هل كان لديه أصدقاء أم كان يقضي وقته بمفرده؟ كيف كانت طفولته؟».

«ليس بإمكاني تخيّل ما تلمّح له، لقد حظي بالطبع بتربية طبيعية ومحترمة».

«هل ما زال على اتصال بأصدقاء طفولته؟».

«لا أعرف».

«هل ارتاد مدرسة خاله؟ أي مدرسة شقيق زوجتك».

رمق رودولف فلوفينت بنظرات غاضبة.

«تعيش قرب المدرسة، وأعتقد أن فيلكس درس فيها. هل كان منخرطاً في جو المدرسة؟ هل كان تلميذاً جيداً ومطواعاً؟ كيف كانت علاماته؟ أعتقد أنه استفاد من وضع خاله بصفته الناظر؟ هل كان قوامه جيداً؟ لا يمكن أن يكون مع المغفلين».

«المغفلون؟ لا أعتقد، لقد كان... ما هذا الهراء؟ ما هذه الأسئلة؟ أرفض الإجابة عن هذه الأسئلة غير المعقولة».

قـال فلوفينـت: «لا تغييـر إذاً، هل أنت وشـقيق زوجتك على وفاق؟ هل علاقتكما جيدة؟».

قـال رودولـف: «لا أفهـم ما علاقتك بهذا، ولا أسـتطيع فهم المغزى من هذه السفاسف المنافية للعقل والمنطق».

«لقد زارك مؤخراً في المنزل، أليس كذلك؟».

«ما الذي ترمي إليه؟».

«هل زارك؟».

«هل تراقب منزلي؟».

أوحـى لـه فلوفينـت بصمتـه أنـه يراقبه فعـلاً؛ كان من الأفضـل أن يعتقد أنّـه مراقـب علـى أن يشـك فـي خادمته وأمانتهـا. لقد حـار فلوفينت بقصدها عـن الصبيـة، لقـد كان فيلكـس الابـن الوحيد على حدّ علـم فلوفينت لذا من المسـتحيل أن يكـون الصبيـة المقصـودون أولاداً لرودولـف، مـن كانوا إذاً؟ ولماذا كان يتجادل معه شقيق زوجته بشأنهم؟ لقد باءت محاولاته بالتواصل مع الناظر بالفشل، وحين اتصل بمنزله قيل له إن الرجل كان في الريف لأن المدرسة في عطلة، وقيل له أيضاً أنه سيعود في غضون أيام.

«هل يمكنني معرفة ما الذي تحدثتما بشأنه؟».

قـال رودولـف: «بالطبـع لا، من أين حصلت على هذه المعلومة؟ ولماذا تراقب منزلي؟».

«ماذا الذي حصل خلال لقائكما؟».

قـال رودولـف: «لقاؤنـا؟ لا شـيء، لا أعرف ما الذي ترمي إليه، نحن... أقصد أنا وشـقيق زوجتي على وفاق تام، لا أفهم لِمَ تُلمّح إلى حدوث شـيء مشـبوه في لقائنا، لا... لا أسـتطيع أن أفهـم المنحى السـخيف الذي تسـير به هذه المحادثة».

حتّى فلوفينت لم يفهم نفسه. لقد تصفح لائحة أعضاء الحزب القومي،

وكانت عبارة عن نسخة محفوظة في قسم التحقيق الجنائي. لقد ورد اسم شقيق زوجته إبينيسير إيغيلسون في اللائحة بصفته عضواً عادياً: «هل التقيتما بخصوص الحزب القومي؟ هل هو ناشط الآن؟ هل هذا سبب لقائكما؟».

قال رودولف: «بالطبع لا، ما الذي تُلمّح إليه؟».

«هل تناقشتما بأمر فيلكس؟».

«لا... لماذا تلف وتدور بشأن هذه الزيارة؟ ما غايتك؟ أليس من السهل أن تطرح عليّ سؤالاً مباشراً؟».

تجاهل فلوفينت السؤال وقال: «هل تناقشتما في أمور عائلية؟».

«ليس لي علاقة بعائلته».

«أو بأمور تتعلق بعمله في المدرسة؟».

«لِمَ عسانا نتناقش في هذا؟».

«أتساءل في أمر ما... هل كان شيئاً يتعلق بالمعلمين مثلاً أو بالصبية في المدرسة؟».

جلس رودولف صامتاً، وربت صدره بشكل لاشعوري إلى أن ضاق ذرعاً بكل أسئلة فلوفينت عنه، وعن فيلكس، وأخيراً وليس آخراً عن الناظر فقال بنبرة دلّت على الاستسلام، وأنه لم يكن واثقاً من نفسه: «اعتقلني أو دعني أذهب، افعل ما تشاء، لكنني لن أجيب عن أسئلة إضافية».

نهض فلوفينت وقال: «لا بد أنني أخذت كثيراً من وقتك، أتمنى أن يكون شقيق زوجتك إبينيسير أكثر تعاوناً منك، سأقابله قريباً وستتوضح الأمور». لقد شعر أن رودولف كان مهتماً بخلاف ما أوحى به «هل تود أن أوصلك إلى المنزل؟».

«لا، أُفضّل أن أستقل سيارة أجرة».

سأل فلوفينت: «هل يعرف ابنك جنوداً أميركيين؟ أو هل هو على علاقة بأحد منهم؟».

بدت معالم الدهشة على وجه رودولف الذي قال: «ماذا تقصد؟».

«سؤالي واضح وبسيط، هل لدى فيلكس أصدقاء من الجنود الأميركيين؟».

«على حدّ علمي لا».

«ماذا عنك؟».

«ماذا؟ بالطبع لا».

«وبرأيك، كيف حصل فيلكس على مسدس الكولت عيار 0.45 الذي يستخدمه جنود مشاة بحرية الولايات المتحدة؟».

«أعتقد أن اشتباهك به في غير محله، وهذا ما سيتبين لك قريباً، لذا لا أظن أن للأسئلة الغبية أي جدوى».

«حسناً، سنكتشف ذلك، وقبل أن ننتهي كان هنالك تفصيل غريب بخصوص الجثة التي عثرنا عليها». توقف فلوفينت ليساعد رودولف على توجيه كرسيه باتجاه الرواق، لقد كان من الصعب عبور باب غرفة التحقيق الصغيرة. رفض رودولف مساعدته وطلب منه أن يستدعي حارس السجن. وتابع فلوفينت: «لم نمعن النظر في هذا التفصيل إلا بعد تشريح الجثة، حتى أننا كنا نستطيع إغفاله».

«تغفلون ماذا؟».

«الصليب المعقوف».

«الصليب المعقوف؟»

«لقد أخذ القاتل وقته ليرسم بالدم صليباً معقوفاً على جبهة الضحية، لا أعرف ما يعني هذا، أو لماذا رسمه وما هي الرسالة التي أراد إيصالها، ولكن سمح لنا أن نصل إلى بعض الاستنتاجات: مثل أن القاتل متحجر القلب ويكره الناس، أو يشعر بالحنق تجاههم. لقد بدت الجريمة أشبه بإعدام نُفّذ من دون تردّد أو ندم أو رحمة».

حدّق رودولف إلى فلوفينت في ذهول تام.

سأل فلوفينت: «هل يتصف ابنك بهذه الصفات؟ هل يملك القدرة على الإقدام على هذا الفعل الشنيع؟ هل هو من هذا النوع؟».

«ابني... ابني لن يفعل... شيئاً مثل هذا»، وللمرة الأولى في هذا الموقف المتشنج كشف تصرف رودولف عن قلق وخوف، قال: «أبداً، أبداً، لن يقدم ابني على مثل هذا العمل مهما تكن الظروف».

13

سار التجار جيئة وذهاباً، كان تاجر الجملة بائعاً متجولاً هو الآخر، لذا كان يعرف كم هو مرهق هذا العمل، وكم هي عائداته ضئيلة. وبالنسبة إلى الرجال الذين يريدون الزواج، أو لديهم عائلة، شكّلت فترات غيابهم الطويلة مشكلة لا يجدر الاستهانة بها.

لقد انتهى المطاف بمختلف أطياف الرجال إلى العمل في هذا المجال. لجأ إليه بعضهم بصفته الملجأ الأخير بعد أن أجبرتهم الظروف على ترك الأعمال الأخرى، وكان الشراب دافعاً أساسياً للرجال ليعملوا في هذا المجال. ولطالما لجأ إليه الشعراء والكتاب الشباب الذين كانت جيوبهم خاوية، فرحّب بهم وهو يعرف من خبرته أنهم لن يصمدوا. لقد كانوا مفيدين في بعض النواحي وكان يُعتمد عليهم -مع بعض الاستثناءات- في موضوع التسويق، فهم يسعون وراء ادخار مبلغ من المال لإصدار ديوان شعر أو لأخذ استراحة كي يكتبوا رواية تحقق لهم الشهرة. وعلى مدى السنوات عمل معه معلمون وسائقو شاحنات ومزارعون مفلسون ومشردون، وكان يعلم علم اليقين أن أحداً منهم لن يُعمّر في مهنة البائع المتجول.

لم يمتلك الجميع المواصفات المناسبة؛ كان هنالك رجال معتدون بأنفسهم كانوا يفيضون ثقة بالنفس لدرجة أن البضائع التي كانوا يحاولون بيعها لم تكن مهمة: فهم كانوا يستطيعون بيع أي شيء لأي كان، ولم يركّزوا على بيع المنتج بل على أنفسهم، فهم يبيعون الصداقة التي يمنحونها للمشترين بالمقام الأول. أما أفضلهم فلم يذكروا العمل إلا عندما يوشكون على

المغادرة فيضربون جباههم فجأة ويتظاهرون أنهم نسوا سبب قدومهم. لقد كانوا يخجلون تقريباً من ذكر هذا الأمر، ولكن كان بحوزتهم معاطف وفساتين عصرية للبيع، وكأن هذه المسألة كانت ثانوية بالنسبة إليهم، فهم لا يفتحون حقائبهم إلا ليسدوا صنيعاً خاصاً لأصدقائهم، وذلك بعد أن يكونوا احتسوا القهوة وشكروا مالك المتجر أو ربة المنزل على حسن الضيافة وذكروا آخر أخبار ريكيافيك: من فضائح وطرائف وشائعات عن السياسيين والشخصيات البارزة في المدينة. وكانت حكايات الثمالة وسوء الأخلاق تلقى رواجاً. ولقد نفعت هذه الطريقة في المزارع النائية تقريباً والتي لم يكن يزورها إلا قلة من الناس حيث كانت المنازل محرومة من الأخبار، لذا كان يرحّب بزيارة مثل هؤلاء الرجال المسلين.

بالمقابل كان هنالك الذين يقعون في آخر الرتل ولا يستطيعون بيع أي شيء، كان يعرف قبل أن يرسلهم في رحلاتهم أن محاولاتهم ستبوء بالفشل. كانوا في معظم الأحيان بلهاء وخجولين لا يثقون بأنفسهم وقدراتهم، وكانوا يشككون بأنفسهم من البداية، كما كانوا مقتنعين بأنهم لن يستطيعوا بيع أي شيء، ولكنهم لم يجدوا ضيراً في المحاولة. لقد حاول دعمهم بشتى الطرق، ورغم افتقادهم للمهارة اللازمة كان يعرف أن كل شيء كان وارداً ولا يجب الاستهانة بأحد. لطالما ارتكب هؤلاء الرجال خطأ تمثل بالاعتذار عندما يطرقون الأبواب، سواء في الأرياف أو المزارع، وكانت الأبواب توصد في وجوههم حين يبدؤون بالتلعثم بخصوص مهمتهم، لم يكن ذلك لأن الناس لا يهتمون بالمنتجات التي يبيعونها بل لأنهم لا يهتمون بهم شخصياً.

بعد أن شرح تاجر الجملة للضابط نظريته عن الفئتين المختلفتين من الباعة المتجولين قال: «هذا الرجل ينتمي إلى الفئة الثانية، ولكنني لا أنكر أنه أبرم بعض الصفقات الرابحة بين الحين والآخر».

كانا يجلسان في مركز الشرطة في بوسثوستريتي وكان الضابط المناوب

يستمع بصبر لثرثرة تاجر الجملة الذي تبيّن أنه يُحب الاستماع لصوته. لقد اختفى أحد الباعة ولم يُعد البضائع ولا الأموال، حاول تاجر الجملة أن يتتبع أثره، ولكنه لم يعثر على أثر له. بدا الرجل قلقاً وهو يقول هذا. لقد أخذ الأمر على محمل الجد مع أنها لم تكن المرة الأولى التي يحصل فيها هذا. وقد سبق لبائعيه أن حاولوا النصب عليه، وبالطبع تعلّم من خبرته أن يراقبهم عن كثب ويحرص على أن يعيد البضائع أو الأموال.

قال: «في بعض الأحيان أطلب منه أن يحتفظوا بأموال البضائع التي باعوها ويدفعوها لي بعد أن يسددوا ديونهم ويمكن ألا... ألا يقاوموا هذا الإغراء».

لقد بدا تاجر الجملة متحمساً ليصور نفسه على أنه أفضل رجل في العالم. كان سميناً وممتلئ الوجنتين وعريض الفك. لقد ذكّر الشرطي برسوم الكاريكاتور للرأسماليين في مجلة سبيغيلين. ولتكتمل الصورة كان يُدخّن سيجاراً رخيصاً كلله بغيمة من الدخان الكثيف، وكان يتطبع بصفات قيادية، ولكن في الوقت نفسه كان يظهر تفهماً متعاطفاً للضعف الإنساني وإرادة لمساعدة من قال عنهم: الذين لن يستطيعوا يوماً احتلال العالم، لقد لمّح بهذا الحديث أنه قد حقق هذا بطريقته الخاصة.

قال الضابط الشاب عديم الخبرة: «سيدي هل تريدنا أن نعثر على هذا الرجل؟». لقد كان متلهفاً ليبذل كل ما بوسعه لمساعدة الذين يقصدون مركزه، سواء كانوا تجار جملة أثرياء أو مشردين.

قال تاجر الجملة: «نعم، هذا ما أريده بالضبط قبل أن يتفاقم الوضع إن كنت تعرف ما أقصد».

«ماذا تقصد بيتمادى الوضع...؟»

قال تاجر الجملة: «يبدو أنك لم تكن تسمعني؛ أقصد السرقة. لا أحبذ أن أتهم هذا الرجل بسرقتي».

قال الشرطي: «قلت إنك لم تعثر عليه في أي مكان، أليس كذلك؟».

أجاب تاجر الجملة: «لقد بحثت في كل مكان، كان عليه أن يأتي إلى مكتبي فور عودته من رحلته، ولكنه تخلف عن ذلك. ذهبت إلى منزله في اليوم التالي، ولكنه كان مقفلاً، ولم يكن هناك أحد، ولم يره الجيران. لم يروا المرأة التي كان يعيش معها، ويبدو أنها اختفت عن وجه الأرض هي الأخرى. لقد ذهبت إلى هناك أكثر من ثلاث مرات حتّى الآن ولم أجد أحداً تعود أن يأكل في هريسينغارسكالين في الأوقات التي يكون فيها في المدينة، ولكن العاملين هناك لم يروه ولم يعرفوا عنه شيئاً، أعترف أنني قلق قليلاً».

«هل سبق لك أن شككت بنزاهته؟».

«لا، لم أُشكك ولا أريد أن اتهمه بأي شيء حالياً، ولكن لم يسبق له أن اختفى هكذا».

«هل تشك في أن خطباً ما أصابه؟».

قال تاجر الجملة وهو ينفض سيجاره في المنفضة على مكتب الضابط: «لا أستطيع التفكير في أي شيء فهو شاب غير مؤذٍ، ولكنني أتساءل إن كنتم تستطيعون الدخول إلى شقته. وإذا افترضنا أنه مفقود أو مختفٍ فربما يكون ميتاً».

«هل يعمل معك منذ فترة طويلة؟».

أجاب تاجر الجملة: «نعم، منذ سنة تقريباً، تمنعه آراؤه السياسية من الحصول على عمل مع الجيش، فهو يتأفف دوماً من الانتهازية ومصادقة الرأسماليين والفتيات للجنود، إنه يظن أن الأمور تنحو نحو الأسوأ».

«حقاً؟ هل هو مؤيد للألمان؟».

«لا، إنه على العكس تماماً، إنه يدعم الاشتراكية. يا له من شيوعي مسكين، ولذلك أنا قلق عليه. أشك في أنه سمع شيئاً عن خليلته وأقدم على تصرف غبي».

«ما الذي سمعه؟ ماذا بشأن خليلته؟».

«لقد سمعت أنها خرجت من المنزل، وسلكت درب الرذيلة برفقة أحد الجنود، ولكنني لا أعرف شـيئاً عن هذا. كل ما أعرفه هو أن هذا الرجل عاد إلـى المدينـة، وهـذا مـا أخبرنـي إياه بحارة سـود. لطالما أبحـر على متن هذه السـفينة وقالوا إنه كان على متنها حين عادت إلى الديار منذ وقت قليل، أما الآن فلا يعرف أحد مكانه».

14

لقد كانت القنصلية الألمانية فارغة ومهجورة، وهي عبارة عن مبنى كبير تحتوي واجهته الأمامية على نافذة دائرية تطل على شارع تونغاتا، وعلى بعد مسافة قليلة كانت راهبات كنيسة القديس جوزيف يعتنين بالمرضى. أما في الجهة المقابلة فتقع الكاتدرائية الكاثوليكية ذات البرج الرمادي القصير، وعلى الهضبة تصطف الفيلات الإسمنتية الجميلة على جانبي الشارع، أعلى أكواخ غريوتاثروب الخشبية. وكانت مصابيح كل هذه الأبنية تتوهج وتتلألأ باستثناء القنصلية التي كانت تحدق إلى الظلمة بعينها الوحيدة.

هبت رياح شمالية قوية، وجلبت معها برداً قارساً في الوقت الذي دخل فيه فلوفينت وثورسون القنصلية بواسطة مفتاح أخذاه من الاستخبارات المضادة الأميركية. لقد تولت الحكومة السويدية جميع أنشطة القنصلية وهي تتدبر شؤون المواطنين الألمان في آيسلندا. لقد ظل المبنى فارغاً منذ أحد صباحات أيار العام الماضي عندما اعتُقل القنصل، ولم يعرف فلوفينت ما حدث بعد اعتقاله فوراً، ولكن حُقِقَ مع بعض المدنيين الألمان في مدرسة ميدبيار واحتجزوا هناك قبل أن يُرسلوا إلى بريطانيا.

لقد أصبحت ليالي شهر آب أقصر، ومع ذلك جلب فلوفينت معه مصباحاً. وجد الرجلان نفسيهما في ردهة قادت إلى غرف استقبال، قادت بدورها إلى درج لولبي في الجهة اليسرى. بدا أن المبنى أُخلي على عجل، وأزيل كل شيء تقريباً، ولكن ما زال هناك خزائن وطاولات وكراس هنا وهناك، وأوراق وصناديق فارغة وصحف قديمة وقطع ثياب ومناديل، وكانت

الستائر الممزقة منسدلة على الأرض. بين هذه الفوضى العارمة كان هنالك صورة لأدولف هتلر، وكان زجاج إطارها مكسوراً وكأن أحداً قد داسها. وجدا بين الركام علمين ممزقين عليهما صليبان معقوفان باللون الأسود.

جابا أنحاء الطابق الأرضي في صمت، لم يخترقه سوى صوت سيارة تتحرك بصعوبة في تونغاتا، وتناثرت الأوراق المحروقة في الأروقة والممرات. سُمح لثورسون بتصفح الملفات التي أخذها البريطانيون من مكان إقامة جيرلاش وسلموها إلى الاستخبارات الأميركية، تُرجم كثير منها إلى اللغة الإنكليزية، ولكن لم يعثر فيها على ذكر لفيلكس أو رودولف لاندين.

أظهرت معظم الملفات تعاملات القنصل مع الآيسلنديين بالإضافة إلى مراسلاته مع حكومته التي يتذمر فيها من أن الرايخ الثالث لم يكن يحظى بالاحترام الكافي، واعتقد ثورسون أن معظم الأشياء لم يكن لها علاقة بقضيته. استخلص أن دور ويرنير جيرلاش كان توحيد المجتمع الألماني في آيسلندا تحت علم النازية والتحريض على التمرد. ولاحظ أن الأوراق الأخرى التي سُمح له بتصفحها نجت من المحرقة التي أوقدها جيرلاش في حوض استحمامه، وأظهر العديد منها أن القنصل كان ينظر إلى الآيسلنديين نظرة ازدراء على أقل تقدير.

عندما دخل ثورسون وفلوفينت مكتب القنصل رأيا زيين خاصين بالحرس الشخصي لهتلر، وكان أحدهما فوق الآخر في إحدى زوايا المكتب، وكان هناك المزيد من الصور المؤطرة لشخصيات قيادية في الرايخ الثالث على الأرض، تناول فلوفينت صورتين وأراهما لثورسون، كانتا لهاينريتش هيملر وهيرمان غورينغ وكانتا موقعتين بـ «مع أطيب التمنيات للقنصل».

قال ثورسون وهو يشير إلى هيملر: «أعتقد أنه كان وجيرلاش صديقين مقربين، ولكن لا أعرف شيئاً عن الرجل الآخر».

لقد أتيا إلى هنا بحثاً عن إثباتات تربط القنصل بآل لاندين وعن أدلة عن مصدر كبسولة السيانيد وأي شيء يساعدهما بالتحقيق في قضية اختفاء فيلكس. قبل أن يأتيا جلسا لساعات في مكتب فلوفينت في المبنى الكبير رقم 11 فريكيريكيوفيغور، وحاولا معرفة طريقة المتابعة في الإجراءات. في النهاية توصلا إلى أن الحل الأمثل كان زيارة القنصلية الألمانية. لم يكن هناك معلومات عن مكان فيلكس، ولم يتعرفا إلى هوية القتيل، كانت النظرية الأكثر ترجيحاً هي أن فيلكس أطلق النار على الرجل بنفسه وهرب، ولعله يبحث الآن عن طريقة يغادر بها البلد. لقد أشارت كبسولة السيانيد إلى علاقته بألمانيا، ولعلها وصلته عن طريق القنصل. لم يمتلكا دليلاً آخر، وأخبر فلوفينت ثورسون عن مقابلته المتعبة مع رودولف لاندين، وكيف أن الطبيب لم يتأثر بأي شيء تقريباً إلى أن ذكر فلوفينت الصليب المعقوف على جبهة الضحية، فعجز عن الكلام عند ذكره.

قال فلوفينت حين أنزل صورتي هيملر وغورينغ مجدداً: «هناك شيء يحيرني في رودولف لاندين؛ كنت أتساءل لماذا لم يُعتقل مع القنصل جيرلاش والمواطنين الألمان الآخرين الذين اعتبر البريطانيون اعتقالهم ضرورياً؟ كيف تملص من هذه الشبكة؟ نادراً ما تساهل البريطانيون في مثل هذه الأمور ومع ذلك سمحوا له بالبقاء».

قال ثورسون: «إنه مواطن آيسلندي أليس كذلك؟ وهو يعيش هنا منذ ثلاثين سنة»، صعد الدرج، وتبعه فلوفينت ثمّ تابع إلى السقيفة، لقد وجدا نفسيهما في الغرفة ذات النافذة المدورة التي تطل على الشارع.

قال فلوفينت: «وهو مقعد ومتقدم في السن».

«هل هناك تفسير آخر؟ أخبرني رجلا الاستخبارات أنهما عزما على التحقق من خلفيته واستجوابه بعناية، ولكنهما لم يتابعا الأمر، فهما لم يجدا

دليلاً يفضي إلى أنه يُشكل تهديداً، وبالتالي لم يجدا ما يبرر اعتقال بريطانيا له».

سأل فلوفينت وهو يمرر مصباحه في أرجاء السقيفة: «على الرغم من أنه كان صديقاً لجيرلاش وعضواً ناشطاً في الحزب القومي؟ هناك حلقة مفقودة برأيي حيث كان يجب ترحيله مع البقية».

قال ثورسون: «إن ويرنر جيرلاش هذا شخصية مثيرة للاهتمام، لقد أعطياني ملخصاً عن عمله في الاجتماع الذي حصل في مستشفى ليبير القديم، ولكنني أظنك تعرف التفاصيل؟».

«لا، في الواقع لا أعرف كثيراً عنه».

قال ثورسون: «كان طبيباً وأستاذاً للتشريح في جامعة جينا، لقد أتى إلى هذا البلد قبيل اندلاع الحرب في نيسان عام 1939. تعتقد الاستخبارات أنه أرسل إلى آيسلندا بتعليمات مباشرة من هيملر الذي كان كبقية النازيين مهتماً للغاية بهذا البلد».

«نعم، يعتقدون أن آيسلندا مسقط رأس العرق الألماني الشمالي الصافي منذ أيام الفايكنغ».

«ولكنكم في الحقيقة مجموعة من الضعفاء المتخلفين؟».

ابتسم فلوفينت وقال: «نعم».

«وعلى ذكر هذا هناك حقيقة يجدر ذكرها بخصوص جامعة جينا وتتعلق بهذا الاهتمام في الصفاء العرقي».

سأل فلوفينت: «لم يسبق لي أن سمعت بهذه الجامعة».

قال ثورسون: «ولا أنا، ولكنها مهتمة بأبحاث علم تحسين النسل والجينات بما فيها دراسات عن المجرمين. تعتبر هذه الجامعة الأولى في مجالها في ألمانيا، النازيون مهووسون بفكرة أن الصفات الإجرامية وراثية، ولقد أرسوا العديد من البرامج البحثية لإثبات هذا. يعرف غراهام وبالانتاين

دراسات مماثلة قائمة في معسكرات الاعتقال النازية، ذكرا أن المعسكر في مكان يدعى... ما كان اسمه؟ بوخينفالد على ما أعتقد. يبدو أن الألمان يجرون تجارب جينية على المعتقلين هناك».

«أليس هذا محض هراء؟ أي أن الصفات الإجرامية متوارثة؟».

رفع ثورسون كتفيه وقال: «يعتقد النازيون أنهم وجدوا حلاً لهذه المشكلة».

«وهو؟».

قال ثورسون: «التعقيم، لم يعرفوا طريقة أبسط أو أكثر فاعلية للحدّ من ولادة المجرمين أنجع من التعقيم».

«هل هناك أساس لزعمهم هذا؟».

قال ثورسون: «هذا ما يقوله أصدقاؤنا في مستشفى ليبير»، ركل صحيفة مجعدة، فانفتحت وظهر منها بعض قصاصات الورق، انحنى ثورسون ليلقي نظرة، وعثر على ورقتين محروقتين وبدا أنهما انتزعتا من كتاب، لم يكن هناك أثر للكتاب بحدّ ذاته، ولكن لا بد أن نيران حوض استحمام القنصل طالته، بدا أن الصفحتين المحروقتين من الأعلى والأسفل كانتا من دفتر للزوار، رفعهما ثورسون بحذر شديد، ورأى تاريخاً يشبه 1939، كانت هناك كتابة بخط اليد على جهتي الورقتين، وعلى الرغم من عدم وضوح الخط استطاع أن يقرأ بعض الأسماء والكلمات التي لم تطلها النيران.

في الوقت الذي وجّه فيه فلوفينت مصباحه إلى الكلمات، حاول ثورسون جاهداً قراءتها فهو يعرف القليل من اللغة الألمانية، استطاع قراءة بعض الأسماء، كانت لأشخاص ألمان وأرفق بعضها بعبارات أو تعليقات مثل: مع الشكر الجزيل لضيافتكم أو شكراً على السهرة الممتعة بصحبة الرفاق.

سأل فلوفينت وهو يعاين الكتابات: «هل تشي بشيء مهم؟».

قال ثورسون: «على الأرجح لا».

سأل فلوفينت وهو يمسك بإحدى الورقتين: «ما هذا؟ ماذا كتب هنا؟».

لفت انتباه ثورسون إلى توقيع كان من الصعب قراءته، لم يكن هناك تاريخ قرب الاسم أو أي معلومات عن هدف الزيارة.

سأل وهو يحدق إلى الكتابة: «ما هذه الكنية؟ أليست لاندين؟ أليس المكتوب لاندين؟».

حدق ثورسون إلى الاسم غير المقروء تقريباً، لقد كان الحرف الأول هاء أما الحرف الثاني فلم تكن قراءته ممكنة ثمّ حرف نون وفي النهاية حرف يشبه السين، كانت الكنية تبدأ بحرف اللام... وتلاه حرفان غير واضحين ثمّ حرف دال وياء وفي النهاية كان هناك حرف من المستحيل قراءته، ه-نس ل-دي-.

قال فلوفينت: «ربما كان هانس أو شيئاً يشبهه؟ هانس لاندين؟ من المؤكد أن الكنية لاندين أليس كذلك؟».

«نعم، هذا ما تبدو عليه».

«هل هذا فرد آخر من آل لاندين؟».

«إنه احتمال وارد جداً، ولكن ربما تكون شيئاً آخر، لست بارعاً في الأسماء الألمانية».

قال فلوفينت: «إن كانت الكنية لاندين فعلاً... ألا يمكن أن يكون... ماذا؟ شقيق فيلكس؟ لقد فهمت أنه ولد وحيد».

«أو شقيق رودولف أو قريبه مثلاً، أياً يكن فهو على علاقة وثيقة بويرنير جيرلاش بما أنه دعي إلى هنا».

«فيلكس ورودولف والآن هانس؟».

«من هؤلاء الناس؟».

«ما هذا الذي أمام اسمه؟ مزيد من الحروف؟».

عانى ثورسون في تهجئة الحروف: «من المستحيل قراءة ما كُتب، إلا إذا... هل يمكن أن يكون هذا حرف دال وبالقرب منه نقطة؟».

«دال، ما هذا؟».

«هل يمكن أن يكون كناية عن اختصار لكلمة دكتور؟».

فكّر فلوفينت قبل أن يقول: «الدكتور هانس لاندين؟ هل أصبح لدينا الآن طبيب آخر؟». وجّه مصباحه إلى الزاوية حيث كانت القصاصتان مجعدتين في الصحيفة، ثم وجه الضوء إلى الصفحتين ورفع عينيه لثورسـون وكرر كلماته هامساً: «أصبح لدينا طبيب آخر».

15

راقبا رجلاً يبلغ من العمر ستين عاماً تقريباً وهو يُخرج مجموعة من حبال الصيد من سيارته بهدوء تام، ثمّ يضعها في مستودع. قرر فلوفينت أنّ عليهما زيارة الناظر شقيق زوجة رودولف في حال عاد من رحلته، وحين رأى فلوفينت الشخص الذي كان يمسك بالحبال ركن سيارته وترجل منها هو وثورسون وتوجها نحوه.

سأل فلوفينت: «إيبينسير؟».

انتبه الرجل لهما وهما يركنان السيارة خارج منزله، ولكنه تظاهر بعكس ذلك. كان يرتدي ملابس صيد سمك السلمون وسترة واقية من الماء فوق الكنزة الآيسلندية التقليدية التي تدعى لوبابيسا وبنطالاً خاصاً للخوض في الماء. بدا وكأنه عاد لتوّه من ضفة النهر.

سألهما: «هل أعرفكما؟».

كرر فلوفينت سؤاله: «هل أنت إيبينسير إيغليسون يا سيدي؟».

«من أنتما؟».

«اسمي فلوفيننت وأنا أعمل في قسم التحقيق الجنائي، وهذا شريكي ثورسون من الشرطة العسكرية.، نحن نحقق في قضية ابن أختك فيلكس لاندين».

بدا الرجل محتاراً: «فيلكس؟ أحقاً هذا؟ لم... لم أسمع أي شيء بخصوص هذا، هل فيلكس على ما يرام؟ هل هو متورط في مشكلة ما؟».

قال فلوفينت: «لسنا متأكدين، ولكننا نريد التحدث إليه، هل تعرف أين هو؟».

«أين هو؟ ماذا يحدث هنا؟ كنت في الخارج... كنت أصطاد السمك و... لا أعرف شيئاً عن هذا الموضوع، لِمَ تبحثان عنه؟».

سأل فلوفينت: «أتعني أن صهرك رودولف لم يخبرك بشيء؟».

«رودولف؟ لا. هل أصابه مكروه؟ هل هو على ما يرام؟».

«لقد تحدثنا إليه باكراً صباح اليوم، أفهم من هذا أنك إيبينسير إيغليسون يا سيدي؟ ناظر...؟».

«نعم، أنا إيبينسير. اسمعني، ما به فيلكس؟».

«يجب أن نتحدث إليه».

سأله فلوفينت إن كانا يستطيعان الدخول فهما يودان طرح بعض الأسئلة عليه. في البدء، رفض إيبينسير واحتج بالتعب بعد أن أمضى كل يومه في القيادة على طرق وعرة، ولكن عندما لاحظ إصرار فلوفينت اعتقد أنه من الأفضل له أن ينتهي من الأمر، وبدا راغباً بمعرفة المشكلة التي يتورط بها ابن شقيقته. بدا المنزل ثقافي الطابع، كانت هناك رفوف في كل مكان تعج بشتى أنواع الكتب وكانت الجدران مزينة بلوحات لأشهر فناني آيسلندا المختصين برسم المناظر الطبيعية وتوزعت بعض الصحف والمجلات الأكاديمية على الطاولات، كانت معظم الكتب عن علم الأنساب، وحين استفسر فلوفينت عنها شرح إيبينسير أنه يهوى هذه المواضيع ويستمتع بتتبع أشجار عائلات الناس.

أوجز له فلوفينت القضية، وبدأ من اللحظة التي أُبلغت فيها الشرطة عن العثور على جثة في شقة الطابق الأرضي، ولكنه حرص على عدم البوح بكثير من التفاصيل. وصف له مسرح الجريمة، ولكنه لم يذكر المسدس الأميركي والوسم على جبهة الضحية، اكتفى بالقول إن الشرطة لم تتعرف إلى هوية

القتيل بعد وأنهما تحدثا إلى رودولف.

اعتلت تعابير الشك وجه إيبينسير، وبدا أنه يجد صعوبة في استيعاب كل ما سمعه، ولكن الصورة توضحت له شيئاً فشيئاً. ظل يسأل عن فيلكس، هل يعتقدان أنه ميت أو في خطر؟ لمن تعود الجثة التي عثروا عليها في الشقة؟ هل يشتبهان بفيلكس؟ ولكن إجابات فلوفينت وثورسون لم تشفِ غليله.

سأله فلوفينت الذي تولى زمام الحديث: «لا أظنك كنت هنا وقتها؟».

قال إيبينسير: «لقد غادرت منذ أسبوع لاصطياد السمك، عاد زميلي إلى المدينة أول من أمس، هل تقصد... هل تسألني عن شيء يشبه... حجة الغياب؟».

قال فلوفينت: «هذا إجراء طبيعي... أحتاج إلى اسم شخص يمكنه أن يدعم حجتك».

أعطاهما إيبينسير اسمين متذمراً فقد اعتقد أن كلمته كانت كافية.

أكد له فلوفينت أنه لم يكن هناك داعٍ للقلق، وكرر أن هذا إجراء روتيني، لم يكن هذا الرجل عدوانياً مثل صهره، ولكن تحت ستار الرجل المظلوم شعر فلوفينت ببعض ردود فعل مماثلة للتي أظهرها رودولف: الدفاعية، وعدم التعاون، والرياء ونفاد الصبر. واستشف من مظهر إيبينسير الأشعث وصوته الأجش أنه يُفضّل العزلة.

قال إيبينسير بعد أن تنحنح: «لا أُصدق أن فيلكس... يقدم على مثل هذا الفعل، لا شك في أنه سيظهر عاجلاً أم آجلاً ويشرح حقيقة الأمر، لا أشك في هذا».

«سنرى، هل تعرف أين يمكن أن نعثر عليه؟».

«لا، أبداً. آخر ما سمعته أنه يعمل بائعاً متجولاً، وكان يغادر المدينة لفترات تطول أو تقصر. هل أنت متأكد من أنه ليس في إحدى رحلاته؟».

نظر ثورسون إلى فلوفينت، ولاحظ معالم عدم رضا عن فيلكس في

كلمات خاله، وكأن عمله بائعاً متجولاً لا يليق بشـاب مثله. تسـاءل إن كانت هذه العائلة التي تزخر بالمدراء والأطباء والأكاديميين قد خاب أملها بفيلكس، ولكن وجهه لم يكشـف عن شـيء، ولم يتبين إن كان فلوفينت قد لمس شيئاً من هذا هو الآخر.

قـال فلوفينـت: «ربمـا، هـل تعـرف إذا كان يرتـاد القنصليـة الألمانية في تونغاتا؟».

«لا... القنصلية؟».

«هل اعتاد زيارتها؟».

«لا... أنّى لي أن... أن أعرف، لِمَ...؟».

انهال عليه فلوفينت بوابل من الأسئلة: «هل تملك أو لديك وصول إلى سلاح؟».

قال إيبينسـير بحزم وكأن الأسـئلة أغضبته: «لا، لا أملك مسدسـاً وليس لديّ وصول إلى أي سـلاح. أرمي حبل الصنارة لاصطياد سـمك السـلمون أحياناً، وهذا أقرب شيء وصلت إليه في مجال الاصطياد، لا أستخدم الأسلحة وبصراحة تامة أجد صعوبة في فهم لماذا تسألني عن امتلاكي مسدساً».

«هذه الأسئلة روتينية علينا طرحها على كل من له علاقة بفيلكس، ليس عليك أن تفكر كثيراً بالأمر يا سيدي».

«ولكننـي لا أفضّـل... يبـدو مـن نبرتـك وأسـئلتك أنك تعتبرنـي مجرماً مخضرماً».

طمأنه فلوفينت وهو يعتمد على رباطة جأشـه: «على العكس تماماً، هل لي أن أسألك عن أي علاقات تربطك بجنود بريطانيين أو أميركيين؟».

«لقد تعاملت معهم بشكل تلقائي، وقد انتفعوا من بعض مباني المدارس. ولكن لا تربطني علاقة مباشرة بأي واحد منهم».

«ماذا عن فيلكس؟ هل تعرف عن علاقة تربطه بأحد جنود الاحتلال؟».

«لا أعتقد، ولكن أنى لي أن أعرف».

سأل فلوفينت: «كيف هي علاقته بأبيه؟ هل هما على وفاق؟».

«أعتقد أن من الأفضل أن تسألهما عن الأمر».

«نعم بالطبع، متى رأيت فيلكس آخر مرة؟».

لم يستطع إيبينسير تحديد ذلك، عقد حاجبيه، وبدا أنه يحاول تذكر متى التقى به آخر مرة وقال إن ذلك جرى مطلع الصيف منذ شهر تقريباً، ما لم يكن مخطئاً، حين عاد فيلكس من إحدى رحلاته. لقد التقى به صدفة في وسط المدينة في بوسثوستريتي وقتها أخبره فيلكس أنه ترجل للتو عن متن سود بعد مهمة في إقليم المضايق، لقد كان متحمساً كالعادة. لطالما كان فيلكس شخصية اجتماعية ويسهل عليه التعاطي مع الناس، لا بد أن هذه الصفة سهّلت عليه عمله، كما ذكر له مدى نجاح رحلته. لقد تجاذبا أطراف الحديث قبل أن يضطر فيلكس للمغادرة.

«هل كان يحمل حقيبة؟».

قال إيبينسير: «نعم، أتوقع هذا مع أنني لم أعر الأمر اهتماماً».

سأل فلوفينت: «هل تعرف شيئاً عن كبسولة السيانيد؟».

«كبسولة ماذا؟! السيانيد».

«هل ستفاجأ إن قلنا لك إننا عثرنا على كبسولة سيانيد في حقيبة فيلكس، وأفضت التحاليل إلى أنها ألمانية الصنع؟».

حدق الناظر ببلاهة إلى فلوفينت، ولم يبدُ أنه فهم ما قاله.

كرر فلوفينت سؤاله: «هل ستفاجأ بهذا؟».

قال إيبينسير: «لم يسبق لي أن سمعت بها، سيانيد...؟».

شرح فلوفينت: «إنها كبسولة تعرف بحبة الانتحار، يموت من يبتلعها في غضون ثوانٍ، هل تستطيع التفكير في سبب يدفع فيلكس للاحتفاظ بها في متناول يده؟».

«لا، عليّ أن أعترف... عليّ أن أعترف أنني لا أعرف شيئاً. في الحقيقة، لقد فاجأني ما أخبرتني به للتو، لِمَ حمل فيلكس... حبة مثل هذه؟ لا بد أن هناك خطأ ما، أليس كذلك؟».

«هل قابلت الدكتور هانس لاندين حين زار البلد منذ سنوات؟».

ردد الناظر في دهشة: «هانس؟ ما به؟».

«هل قابلته؟ هل تعرفه؟».

«في الواقع أنا... لا، ليس تماماً، إنه...».

«نعم؟».

«إنه شقيق رودولف، ولكن لا بد أنكما تعرفان هذا، وهو يعيش في ألمانيا».

«هل هو هناك الآن؟».

«أعتقد ذلك، ولكن لم أفهم الغاية من سؤالك، ما علاقته بهذا؟».

تابع فلوفينت وكأنه لم يسمع السؤال: «لقد فهمت أن هانس لاندين زار آيسلندا في العام 1939، هل أنا محق؟».

قال إيبينسير: «نعم، لقد كان هنا قبيل الحرب تقريباً أي في الربيع إن أسعفتني الذاكرة».

«هل قابلته؟».

«نعم، مرة واحدة في حفلة أقامها صهري، اسمعني. أشعر وكأنني أُستجوب، هل تسببت بأي شيء؟ لِمَ تنهال عليّ بهذا الوابل من الأسئلة؟ ألا يمكنك أن تنتظر إلى يوم غد؟ أنا... لقد كان يومي طويلاً وشاقاً كما سبق لي وأن أخبرتك، أنا متعب بالفعل».

قال فلوفينت: «بالطبع، لن نأخذ مزيداً من وقتك، هناك فقط بعض النقاط التي علينا تغطيتها، هل تظن أن هانس لاندين هو من زوّد فيلكس بكبسولة السيانيد؟ أم تستبعد هذا الاحتمال؟».

نقل إيبينسير ناظره بينهما وكان وجهه يفضي بمعالم الدهشة والشك.

سأل فلوفينت حين استشعر أن الناظر لن يجيب: «برأيك هل جلب مزيداً من هذه الحبوب إلى هذا البلد؟».

قال إيبينسير: «لا أفهم ما تُلمّح إليه، لا أعرف ما جلبه هانس لاندين أو ما لم يجلبه إلى آيسلندا، لم أفهم المغزى من كل هذه الأسئلة الملغومة التي طرحتها عليّ، هل تحاول تجريمي عن طريق ربطي بـ... بحبة الانتحار هذه؟ لا أستطيع استيعاب منحى هذه الأسئلة، لقد خانني التعبير ولا أعرف ماذا تتوقع مني أن أجيب».

قال فلوفينت: «لا، لم أتفاجأ بهذا، صدقني حين أقول لك إن هذا الأمر جديد عليّ كما هو جديد عليك، ولكنني أودّ أن تتفهم أن عليّ طرح الأسئلة. من فضلك تحملني قليلاً، أعرف أنك ورودولف كنتما عضوين في الحزب القومي، هل أتى الدكتور هانس لاندين إلى آيسلندا بصفته عضواً؟ أي بصفته عضواً في الحزب القومي؟».

«لا أعتقد هذا، ولكنني لم أكن عضواً نشطاً للغاية، كما كنت أعرف القليل فقط عن ترتيباتهم لذا أخشى أنني لا أستطيع الإجابة عن هذا».

«هل ما زلت مؤيداً للنازية؟».

قال إيبينسير وهو ينظر إلى ثورسون: «بالطبع لا، ولكنني لا أظن أن هذا يعنيك، لا أستطيع أن أفهم ما تريده مني، أضف إلى ذلك أن الوقت تأخر...»

حاول فلوفينت أن يغير المسار لأنه لم يرد أن ينفر الناظر فهو واثق من أنه سيلتقي به قريباً فقال: «أعتقد أنه كان لدى فيلكس علاقات مباشرة مع ألمانيا أي مع أقربائه هناك».

قال إيبينسير الذي بدا مرهقاً: «لقد أمضى وقتاً أكثر في الدنمارك، لعلك تعرف أن جدته دنماركية؟ سأكون ممتناً لك إذا توقفنا الآن».

تظاهر فلوفينت أنه على وشك المغادرة فقال: «بالطبع، لقد تأخر الوقت

كما ذكرت، شكراً لاستضافتنا في هذا الوقت غير المناسب. لقد أتينا لنرى إن عدت إلى المنزل، هل ذهب فيلكس إلى الدنمارك حديثاً؟».

قال إيبينسير: «في الواقع لم يمر وقت طويل على عودته إلى دياره، لقد علق هناك حين احتلها النازيون... الألمان في السنة الماضية وظل في كوبنهاغن إلى أن عثر على سفينة أعادته إلى آيسلندا».

«أحقاً هذا؟ كان في الدنمارك منذ وقت قريب؟ ماذا كان يفعل هناك؟».

«لقد بقي هناك لسنتين، ومن الطبيعي أنني لا أعرف ماذا فعل خلالهما».

«حسناً، شكراً جزيلاً، لن نعطلك أكثر، لقد قدمت لنا الكثير، وقبل أن أنسى هناك شيء أخير، هل قابلت رودولف مؤخراً؟».

قال إيبينسير بحزم: «لا، لم أرَه منذ مدة».

«لم تزره؟ ولم تره مطلقاً؟».

«لا، لا، لم أرَه».

تصافحوا عند الباب، وابتسم فلوفينت بتودد ليخفي حقيقة أنه كان يعرف الحقيقة.

16

طلب ثورسون من فلوفينت أن يقله إلى فندق بورغ. جلس في المقعد الأمامي محتضناً الورقتين المحروقتين اللتين وجداهما في القنصلية الألمانية، وحاول أن يستنبط مزيداً من الأسماء تحت ضوء المصباح، وهذا ما بدا مستحيلاً بسبب حال الورقتين وحركة السيارة. لقد تناقشا بما أسرّت به خادمة رودولف لفلوفينت حول زيارة الناظر، ولم يستطيعا التفكير في سبب يدفع إيبينسير لإخفاء الأمر.

قال فلوفينت: «لا أعتقد أنه كان بوسعنا الحصول على مزيد من المعلومات منه اليوم، ولكن عليّ أن أستجوبه أكثر عن صداقة الأخوين لاندين مع القنصل الألماني. سأتحدث إليه مجدداً في الغد، ولعلّ من الأفضل أن أقابله بمفردي. يبدو أن وجود ممثل عن قوى الدفاع زاد من تحفظه».

سأل ثورسون: «ما الذي كانت تتحدث عنه الخادمة؟ من هؤلاء الصبية؟».

قال فلوفينت: «وحده الله يعلم، كانا يتشاجران بخصوص بعض الصبية، هذا كل ما قالته، عليّ أن أتحدث إليه مجدداً».

قال ثورسون: «إنه ناظر مدرسة بالنهاية».

قال فلوفينت: «نعم، ولكنني لا أرجح أنهما تجادلا بشأن صبية المدرسة. ما أثار شكوكي هو كذب إيبينسير بشأن أمر بديهي مثل زيارته لصهره. لِمَ أراد أن يخفي عنا أمر لقائه بصهره وشجارهما؟ ما الذي يخفيه؟».

قاطعه ثورسون: «يمكن على الأرجح اكتشاف هذا القسم أيضاً»، وهو يشير إلى اسم غير مقروء تقريباً على الصفحة التي كتب عليها اسم الدكتور

الألماني. كان ينظر إلى الكتابة في الوقت الذي كانا يتحدثان فيه وكانت الكتابة تلمع تحت ضوء المصباح المسلّط على الصفحتين المحروقتين، وحاول توجيه الضوء في كل زاوية ممكنة ورفع الورقتين فوق رأسه أيضاً كي يستطيع فك الأحرف.

سأله فلوفينت: «ما المكتوب؟ من هذا؟».

حاول ثورسون قراءة الأحرف وتخمين النواقص، كان الاسم الأول أقل تأثراً واعتقد أنه يستطيع اكتشافه.

«يبدو لي وكأنه اسم طويل... برين... هيلدور، و... ما هذا؟ يبدو أنه اسم عائلة وليس اسماً مركباً ... ه ... ي ... أو و ... هل هذا حرف لام؟ هيل...؟ ليس هيلينا، أو... ربما هو هولم؟ هل هذا ممكن؟ برينهيلدور هولم؟ هل هذا اسم آيسلندي؟».

وصلا إلى فندق بورغ، ركن فلوفينت أمام الباب الدوار وأوقف عمل المحرك. كانت المدينة مكتظة ككل يوم جمعة، وكانت صالات الرقص مفتوحة. تمشى اليافعون في أنحاء بوسثوستريتي يداً بيد، بين الحين والآخر، ومرت فتاة ممسكة بيد جندي، وراقب فلوفينت ثنائياً يدخل الفندق، وتساءل إن كان ثورسون لديه موعد هنا، ولكن من المستحيل أن يستفسر عن هذا الموضوع. فعلى الرغم من أنه أعجب بالكندي الشاب إلا أن صداقته به لا تزال سطحية.

قال: «نعم، هذا ممكن، ولكن لم يسبق لي أن سمعت به، هل حضرتْ المناسبة نفسها التي حضرها هانس لاندين؟».

قال ثورسون: «يصعب علينا معرفة ذلك، ولكن يجب أن نحاول العثور عليها، ربما تعرف شيئاً يفيدنا عن هانس لاندين إذا كانت ضيفة في القنصلية في الوقت ذاته».

قال فلوفينت: «صحيح، إنها فكرة سديدة»، سأله وهو يشير إلى الفندق:

«هل ستأخذ عطلة هذه الليلة؟».

أجابه ثورسون: «لا، لقد فرزت إلى هنا حالياً، لديّ غرفة صغيرة في الطابق العلوي، ولكن ربما سأدخل الحفلة الراقصة في القاعة الذهبية، أليس هذا اسم صالة الرقص؟».

قال فلوفينت وهو ينظر إلى ساعته ليكتشف كم تأخر الوقت: «نعم، هذا صحيح، الصالة الذهبية، استمتع بوقتك، سنتحدث في الصباح».

تمنى له ثورسون ليلة سعيدة، وأوشك أن يترجل من السيارة، ولكنه عدل عن ذلك وأغلق الباب مجدداً. لقد أجّل النقاش مع فلوفينت في أمر ولكن تبيّن له الآن أنه مهم. حاول معرفة إن كان ذا صلة بالقضية أم لا، ولم يتوصل إلى شيء، ولكن الفكرة لم تغب عن باله، وشعر أن عليه مشاركة مخاوفه مع المحقق الآيسلندي.

«هناك أمر يقلقني، ولا أعرف إن كان يجدر بي التحدث بشأنه».

«ما هو؟».

«كنت أفكّر في هذه القضية التي نعمل عليها وعلاقتها بالقنصلية الألمانية، والمواطنين الألمان الذين يعيشون هنا، وبالنازية وهكذا...»

تحفّز فلوفينت وقال: «ما الذي يقلقك؟». وتفحص الجندي الشاب الذي كان يتحدث الآيسلندية لغة أبويه المهاجرين وكانت هناك لكنة شمالية في كلامه، لقد بدا في غاية الاضطراب.

تابع ثورسون بعد أن صمت لفترة وجيزة: «بالصدفة سمعت كلاماً وأنا أغادر بعد لقائي مع رئيسي في هوفدي بعد أن كُلفت بالعمل معك؛ أي مع الشرطة الآيسلندية. كان هناك بعض الرجال من الحكومة يتحدثون على الدرج في الخارج، ولم يتصوروا أنني أفهمهم، ووفقاً لما سمعته كانوا يتناقشون... في أمر ونستون تشرشل».

«تشرشل؟ ما به؟».

«فهمت أنه يخطط لزيارة آيسلندا، سيلتقي روزفلت في المحيط الأطلسي في مكان قرب نيوفاوندلاند وقالوا إنه ربما يزور آيسلندا في طريقه عودته، هل الشرطة الآيسلندية على علم بذلك؟».

أجابه فلوفينت: «لم يسبق لي أن سمعت عن الزيارة، ولكن هذا لا يعني شيئاً بالضرورة، ففي العادة أنا آخر من يسمع. هل تعرفت إلى الرجال الذين رأيتهم في هوفدي؟ هل لديك فكرة عنهم؟».

قال ثورسون الذي كان يهتم بالأمور الداخلية لآيسلندا: «أحدهم على الأقل وزير في الحكومة، أعتقد أنه كان هناك بخصوص الزيارة، ولكنني أخمّن ولا أمتلك معلومات. لقد فكّرت في الأمر وشعرت أنه يفترض بي إطلاعك على الأمر... ربما كان للأمر علاقة بالقضية التي نعمل عليها».

«تقصد بفيلكس لاندين؟».

أومأ ثورسون برأسه وقال: «أعتقد أن الأولوية بالنسبة إلينا هي العثور عليه»، ثمّ تابع: «لنكن على بر الأمان أي في حال كان هناك شيء جدي بخصوص شائعة الزيارة».

سأل فلوفينت: «هل تعتبره تهديداً؟ ألا تظن أن هذا الاحتمال ضعيف؟».

«لا أعرف، ولكنني متأكد أن هناك عملاء للألمان هنا وهم ناشطون، ربما صعّب عليهم وجود جنود الاحتلال التحرك، ولكنهم لا يزالون ناشطين كحالهم في شتى أنحاء أوروبا، ولا تُعتبر آيسلندا استثناء».

قال فلوفينت: «نعم، ولكننا لا نمتلك دليلاً قاطعاً يربط فيلكس بمثل هذا النشاط، وليس لدينا شيء يربط الجريمة في شقته بهذه الزيارة».

قال ثورسون: «حسناً، شعرت أن عليّ أن أُخبرك، وربما استطعنا التوصل لإثباتات تدل عليها، ففي النهاية أين فيلكس؟ وما الذي يخطط له؟ وهل هو مسلح؟ وبما أن هناك احتمالاً كبيراً بأن يكون هو القاتل، علينا أن ننطلق من احتمال أنه مسلح بمسدس كولت 0.45، ولكن السؤال الأهم هو: هل نحتاج

إلى مساعدة في هذا التحقيق؟ بإمكاني أن أتحدث مع بالانتاين وغراهام، ولكن بعد التفكير في الأمر إنهما...»

«ماذا؟».

تذكر ثورسون غراهام وهو يقول إن الأمر كان يعنيهم، وكانوا سيتولون أمر التحقيق عاجلاً أم آجلاً، ولكنه طلب من ثورسون أن يقدم له تقريراً يومياً في الوقت الحالي عن مجريات التحقيق.

قال ثورسون: «لا شيء، كنت أتساءل هل نحن بحاجة إلى مساعدة منهم».

قال فلوفينت: «ولكن هذا شأن آيسلندي، أنت تعمل في هذه القضية فقط لأن سلاح الجريمة يعود لجندي على الأرجح، ولأننا يمكن أن نحتاج إلى الوصول إلى قوات الاحتلال إذا أوصلنا التحقيق إلى جندي. سنعلمك عندما نحتاج إلى أي مساعدة من جماعتك».

«أجل بالطبع، أردت فقط أن أذكر ناحية تشرشل».

«شكراً لك، ولكنني لا أرى سبباً للقلق، لن يحدث شيء كهذا هنا أبداً، ليس في آيسلندا».

تفاجأ ثورسون بهذا الإصرار، منذ سنتين كان فلوفينت سيقول شيئاً مثل هذا من دون التفكير مرتين، ولكن كثيرة هي الأشياء التي تغيرت فمنذ ذلك الحين. لم تعد آيسلندا جزيرة نائية معزولة عن باقي العالم، وجُرّ هذا البلد إلى أحداث العالم المضطربة، كما أن هناك أموراً كثيرة تحدث لم يكن التفكير بها ممكناً في السابق. ألم يستفق فلوفينت على الواقع الجديد أم أنه يفضل نسيانه على الأقل مؤقتاً؟ لم يكن هناك أساس لهذا التفاؤل، كان فلوفينت يخدع نفسه، ولم تكن هذه المرة الأولى التي يعارض فيها ثورسون هذه العقلية. لعل براءة الآيسلنديين هذه كانت أولى ضحايا زحف قوات الاحتلال البريطاني إلى البلد في العاشر من أيار العام الماضي. تذكر ثورسون عندما سأله صديقه إن كان يُفكّر في الاستقرار في آيسلندا بعد الحرب. لقد استغل

ثورسون إجازته ليتنزه في الجبال في الجو الصيفي الرطب، وعاد وهو يصف جمال الطبيعة الشاعري والصمت الذي عانقه عندما نام تحت أشعة شمس منتصف الليل. اعترف ثورسون أنه لم يفكر بالأمر، ثمّ قال صديقه شيئاً حُفر في ذاكرته: أعتقد أن عليك التفكير مثل الآيسلنديين إن وددت العيش هنا.

قال لفلوفينت: «لا تقلل من أهمية ما أخبرتك إياه، أعتقد أنه لا يجدر بناء تجاهل هذا الاحتمال؛ علينا التأكد إن كان آتيا أم لا، ونرى ما يفترض بنا أن نتخذ من إجراءات، إن غراهام والم... لا يثقون...»

«بمن لا يثقون؟».

«ما كان يفترض بي أن أثرثر...»

تردد ثورسون، ولم يرد الإفصاح عن مزيد، ولكنه ليس مسروراً بالورطة التي وجد نفسه فيها. كان مسؤولاً من جهة أمام قادته، وأراد إنجاز المهمة التي كُلف بها، ولم يرد أن يعمل بما يتنافى ومصالح قوات الاحتلال أو مصالح زملائه الميدانيين، ومن جهة أخرى شعر بتعاطف كبير مع الآيسلنديين. لقد طلب منه والداه أن يعتبرهم شعبه مهما عاش بعيداً عنهم، وسمع زملاؤه الجنود وهم يسخرون من السكان المحليين، وحاول أن يصلح ما أفسدوه بتصرفاتهم. كما آلمه سماع الناس وهم يهزؤون بالدولة وشعبها، وشعر الآن أنه مجبر على اختيار طرف. إنه في موقف لا يحسد عليه، لقد كره أنه لا يستطيع البوح بمكنوناته لفلوفينت.

سأل فلوفينت عندما لاحظ تردده: «ما الذي يُقلقك؟ هل كل شيء على ما يرام؟ بمن لا يثقون؟ ماذا يريدون؟ هل هناك شيء لا تستطيع تشاركه معي؟».

أخيراً، تنهد ثورسون وقال: «يريدون تولي القضية وسيفعلون هذا عاجلاً أم آجلاً. إنهم لا يثقون بالشرطة الآيسلندية، لا يثقون بقدرتها -أو بالأحرى بقدراتكم أنتم الآيسلنديين- على إنجاز الأمر بشكل صحيح».

حدق فلوفينت إلى ثورسون وسأله أخيراً: «بسبب الزيارة؟».

«لا، هذا ما أظنه على الأقل، وبالأحرى لم يخطر هذا في بالي. يعتقدون أن القاتل يجب أن يكون جندياً من قوات الاحتلال بسبب السلاح. لا بد من أنهم بدؤوا تحقيقهم الخاص».

«هل لديك معلومات بهذا الشأن؟».

«لا».

«شكراً لإخباري بهذا، فأنت لم تكن مضطراً».

«لا أريد أن أكون... متلصصاً أو ما شابه، أي أن أفعل شيئاً بالخفاء. أظن أن من الصواب أن أكون صريحاً معك ليكون كل شيء بيننا واضحاً».

قال فلوفينت: «من النادر أن يتصرف من هم في مكانك بنبل».

«لقد سئمت تصرفاتهم مع السكان المحليين، ولا أريد أن أدخل في لعبة مزدوجة...».

أوشك أن يستخدم وصفاً آخر، ولكن شيئاً لم يخطر في باله. لقد كان وصف اللعبة المزدوجة ينطبق عليه تماماً.

ولكن ثورسون لم يقل شيئاً عن هذا الموضوع أيضاً.

17

افترقا بعد ذلك الحديث بوقت قصير، قصد فلوفينت مركز فريكيريكيوفيغور قبل أن يتوجه إلى منزله. عندما وصل إلى المكتب وجد رسالة تنتظره: طلب شرطي من بوسثوستريتي التحدث إليه في ما يتعلق بقضية فيلكس لاندين. اتصل بالمركز، فأخبره أن الشرطي غادر. بعد هذا اتصل بمساعد مفوض ريكيافيك فهو يعرفه منذ زمن عندما كان يخدم في الشرطة العادية ليخبره بأمر زيارة تشرشل، ولكن اتصاله هذا لم يسفر عن شيء. وبسبب تفاجئه بالخبر استفسر من فلوفينت عن مصدر الخبر، فقال فلوفينت إن هناك شائعة متداولة بهذا الخصوص. لقد تحفظ عن ذكر ثورسون كي لا يسبب له المتاعب.

لقد شعر أن من المبكر ربط اختفاء فيلكس لاندين بالزيارة المحتملة قبل التأكد من الخبر. لم يكن بين يديه دليل يرجح تورط فيلكس في خطة لها علاقة بتشرشل أو أنه كان قاتلاً يعمل لصالح ألمانيا. وإذا افترضنا أنه مالك الحقيبة التي عُثر فيها على كبسولة السيانيد فهذا لا يُعتبر دليلاً كافياً يدعم استنتاجه. في الواقع، كانت الكبسولة ترجح أن فيلكس لاندين ليس مجرد بائع متجول، فربما هو عميل ألماني، ولكنها لا تؤكد أن هناك مؤامرة نازية في آيسلندا.

قال زميل فلوفينت أرنيفينور، وهو رجل أكبر سناً، إنه سيستفسر عن الأمر ويعلمه بما توصل إليه قريباً، ثمّ سأله إن أحرز تقدماً في الجريمة التي يحقق بها، وهل تتعاون معه قوات الاحتلال. قال فلوفينت إن الأمور تتقدم

ببطء، وأبدى للمرة الثانية امتعاضه من نقص الموارد البشرية، لقد كان قسم التحقيق الجنائي يحتاج إلى عدد أكبر من الرجال، وحتى الآن لم تلقَ طلباته سوى آذان صماء، ولكنه يظن أن الجريمة في شقة فيلكس ستحفز قادته لإعادة النظر في الوضع. قال أرنيفينور إنه سيسعى في الأمر، ولكنه لمّح لفلوفينت أن عليه الرضى بما لديه لأن الشرطة العسكرية تعتزم المشاركة، وأن الطرف الآيسلندي كان يفتقر للعاملين. لقد سبق لفلوفينت أن سمع هذا الكلام.

رنّ الهاتف فور إنهائه الاتصال مع أرنيفينور. كان المتصل أباه، وسأله متى سيعود إلى المنزل، فطلب منه فلوفينت ألا ينتظره. ولكنه عرف أنه سينتظره لأن والده البحار السابق من النادر أن ينام قبل أن يعود فلوفينت. لقد كان يسخن العشاء لابنه حين يتأخر في العمل ويحرص ألا ينام جائعاً. وكانا يدردشان معظم الليالي أو يستمعان إلى الراديو. وعرف فلوفينت أن والده كان يثمن هذه اللحظات، فهو رجل يحب العائلة، ولكنه فقد نصف عائلته مرة واحدة حين توفيت زوجته وابنته بسبب الإنفلونزا الإسبانية. تحمّل مصابه بصمت، ولم يبحث عن امرأة أخرى بعد وفاة زوجته، كما هو حال الجيل الأخير من الآيسلنديين الذين تحملوا المصاعب والجائحات ولم يتذمروا أو يتأففوا.

قال له فلوفينت إنه في طريقه إلى المنزل، ولكن عندما عزم على مغادرة المكتب رنّ الهاتف مجدداً، توقف عند الباب ثمّ أسرع ورفع السماعة.

قال رجل: «هل فلوفينت معي؟».

«نعم؟».

«أعلم أن الوقت متأخر، ولكن سبق لي أن حاولت الاتصال بك. أنا الشرطي إينار، كنت مناوباً في بوسثوستريتي هذا الصباح، وقد أتى رجل وكان تاجر جملة، ومنذ أن غادر هذا التاجر وأنا أفكّر في الرجل الذي عثرت على جثته في شقة الطابق الأرضي».

«حقاً؟ لماذا أتى؟».

قال الشرطي: «هذا التاجر يبحث عن أحد موظفيه، يعتقد أنه سرق عيناته وماله واختفى».

«هل اسمه فيلكس؟ أقصد الموظف، ألم يسمع التاجر عن ندائنا الذي أوردنا فيه معلومات عنه؟».

«لا، لم يقصد فيلكس».

«من إذاً؟»

«فكرت في احتمال أن يكون القتيل».

«هل يمكن أن تتصل بتاجر الجملة».

«نعم، لقد ترك رقم هاتف و...»

«اتصل به وقل له أن يقابلني في مشرحة المستشفى الوطني في غضون عشرين دقيقة، قل له إن الأمر ضروري وإذا اضطر الأمر يمكننا أن نرسل له سيارة».

لم يعرف ثورسون عمّا يبحث عندما غادر فندق بورغ بعد أن ودع فلوفينت بوقت قصير. لم تكن هذه المرة الأولى التي يخوض فيها مغامرات ليلية في ريكيافيك لاكتشاف نزواته ورغباته، أي ليجد أجوبة عن الأسئلة التي تحيره. لقد كان يعرف أنه قليل الخبرة، ربما لأنه لم يكن مهتماً بهذا القدر. لقد كان زملاؤه في الجيش يستمتعون بلفت انتباه النساء المحليات وكان بعضهم يستغلون هذا الانتباه، ولكن بعضهم كانوا يحترسون ويهزؤون من هذا الموقف الشنيع. سمع قصصاً من زملائه وكانت مفجعة تارة ومشوقة تارة أخرى؛ كانت قصصاً عن أخلاق مريبة وفخر غريب. وبينما كان يسير بين المعسكرات تذكر الليلة الباردة التي توقف فيها ليساعد امرأة ترتدي لباساً فاضحاً كانت قد وقعت في الثلج، وفي طريقهما إلى منزلها قالت له إنها ضاجعت منذ قليل ثلاثة جنود من جنود القوة البحرية في ثكناتهم، ولكنها

رفضت أن تأخذ مالاً لقاء هذا وطمأنت ثورسون وقالت بفخر: «لا أريد منهم أن يعتقدوا أنني بائعة هوى أو ما شابه».

كان يتجه إلى فندق آيسلاند وهو مكان مختلف جداً عن فندق بورغ وأقل رقياً منه، وكان يتألف من عدة مبانٍ حفت بالشارع من أوستورستريتي إلى زاوية أدالستريتي. كان الشارع مكتظاً بالحشود الموجودة أمام صالة الرقص، وكان معظمهم من الجنود، وكان عدد قليل منهم بصحبة النساء. عندما وصل ثورسون كان البواب يطرد آيسلندياً مسكيناً رث الثياب ويقول له إن هذا المكان ليس لأمثاله. سرّ ثورسون بطرده لأنه ثمل وليس لأنه آيسلندي. لقد شكلت الشرطة الآيسلندية مؤخراً لجنة الأخلاق للإشراف على القاصرين، وكان اثنان من ممثليها يُخرجان فتيات يافعات غصباً عنهن. عزفت فرقة جاز صغيرة ورقص الناس في الوقت الذي عبق المكان بالدخان وبرائحة عطور ما بعد الحلاقة والعرق. كانت الضجة مؤذية للآذان، وكانت مزيجاً من الصرخات والقهقهات التي تماهى مع الموسيقى، شق ثورسون طريقه إلى البار وطلب مشروباً، اصطدم به رقيب ثمل، ووصلت مجموعة جديدة من الجنود الأميركيين واعتقد أن عددهم في صالة الرقص كان مساوياً لعدد الجنود البريطانيين والكنديين. سرعان ما حولت النساء المحليات اهتمامهن إلى رعاة البقر واكتشف السبب في الحال؛ لقد كان الأميركيون أغنى وأكثر خبرة كما كانت ابتسامتهم ناصعة البياض، لقد كانوا يمثلون كلارك غيبل مقابل أوليفر تويست البريطاني.

عاين ثورسون الصالة التي كان المشروب يدفق فيها، وخطوات الراقصين تدوي كالرعد مع إيقاع الموسيقى.

فندق آيسلاند، فندق آيسلندا!

لم يسبق له أن فكّر في أن الفندق اسم على مسمى، لقد أثبت هذا المكان أن آيسلندا لا تعدو كونها مجرد محطة استراحة.

إقامة لليلة.

ليلة عابرة.

لقد كانت هنا كما في العطلات السابقة مع مجموعة من جنود البحرية، ولكن عندما رأته توجهت إليه مباشرة، وطلبت منه أن يشتري لها مشروباً، طلب مشروب الجين الذي قالت عنه إنه خمرها المفضل. شربا نخباً وبدت مسرورة لأنه يتحدث الآيسلندية فهي لا تعرف سوى بعض الكلمات بالإنكليزية. استغربت كونه آيسلندياً لأن ملابسه بدت مثيرة، ثمّ ضحكت فهي متفائلة بطبعها وتسعد بسرعة فشعر بالراحة معها. عرف الكثير عنها، فهي لم تمانع التكلم عن نفسها مع أنه لم يضغط عليها لتتكلم. كانت تكبره بعشر سنوات على الأقل وكان شعرها داكناً ومموجاً ويبلغ كتفيها، وكانت مكتنزة. فقد وجهها بعضاً من نضارته ورجّح أن السبب يعزى إلى الحياة سريعة الوتيرة، ولكن عينيها لا تزالان جميلتين ومدورتين تقريباً. كانتا تتسعان كلما تحدثت أو سمعت شيئاً عدته غريباً أو مثيراً للاهتمام. قالت له إن صديقتها قابلت جندياً بريطانياً من برايتون وتبادلا الحب. لقد كان ثورسون يعرف بالطبع أن فندق آيسلاند فيه قصص رومانسية: عن الحب الذي يولد عبر ضفتي المحيط وحكايات خيالية يعثر فيها رجل أو امرأة على توأم روحه في الوقت الذي تدور فيه رحى الحرب. ومع ذلك يكون ذلك الحب نقياً وصافياً.

سألت حين أنهيا كأسيهما: «هل قررت؟».

«نعم، أعتقد هذا».

«معك نقود؟».

وضع يده قرب جيبه، ولكنها أوقفته.

«ليس هنا يا عزيزي، هيّا بنا».

أنزعج بالدور عندما تلقى اتصالاً في الليل. في البدء رفض أن يقابل

فلوفينت في المشرحة ولكنه رضخ في النهاية، كان فلوفينت ينتظره في الخارج، وعندما ظهر الطبيب الذي يعيش بالقرب من المستشفى من الظلمة على دراجته اعتذر له بشدة. في تلك اللحظة ظهرت شاحنة هادرة، وعندما خرج منها التاجر سألهما من منهما فلوفينت.

بعد أن صافح الرجلين سألهما: «ماذا يجري بحق الجحيم؟ قال الشرطي الذي اتصل بي إنه سيلقي القبض عليّ ما لم أسرع بالمجيء».

فلوفينت: «شكراً لقدومك يا سيدي، فهمت أنك تفتقد أحد موظفيك».

التاجر: «نعم، هذا صحيح». ثمّ أشعل سيجاراً رخيصاً ودخنه بشراهة. «دعنا نتخلص من الرسميات ومن لقب سيدي، هل تعتقد أنه في الداخل؟».

قال فلوفينت: «دعنا نرَ أليس كذلك يا سيدي؟». فتح لهما بالدور الباب ثمّ تبعهما إلى الداخل، سحب العربة من وحدة التخزين الباردة وجرها لتصبح تحت ضوء المشرحة القوي.

قال فلوفينت: «في البدء عليّ أن أُحذّرك، لقد أطلق النار على رأس الرجل وهو ليس في أفضل مظهر له، لقد بذل بالدور هنا جهداً في تشذيب الأمر لذا...»

قاطعه التاجر وقال: «لا تقلق بشأني، فقد عملت في مسلخ عندما كنت يافعاً».

زمجر بالدور وقال: «ولكننا في مشرحة وليس في مسلخ».

غطيت الجثة بشرشف، رفعه بالدور، ولاحظا أن تاجر الجملة تعرف على الجثة فوراً.

«نعم، هذا هو، لا شك في ذلك، ليس من المفاجئ أنني لم أستطع الوصول إليه أليس كذلك؟»، شعر أن عليه التخفيف من صعوبة اللحظة.

سأل فلوفينت: «من هو؟ ما اسمه؟».

أجاب تاجر الجملة: «إيفيندور، لقد عرفت أنه كان سيعود إلى المدينة

على متن سفينة سود، ولكن لم يخطر في بالي أن ينتهي به المطاف هنا».

«إيفيندور؟».

قال التاجر: «نعم، هذا الرجل المسكين»، أضاف قائلاً: «كان من أسوأ التجار الجوالين الذين وظّفتهم»، وأسقط من دون قصد رماد سيجاره على الجثة.

نهضت عن الفراش، وارتدت سروالها وحمالة صدرها، ثمّ ارتدت ثوبها ورفعت شعرها المبعثر ورتبته ثمّ نظرت إليه بعينيها الواسعتين المتفحصتين اللتين لم تفوتا شيئاً وشكّتا في كثير من الأشياء.

قالت: «يحدث هذا مع الجميع يا عزيزي»، ولكن كلامها لم يكن مقنعاً «لا تقلق فهذا المكان لا يساعد أبداً، يا ليتي استطعت أن أوفر مكاناً أفضل».

تفحص ثورسون المستودع لبرهة، ثمّ حزم بنطاله وارتدى سترته وتمنى أن تنشق الأرض وتبتلعه. تمتم لها شيئاً ثمّ تعثر ببعض الشباك وهو يشق طريقه في ظلام تلك الليلة الصيفية دامسة الظلام، ثمّ أسرع للوصول إلى غرفته في فندق بورغ.

18

لاحـظ فلوفينـت أن هناك شـيئاً مفقوداً في الشـقة، عندمـا فتح خزانة في غرفـة النـوم، ولاحـظ أن الملابـس اختفت من جانب واحـد. ثمّ تذكر ما قاله تاجـر الجملـة عـن المرأة التي كان إيفيندور يعيش معها: لم تكن هي الأخرى فـي المنـزل حيـن طـرق الباب. تحقق مـن الخزانة في الردهـة، وكان الوضع مماثلاً، فلم يكن هناك سوى ملابس رجالية. عاين الشقة وتبيّن من التفاصيل الصغيرة المفقودة أن تلك المرأة لم تعد تعيش هنا.

لـم يقـدم تاجـر الجملة أيّ مسـاعدة أخرى، لم يعرف سـوى القليل عن إيفيندور، ولكنه أخبرهما أن اسم عائلته كان راغنارسون، وأنه عمل لصالحه لمدة سـنة، وقام برحلات كثيرة خلال هذه الفترة، لم تثمر أرباحاً كثيرة رغم أن تاجر الجملة اعترف أنه لم يعطِ إيفيندور أفضل البضائع أو المطلوبة أكثر ليبيعها. اعتقد أن الرجل كان صادقاً، ولكنه اعترف أنه شك فيه حين لم يظهر بعد رحلته الأخيرة. كما قال لهما إن إيفيندور كان يعيش مع امرأة -اعتقد أن اسمها كان فيرا- ولكنها لم تكن في المنزل في الأيام القليلة الأخيرة حين مر على شقتهما. لقد سمع شائعة مفادها أنها هجرت إيفيندور.

لم يكونا متزوجين على حد علم تاجر الجملة، ولم يكن لديهما أطفال. ولم يسبق لإيفيندور أن تكلم عن نفسه إلا عندما كان يتذمر من وجود قوات الاحتـلال، ويقـول إنـه لـن يعمل لصالـح الإمبرياليين البريطانييـن مهما تكن الظـروف، ناهيـك عـن الرأسـماليين الأميركيين. وهو لم يؤيـد الألمان أيضاً، فقد سمعه التاجر وهو يذم النازيين.

لـم يطـرأ شـيء مفاجـئ في آخـر جولة تجاريـة أو في أي جولـة تجارية لإيفيندور؛ لطالما كان يسـافر على متن سـود وكان يقصد في اليابسـة أماكن محـددة، وكان يمكـث لعـدة أيـام قبـل أن يعـود بواسـطة السـفينة ويعلمنـي بالمجريـات والطلبـات فـي حـال وجودها، لذا لم يسـتطع رب عمله أن يفكر فـي أحـد يمكـن أن يريـد التخلص منه. لقد كان شـخصاً بريئاً وكما قال تاجر الجملـة، لـم يـؤذِ حشـرة في حياته على حـد علمه، ولقد تفاجأ حين عرف أنه عُثر على جثته في شقة فيلكس لاندين. صحيح أنهما كانا يعملان في المجال نفسه، ولكنه لم يعلم أنهما يلتقيان خارج نطاق العمل، لقد سمع تاجر الجملة عـن فيلكـس لأنـه كان يعمل لصالح شـركة أخرى وأعطاهما اسـمها، فحفظه فلوفينت عن ظهر قلب.

لـم يسـتطع فلوفينـت الانتظـار حتـى الصباح كي يتفحص شـقة الضحية لـذا انطلـق مباشـرة من المشـرحة إلى العنوان الذي أعطاه إيـاه تاجر الجملة، وكان في القسـم الغربي من المدينة. لم ير ضرورة مرافقة ثورسون له في هذه المرحلة، ولكنه اتصل بخبير أقفال يعمل لصالح الشـرطة. فتح الرجل القفل في غضون ثوانٍ، ثمّ عاد إلى منزله مجدداً، وترك فلوفينت بمفرده في الشـقة بسـيطة الأثاث، والتي تتألف من غرفة معيشـة ومطبخ وغرفة نوم وحمام. لم يكن فيها شيء جديد أو عصري الطابع، ومن الواضح أن وضع القاطنين لم يكن ميسوراً. لقد وضعت ثلاث صور على خزانة ذات دروج، وكانت اثنتان منهما لشـخصين مسـنين والثالثة لثنائي يافع، ولكنها لم تكن واضحة؛ اعتقد فلوفينت أنهما إيفيندور وفيرا.

لقد سأل فلوفينت تاجر الجملة حين كان يودّعه عند الباب: «لم اعتقدت أن إيفيندور سارق؟ هل سبق له أن سرقك؟».

«لا، أبـداً. ولكـن زبونـاً فـي إقليـم المضايـق كان يدين لـي ببعض المال وطلبت من إيفيندور أن يحضر المبلغ معه، وتأكدت من أنه استلم المال. لذا

عندمـا لـم أسـتطع التواصـل معه كان هذا أول مـا فكرت فيه. ولكن على حد علمي كان إيفيندور صادقاً وبريئاً مثل الأطفال».

«هل كان يحمل معه المال إذاً؟».

قـال تاجـر الجملـة: «لم يكن مبلغاً كبيراً، وربما أنفقه، ولكنك سـتعلمني إذا وجدتم شيئاً في حوزته أليس كذلك؟».

عثـر فلوفينـت على محفظة إيفينـدور على طاولة المطبخ، ولم يكن فيها سـوى بعـض الفكـة. فتـش عن مال تاجر الجملة في الشـقة، ولـم يعثر عليه، لم يكن هناك مال مع الجثة وتسـاءل إن كان المال الذي جلبه معه من إقليم المضايق سـبب الجريمة. لقد كان هذا الاحتمال مسـتبعداً، ولـم يكن لديه أي سبب ليشك في تاجر الجملة -بدا الرجل صادقاً إلى حد ما- ولكن فلوفينت يعرف أنه لا يجدر به أن يستبعده من التحقيق تماماً. هل قُتل إيفيندور بسبب هذا المبلغ الضئيل؟ هل كان قلقه على البائع مجرد ادعاء؟ لعله اتصل بالشرطة كي يبعد الشـبهات عنه، فلم تكن هذه الطريقة مسـتغربة، أحياناً يكون أفضل أماكن الاختباء أوضحها.

كان الشـيء الوحيـد المثيـر للاهتمـام الذي عثر عليـه فلوفينت خلال هذا التحري المبدئي للشقة هو مُغلف بني صغير وكان مجعداً ومخبأ تحت الأريكة في غرفة المعيشة وكأن شخصاً قد تعمد وضعه هناك، وحين مسده قليلاً عرف ما هو فقد سبق له أن رأى مثله وحاول أن يفهم ما كتب عليه ولكنه فشل: استخدام شـخصي للوقاية قبل التعرض، لقد احتوى المغلف على ما كان يعرف سـابقاً بيـن الجنـود بعـدة إي.بي.تـي، كان هذا المغلف خاليـاً ولكن لا بد من أنه كان هناك ورقة تعليمات وقماشة معقمة بالصابون وشاشة معقمة وخمسة غرامات من مسحوق مطهر يوضع على المناطق الحساسة. كانت هذه المجموعة تعطى إلى الجنود وتستخدم من أجل الحماية من الأمراض الجنسية.

وضـع فلوفينـت المغلـف في جيبه، وبحث عـن دلائل أخرى عن المرأة

التي كانت تعيش مع إيفيندور، ولكنها بدت وكأنها اختفت من حياته تماماً. عاين الصورة المشوشة مجدداً، وكان يحاول البحث عن أيّ أحرف أو رسائل حين سمع جلبة في الرواق. خرج ليرى ما يحصل، فوجد رجلاً يتصارع مع باب الشقة المقابلة، وسمع الرجل يتنهد ويقول: «اللعنة»، وهو يحاول، من دون جدوى، تحرير المفتاح الذي كان عالقاً في القفل، كاد الرجل أن يقع حين رأى فلوفينت يخرج من شقة إيفيندور.

تلعثم وهو يحدق إلى فلوفينت بحذر: «م... ماذا... من أنت؟».

«أنا من الشرطة، هل تعيش هنا؟».

قال الرجل بعد أن ركّز على القفل مجدداً: «في الواقع... نعم، ولكن... لكنني أعاني مع المفتاح». لاحظ فلوفينت أن الرجل ثمل لدرجة أنه لم يستطع أن يفتح باب بيته. أضاف الرجل: «لقد صنعت نسخة جديدة من المفتاح، ولكنه يعلق أحياناً في القفل، هل تبحث الشرطة عن... عن إيفيندور؟».

سأل فلوفينت بعد أن عزم على إخفاء حقيقة مصير إيفيندور: «هل رأيته مؤخراً»، ولكنه شعر بأرواح تهيم في الرواق.

«لا، ليست لديّ فكرة عن مكانه، عليك أن تتحدث مع عمه فهو مالك الشقة، لعله يعرف شيئاً ما».

«هل أتى إلى هنا ليبحث عنه؟ هل سأل عنه أحد على حد علمك؟».

«سأل عنه الرجل الذي يدخن سيجاراً، وقال إنه تاجر جملة. لم أرَ أحداً غيره».

«ماذا عن المرأة التي كانت تعيش معه؟ اسمها فيرا أليس كذلك؟ هل رأيتها مؤخراً؟».

«آه، لا، لم أرَ فيرا منذ فترة».

«هل تعرف شيئاً عنها؟».

«لا أعرف عنها أكثر مما يعرف السكان. ما كان بيد إيفيندور المسكين

حيلة... فهو سأل جميع سكان هذا المبنى إن شاهدوها وهي تهجر الشقة، لقد كان كئيباً وهذا متوقع. كانت المرأة التي تسكن الشقة فوقي تعرف، لقد أخبرته أنها رأت كل شيء... رأت سيارة سوداء تأتي في وقت متأخر من الليل، وضعت فيرا أمتعتها فيها، ثمّ غادرت ولم تتحدث إلى أحد».

«هل يمكنك أن تعرف أنت، أو أي من الجيران، إلى أين ذهبت؟».

«في الواقع لا... ليس تماماً... ولكن...»

«ماذا؟».

«اعتقدت أن إيفيندور المسكين ذهب إلى الثكنات ليبحث عنها، كان هذا أول شيء يتبادر إلى ذهني».

«الثكنات؟ هل تقصد المعسكرات العسكرية؟ لم عساه يفعل هذا؟».

قال الرجل: «اعتقدت أنها هجرته لصالح الجنود الذين كانوا يلاحقونها... ويتربصون بمنزلها»، ثمّ تابع: «لم أخبر إيفيندور عن هذا، لم أعتقد... لم أعتقد أن لي علاقة بهذا، أعتقد أنهم كانوا يزورونها، كان هذا مجرد تخمين، رأيتهم... رأيتهم يتسكعون عند نافذتها».

سأل فلوفينت: «ماذا كانوا يريدون منها؟».

قال الرجل: «قضاء وقت ممتع على ما أعتقد، تعود سماع موسيقى تصدر من الفونوغراف».

«هل كانوا بريطانيين أم أميركيين؟».

«أتقصد الجنود الذين رأيتهم؟ كان أحدهم بريطانياً»، بدا الرجل متأكداً من كلامه. «كان جندياً بريطانياً ولكن... ولكن كان هنالك مزيد من الجنود أيضاً... لا أعرف أي شيء آخر عن الموضوع، هل تفهمني؟ ولكن قالت لنا -المرأة التي رأت فيرا وهي تذهب خلسة كلص- إن الرجل الذي أتى لاصطحابها كان جندياً بريطانياً خاصاً، لا بد من أنه كان أحد أصدقائها الجنود».

أخيراً، عندما عاد فلوفينت إلى المنزل بعد منتصف الليل وجد أباه نائماً على الأريكة في غرفة المعيشة، حاول فلوفينت ألا يوقظه، ولكنه فتح عينيه حين شعر بوجوده وجلس، ثمّ سأله إن كان يريد أن يعمل إلى حد الموت. تناولا الوجبة على طاولة المطبخ بعد أن أعادا تسخينها، وتحدثا بهدوء لبرهة قبل أن يخلدا إلى سريريهما. شارك فلوفينت تفاصيل قضيته مع أبيه لأنه كان يثق في أنه يستطيع حفظ السر وعرف أن الرجل المسن كان يحب تفاصيل التحقيقات المعقدة التي كانت تعترض طريقه. لقد أثبت عدة مرات أنه كان مستمعاً مساعداً، ولكنه يقلق في بعض الأحيان على ابنه ويُخبره أنه يُفرط في العمل. عرف كم كان فلوفينت يعمل بضمير، وكيف كان يتكتم على البشاعة التي يراها في مجال عمله، ولم يتحدث عنها، وكانت هذه عادة تعلمها في صباه خلال الأيام المروعة للإنفلونزا الإسبانية.

قال بعد أن سمع تقرير ابنه: «بائع متجول؟».

«نعم، بائع متجول».

«أتظن أن فيلكس وذلك الشاب ما كان اسمه؟... إيفيندور كانا على خلاف؟».

«ربما».

«أتظن أن الخلاف انتهى بإطلاق فيلكس رصاصة على الجزء الخلفي من رأس الرجل الآخر؟»

«ربما».

«برأيك ما الذي كان مختلفين بشأنه؟ هل هو العمل؟».

قال فلوفينت: «لابد أنه كان شيئاً أكثر أهمية من العمل... شيئاً له قيمة فعلية».

سأل أبوه: «وما الشيء الذي لديه قيمة فعلية؟».

«ربما النساء».

«نعم، لا يمكنني إنكار هذا».

«قيل لنا إن المرأة التي كانت تعيش مع إيفيندور لم تكن صالحة. قال جارها إنها كانت تتسكع مع الجنود، وإنها غادرت بالسيارة مع أحدهم».

«هل تورطت مع قوى الاحتلال؟».

«هذا ما يبدو عليه الأمر».

«لا بد أن خليلها لم يكن مسروراً بالأمر».

قال فلوفينت وهو يستذكر جثة البائع المتجول في المشرحة: «لا، لا أعتقد هذا، لا أعتقد هذا على الإطلاق».

«ماذا عنك؟».

«أنا؟».

«هل تبحث عن امرأة؟».

لقد صاغ سؤاله بشكل تكتيكي ولم يكن الدافع هو التطفل بل لأن هذا الرجل المسن لم يتمنَ لابنه أن يشعر بالوحدة التي شعر بها هو بعد وفاة زوجته.

ابتسم فلوفينت وقال: «ليس هناك وقت لهذا».

«أتمنى ألا تقلق بشأني حيث يمكنني أن أعتني بنفسي وأنت تعرف هذا».

«بالطبع».

«لا أريد أن أعترض طريقك».

«لم ولن تعترض طريقي».

«تلك المرأة من المتجر التي... هل لا تزال مهتماً بأمرها؟».

«أفضل ألا نتناقش في الأمر».

«حسناً يا بني».

19

قال جيران إيفيندور عنه كلاماً حسناً، كان ساكناً هادئاً ومتعقلاً ولا يتدخل في ما لا يعنيه. أضف إلى ذلك أنه مهذب. ولكنه كان منطوياً على نفسه، وهذا ما فاجأهم عندما عرفوا أنه قتل، وللتأكد قالوا له إنه كان يغيب كثيراً بسبب عمله، ولم يعش هنا لفترة طويلة، ولم يذكروه إلا بالخير. ولكن الكلام عن فيرا كان مختلفاً؛ لم يعرفوا أين هي الآن، ولكنهم لاحظوا أحداثاً غريبة أثناء فترات غياب إيفيندور: مجيء زوار ومغادرتهم في الظلام، وإلقاء الحجارة على النوافذ، وهمسات في الفجر، وإغلاق أبواب بشكل قوي، وصوت خطوات سريعة على الرصيف. لقد كانت فيرا هذه نزقة وفظة، لذا لم يتجرأ أحد على أن يتحدث إليها بخصوص هذا الأمر، لم يقل أحد من السكان شيئاً لإيفيندور عن الزوار الليليين إلا بعد أن غادرت.

قالت المرأة التي تعيش في الطابق الأعلى إن فيرا وإيفيندور تشاجرا بحدة قبل أن يذهب إيفيندور في رحلته، فهجرته فيرا. لقد شهدت تلك المرأة الحادثة، ورأت إيفيندور وهو يغادر الشقة مُحمر الوجه، وبدا مرتبكاً عندما حياها ثمّ أسرع باتجاه المرفأ وهو يحمل حقيبتيه. ومع أنها لم تعرف سبب الشجار، لكنها شكّت في أن السبب كان مرتبطاً بالزوار الذين يأتون أثناء غيابه. لقد كانت فيرا هي من تصرخ إذ لم يرتفع صوت إيفيندور إلا قليلاً، ثم غادر.

تذمرت الجارة قائلة: «لم يكونا متزوجين، ففيرا لا تعدو كونها بائعة هوى».

سأل فلوفينت: «هذا يعني أنك لا توافقين على تصرفاتها يا سيدتي؟».

قالـت المرأة، وبدت مشـمئزة: «إنها تشـبه السـيدات الصغيـرات اللواتي يعتقدن أنهن أفضل من كل الناس، تلك... تلك... عاهرة الجندي».

سأل فلوفينت: «ذكرتِ أنك رأيته وهو يغادر؟ هل كنت في الردهة خارج شقتهما في ذلك الوقت؟».

ترددت المرأة لبرهة، فاستشـف منها فلوفينت أنها كانت تتنصت عليهما من الباب. بدت وكأن دبيب النمل لا يفوتها حيث كانت فضولية وناقدة متميزة.

قالت بعد برهة: «لقد صادف... أنني كنت أمر أمام شقتهم».

«هل تعرفين ما الذي كانا يتشاجران بشأنه؟».

«لا، كيف لي أن أعرف؟ كنت في طريقي إلى شـقتي ولم أسـمع شـيئاً، سوى صخبهما، ولكنني لم أُميّز كلمة».

«لم تسمعيهما يذكران اسم فيلكس؟».

«لا، لقد قلت للتو إنني سمعت صخبهما ولم أفهم ما كانا يقولان؟».

قال ثورسون: «فهمت أن فيرا كانت تستقبل زواراً، ولعلهم كانوا جنوداً، أثناء غياب إيفيندور»، لقد رافق ثورسون فلوفينت في زيارته الثانية إلى الشقة، وعرف أن التاجر تعرّف إلى جثة إيفيندور، كما عرف بشأن زيارة فلوفينت في الليلة السابقة.

«نعم، هذا صحيح».

«هل كان الرجل نفسه دائماً؟».

«لا، لـم يكـن هـو نفسـه. لقـد أخبرتها أنني لـن أتحمل هـذه التصرفات الشنيعة في هذا المبنى».

«التصرفات الشنيعة؟».

قال المرأة واعتلت وجهها ملامح الاستياء: «كان الأمر بديهياً».

«ما هو؟».

«يمكنـك أن تعـرف بنفسـك. كانـت فيرا تعمل بائعة هـوى، ولـم تخجل

من تحويل هذا المبنى إلى ماخور للجنود. لا أعتقد أنك تظنهم أتوا لاحتساء الشاي. هل ظننتها تقيم حفلات لاحتساء الشاي؟».

«هل تعتقدين أنها كانت بائعة هوى؟».

«نعم، إن تلك الفتاة مهووسة بالجنس، وعثرت أخيراً على طريقة تجني فيها المال وتُشبع هوسها».

تبادل فلوفينت وثورسون النظرات خلسة، لقد وصلت المرأة إلى مرحلة لم تعد فيها قادرة على إخفاء كرهها الشديد لجارتها السابقة. عرض فلوفينت المغلف البني الذي وجده تحت الأريكة على ثورسون، فلم يتفاجأ ثورسون بوجود أحد هذه المغلفات في الشقة في حال كانت فيرا تقدم خدمات للجنود.

سأل فلوفينت: «ماذا قالت حين اتهمتها بهذا؟».

«أتقول اتهمتها؟ هل تعتقد أنني أتجنى عليها؟».

قال فلوفينت: «لا، بالطبع لا، ولكن ألم تحتج؟ أو...؟»

«اكتفت بالقول اخرسي، وأنّ لا شأن لي بما تقوم به في شقتها. فقلت لها إنني سأبذل قصارى جهدي لإغلاق ماخورها هذا. ولكن تبين لي لاحقاً أنها فرت تحت جنح الظلام».

سأل ثورسون: «هل بإمكانك أن تصفي الرجل الذي أتى ليقلها، فهمنا أنك رأيتها وهي تركب في السيارة».

قالت المرأة: «لا، لم أستطع رؤيته بوضوح في الظلام، ولكنني لاحظت أنه من الجيش. أعتقد أنه بريطاني، ولكنه لم يترجل من السيارة. لذا لم أُميز ملامحه، لم يحرك ساكناً ليساعدها».

«وكانت تحمل ثياباً ومقتنيات أخرى أخرجتها من الشقة ووضعتها في السيارة؟».

«نعم، لقد دخلت الشقة وخرجت منها لمرتين أو ثلاث مرات قبل أن تغادر مع الجندي».

«هل تعرفتِ إلى نوع المركبة؟ طرازها أو رقم لوحتها؟».

«لا، لا أعرف شيئاً عن السيارات ولكنها كانت سوداء».

«لم تكن آلية عسكرية؟».

«لا، لا أعتقد هذا، ولكن من أين لي أن أعرف؟ سمعت أنها كانت تغسل لهم ثيابهم، أقصد للجنود، لقد استلمت مهمة الغسيل».

قالت لهما المرأة إن إيفيندور عاد إلى بيته منذ عدة أيام ليكتشف أن فيرا قد هربت، لم يستوعب الأمر جيداً وشرع بسؤال كل سكان المبنى عن تحركات فيرا. عرف منها ما كانت تفعله خليلته، ولكنها حرصت بالطبع على أن تخبره الأمر برفق؛ فلا يحق لها التدخل في حياتهما الشخصية. لم يكن سهلاً عليها أن تخبره عن زوار فيرا لأن إيفيندور لم يُصدقها، ونعتها بالكاذبة، وأقسم إن فيرا لم تكن هكذا، ثم انطوى على نفسه، ولم يتكلم مع أحد في المبنى. وما زاد الطين بلة أن عمه مالك المبنى أتى وطلب منه أمام الجميع أن يخلي المكان.

قالت المرأة ودلت نبرتها على تعاطفها مع إيفيندور: «لا بد أنه كان مديناً له بإيجار عدة أشهر، لطالما كان يعاني من مشاكل مالية».

سأل فلوفينت: «متى كانت المرة الأخيرة التي رأيته فيها يا سيدتي؟».

قالت المرأة وهي تحاول أن تعد الأيام التي مضت: «لا بد أنني رأيته آخر مرة حين كان مالك المبنى يؤنبه». اعتقد فلوفينت أن هذا كان في اليوم السابق للعثور على الجثة.

شكراها على مساعدتهما، وعادا إلى شقة إيفيندور. كان هناك على الأرض جواب واضح وضوح الشمس على سؤال كان يعذبهما منذ اكتشاف الجريمة: حقيبتان عليهما اسم إيفيندور راغنارسون. وبعد معاينة دقيقة اكتشفا أنهما كانتا تحتويان على عينات من بضائع تاجر الجملة: ملمع أحذية وبوليفور وعدة مائدة. ولكن لم يكن هناك أي شيء غريب ولا حتّى كبسولات مخبأة

في القماش، كانت الحقيبتان مهترئتين حيث كانت إحداهما مربوطة بحبلين.

قال ثورسون: «هذا يعني أن الحقيبة التي عثرت عليها في الشقة الأخرى كانت ملكاً لفيلكس، لا شك في ذلك؟».

أجاب فلوفينت: «نعم، أعتقد أن هذا يعني أن الكبسولة هي ملكه أيضاً».

بعد أن بحثا في الشقة بعناية عن أي دليل يمكن أن يفسر سبب مقتل إيفيندور ركّز فلوفينت على بعض الأوراق التي انتشلها ثورسون من خزانة صغيرة قرب المطبخ. كانت الأوراق بنية، أكل عليها الدهر وشرب، وكانت مربوطة مع بعضها بواسطة حبل. كانت الخزانة مليئة بكل أنواع الخردة بما فيها زوجان من الزلاجات وصندوق لم يكن مقفلاً، وحين فتحه ثورسون وجد ثياباً وكتباً قديمة بما فيها كتابان للترانيم أتلفهما الزمان بالإضافة إلى صورة. أمسك ثورسون الصورة بعناية، كانت صورة شخصية التقطت في استديو قديم وكانت لثنائي مسن في أبهى حلة. كان الرجلان ملتحيين وبدا أنهما يحدقان إلى ثورسون بوقار وشك رغم السنوات التي مرت على التقاط الصورة. وكان هناك تحت الصورة إعلان سنوية من مدرسة إيبينسير وكان عبارة عن كتيب من أربع صفحات يتضمن صورتين، التقطت إحداهما في الخارج وظهر فيها أربعة صبية مراهقين مع رجلين وامرأة كانت تقف خلفهما تقريباً. ارتدى ثلاثة من الصبية ثياباً رثة إلى حد ما واعتمر اثنان منهم قبعتين حجبتا أعينهما تقريباً، بينما ارتدى الرجلان بذلتين داكنتين وكان أحدهما يعتمر قبعة. وبدت المرأة متميزة لأنها ارتدت زي الممرضات الرسمي مع غطاء أبيض على رأسها ووضعت شالاً على كتفيها.

أقسم ثورسون أنه يعرف أحد الرجلين مع أنه يبدو أصغر في الصورة. حدق ثورسون إلى معالم الصبية وحاول أن يستشف إن كان أحدهم إيفيندور، ولكن الصورة لم تكن واضحة، كما أنه لم يستطع مقارنة إيفيندور إلا بالوجه المشوه في المشرحة.

سأل فلوفينت وهو يمد رأسه ليعاين الصندوق الصغير: «ماذا لديك هنا؟».

أعطاه ثورسون الصورة والكتيب، عاين فلوفينت صورة الرجلين المسنين اللذين حدقا بمهابة إلى العدسة، وكأن الكاميرا كانت صندوقاً سحرياً غير مفهوم، ثم تفحص صورة الصبية مع البالغين الذين وقفوا وراءهم.

سأل ثورسون: «هل تعرفت إليه؟».

قال فلوفينت: «أليس هو الناظر؟ أليس هو إيبينسير الذي قابلناه البارحة؟».

قال ثورسون: «أعتقد أنه هو، ولكنه يبدو أصغر سناً، هل تظن أن الصورة التقطت في المدرسة؟ لا يمكننا سوى رؤية طرف من المبنى ولكنه يبدو هائلاً».

لم يبدُ أن فلوفينت سمعه لأنه كان يصب كل تركيزه على الصورة.

تمتم لنفسه وقال: «هل يمكن أن تكون هي...؟».

سأل ثورسون: «من؟ هل تعرفت إلى أشخاص آخرين في الصورة؟ وماذا عن الثنائي المسن؟».

قال فلوفينت وهو يشير إلى الممرضة: «أقسم إنه سبق لي رؤيتها، أنا متأكد أنها هي».

سأل ثورسون: «من هي؟».

تمتم فلوفينت: «يا للعجب، لم أرها سوى لثانية ولكن...»

«من؟ من هي؟».

«رأيتها في منزل رودولف، كانت تراقبني من نافذة غرفة الاستقبال، ولكن سرعان ما أسدلت الستارة، إنها بالتأكيد المرأة نفسها، لا أعرف اسمها، ولكنها كانت في منزل رودولف لاندين»، عاين فلوفينت الصورة مجدداً «أنا واثق من أنها المرأة نفسها».

حدق إلى وجوه الصبية وقال: «هل تعتقد أن إيفيندور واحد منهم؟».

قال ثورسون: «لا بد أن لديه أسباباً تفسر تمسكه بالكتيب».

قال فلوفينت وهو يمرر يده فوق وجه المرأة: «ربما تملك فكرة أكبر عن سبب شجار إيبينسير ورودولف».

«حين كانا يتشاجران بشأن الصبية؟».

«نعم، حين كانا يتشاجران بشأن الصبية، لعلها تستطيع تنويرنا بخصوص هذا الموضوع».

لقد صدما صدمة حياتهما حين فتح باب الشقة فجأة، وظهر رجل عند عتبة الباب، وحين رآهما في غرفة المعيشة اتجه نحوهما كإعصار غاضب.

قال بانفعال: «ماذا تفعلان هنا بحق الجحيم؟ لا أريد جنوداً في هذا المنزل، هل أرسلتكما فيرا؟ هل تبحثان عنها؟ هل تبحثا عن تلك الوضيعة؟».



20

لـم يسـتوعبا الأمـر لبرهـة، ثـمّ شـرع فلوفينت في تهدئة الرجل، وشـرح لـه عـدة مـرات أنهما من الشـرطة وجـاءا إلى هنا كي يحققا فـي جريمة مقتل إيفيندور، وأن ثورسون كان هنا لأنه يمثل الشرطة العسكرية. تبيّن أن الرجل كان عم إيفيندور وهو مالك المبنى، وأراد أن يؤجر الشقة مجدداً وفي الحال. قـال وبـدا الإحـراج على وجهه: «ليس هناك سـبب للانتظـار»، لقد عرف لتوه بخبر وفاة ابن أخيه، ولم يبدُ مهتماً بشـيء سـوى إيجاد مسـتأجر جديد. شـرح لهما بخجل أن الطلب على الشـقق في المدينة يزداد شـيئاً فشـيئاً، ولم يرد أن يهدر مزيداً من الوقت، ولكنه بالطبع تفاجأ بخبر ابن أخيه: «ولكن الحياة يجب أن تسـتمر، ماذا يمكنني أن أقول؟ ليس هناك جدوى من إبقاء الشـقة فارغة، إذا كنتم لا تمانعون. أقصد الشرطة».

قال له فلوفينت إنه لا يرى سـبباً يمنعه من إعادة تأجير الشـقة متى أراد. فقال لهما العم إنه سيضع ممتلكات ابن أخيه في المستودع، ولعله سيحاول بيع بعضها كي يعوض الإيجار الذي تخلف عن دفعه.

قـال العـم: «لطالمـا عانى إيفيندور في تأمين مصاريفه». كان رجلاً طويلاً في الخمسينات من عمره وكان صوته عميقاً وشخصيته جدية ومتصالحاً مع نفسه، وبدا أنه لا يطيق صبراً على الأغبياء. كان اسمه سيغفوس، أضاف وكأنه يريد توضيح أنه يهتم بشأن ابن أخيه: «لو كان شخصاً آخر غير عزيزي إيفيندور لكنت طردته من المبنى منذ زمن بعيد».

قال له فلوفينت إن الشرطة حاولت أن تتواصل مع أقرباء إيفيندور، ولكن

جميع المحاولات في تتبع عائلته باءت بالفشل، فأكد لهما العم عدم وجود أقرباء آخرين. لم يكن لدى إيفيندور أي أطفال، وتلك المرأة الساقطة هجرته. ولم يكن لديه إخوة أو أخوات أيضاً، كما أن والديه متوفيان.

سأل سيغفوس: «هل اقتربتما من معرفة القاتل؟». ثمّ أضاف أنه صعق حين عرف بمقتل ابن أخيه. لأن إيفيندور أبعد شخص عن هذه النهاية العنيفة، وقال لهما: «إنه رجل مسالم، لم أعرف له عدواً في العالم».

قال فلوفينت: «لم نقترب من معرفة القاتل، فالدافع ليس واضحاً».

«لطالما كان وحيداً في هذا العالم، يا له من مسكين! كانت حياته صعبة. لقد سمحت له بالعيش هنا لقاء مبلغ رمزي مقارنة بكلفة الإيجار في هذه الأيام. لو كنت أعرف بأفعال تلك المرأة أثناء غيابه وممارستها لمهنتها الشنيعة هنا لكنت طردتها».

«هل تعرف لها مكاناً يا سيدي؟».

«لا داعي للرسميات أيها الشاب... لا أعرف لها مكاناً ولا أريد أن أعرف، لن يرف لي جفن إن ذهبت إلى الجحيم بقدميها. ألم تتسبب بمقتله؟ لم أُحبها يوماً، على الإطلاق، أليست هذه الفعلة طريقتها في التخلص من الشاب؟ لقد أعلنوا في الراديو أنه قُتل برصاصة مسدس جندي».

«نعم، ولكن...»

سأل العم مخاطباً ثورسون: «أليس هذا الأمر بديهياً إذاً؟ ألم يكن هذا تابعاً لكم؟ أليس هذا... الذي تصفونه بالجيش مليئاً بالقتلة والمعتلين الاجتماعيين؟ لا بد أنها أقنعت جندياً بقتل ابن أخي، ولا أظنها وجدت صعوبة في ذلك. أرادت أن تتابع مهنتها في سلام. ربما ضايقها إيفيندور بتوسلاته لتعود إليه، لذا طلبت من أحد الجنود تخليصها منه. أليس هذا احتمالاً مرجحاً؟».

تجاهل ثورسون تحليل الرجل الذي بدا حقده جلياً على قوات الاحتلال، ولم يكن هذا أمراً جديداً، ولكنه طرح عليه سؤالاً: «هل تعرف إن كان لابن

أخيك تعاملات مع الجيش؟».

«لا أظن، ولكن فيرا... بدت أنها كانت مشغولة في إسعادهم وجني المال من خلالهم».

«هل ذكر إيفيندور أنه خائف من فيرا؟ أعني هل كان خائفاً من قتلها له؟».

«لا، ما كان إيفيندور ليقدم على شيء يزعجها. لقد كانت تتحكم فيه، وأتاح لها السيطرة عليه. لم يكن يتنفس ما لم تأذن له بذلك. أتذكر أنها أقنعته بالعمل بائعاً متجولاً، أو بالأحرى أمرته أن يلتحق بهذا المجال. كان بوسعي أن أستشف الأمر من طريقة كلامه عن الموضوع. أرادته أن يبتعد عن مخططاتها فهو كان يخنقها، ولقد فعلت هذا بالطبع كي تزيحه عن طريقها كي تستطيع متابعة مهنتها بسلام. لم يصلح إيفيندور للعمل بائعاً متجولاً، لقد قال هذا بنفسه».

«متى قال هذا؟».

«منذ فترة قصيرة، لقد كان يسدد لي جزءاً من إيجار المنزل، وقال إنه لا يملك ما يكفي من المال، وأن فيرا لا تكف عن التذمر. كانت طلباتها كثيرة، شعرت بالشفقة عليه بعد أن تخلف أشهراً عدة عن تسديد بدل الإيجار، وما كنت أتسامح مع أي مستأجر بقدر تسامحي معه. فكرت في أن أُكلفه بجمع بدلات الإيجار، ولكنني عدلت عن فكرتي هذه، لأنني عرفت أنه لن ينجح فالناس يستهزئون به، وهذا ما استغربته فالناس كان يهابون أخي بعكسه».

«أتقصد والد إيفيندور؟».

«راغنار راغنارسون، ما لم تكن صغيراً في السن يفترض بك أنك سمعت باسمه».

«راغنار راغنارسون؟ أتقصد...؟»

«لقد أمضى سنوات خلف القضبان، لا بد أنك تعرف من كان».

تعرف فلوفينت بالفعل إلى الاسم فقد اضطر للتعامل مع الرجل خلال

سنوات عمله الأولى في الشرطة. لقد تذكر رجلاً مثيراً للمتاعب، قبيحاً وضخم الجثة، تغطي الأوشام ذراعيه. لقد اعتقل بعد شجار عنيف في حانة بتهمة الاعتداء، وخرج راغنار عن طوره حين اعتقلته الشرطة. كان ضحيته رجلاً أصغر منه وكان بين الحياة والموت حين وصلت سيارة الإسعاف إلى الموقع ونقلته إلى المستشفى، لم يستطع تمييز المعتدي عليه. تذكر فلوفينت حوادث أخرى جذب فيها راغنار راغنارسون انتباه الشرطة، سواء بسبب التهريب أو السرقات أو الاعتداء بالضرب، ثمّ اختفى فجأة. مرض خلال سنوات سجنه، ومات عندما تأخر إبلاغ الطبيب بحاله. لقد سمع فلوفينت أنه مات بسبب جلطة في الدماغ

لم يستطع إخفاء دهشته وهو يقول: «أتذكره جيداً، هل تقصد أنه كان والد إيفيندور؟».

قال سيغفوس: «لا تستطيع أن تقول تماماً إن هذا الغصن كان من تلك الشجرة حيث إنني لم أقابل في حياتي رجلين مختلفين أكثر من إيفيندور وأبيه. أقسم إن الولد لم يرث شيئاً من والده».

«بالطبع، لقد كان راغنار متنمراً وخريج...»

«اختر ألفاظك عندما تتحدث عنه، أعرف أنه لم يكن ملاكاً، ولكنه أخي في النهاية».

كرر فلوفينت: «لم يكن ملاكاً؟! لقد كان وحشياً وعدوانياً، لم يذرف أحد في المركز دمعة عندما علموا بموته، لأنهم عرفوا أن الشارع ارتاح من مجرم».

قال سيغفوس: «حسناً، قل ما شئت، لن أتجادل معك، ماذا لديك هنا؟ هل هذه صور لإيفيندور؟».

مرر له فلوفينت الصورة التي وجدها في الصندوق، فقال سيغفوس إنها صورة لوالديه المزارعين اللذين لم يزورا ريكيافيك إلا في المرة التي التقطا فيها هذه الصورة للذكرى. كان كتيب المدرسة جديداً بالنسبة إليه كما الصورة

التي كان يحويها، مع أنه تعرف إلى إيفيندور حالاً، وكان أحد الصبيين اللذين لم يعتمرا قبعة.

قال فلوفينت: «نعتقد أن أحد البالغين هو الناظر إيبينسير، هل تعرف الباقين؟».

«لا، أنا... أليست هذه ممرضة؟».

«نعتقد هذا».

«أتذكر قليلاً أن إيفيندور كان يتحدث عن ممرضة في مدرسته، كنت أسمح له بالبقاء عندي حين... حين كانت تحتدم الأمور في المنزل».

«ماذا كان يقول عنها؟».

أجاب سيغفوس: «قال إنها كانت لطيفة معه، لا شيء أكثر من ذلك، أشعر أنه كان يتكلم عن الممرضة».

«هل تتذكر اسمها؟».

«لا، ولا أتذكر أنه أخبرني يوماً عن اسمها، لم يذكر سوى أنها كانت لطيفة معه وتعامله معاملة جيدة، لم يكن الأشخاص هناك لطفاء بشكل عام، وأعتقد أن هذا سبب حديثه عن اللطف، وهذا لا يعني أنه كان يختبر اللطف في المنزل. يا لذلك الولد المسكين، لقد كان مهملاً تماماً ورأيت القمل في شعره في المرات التي اعتنيت فيها به».

سأل ثورسون: «ماذا عن أمه؟».

«لقد ماتت قبل أن يسجل، ولم تهتم كثيراً به حين كانت على قيد الحياة. لقد كانت سكيرة ولكن تلك الحقيرة عانت مع أخي»، نظر سيغفوس إلى الصورة مجدداً وقال وهو يشير إلى الطالب الآخر الذي لم يكن يعتمر قبعة: «هذا الولد هنا...»

«نعم؟».

«تعود أن يتسكع مع إيفيندور قليلاً، وإن لم تخني ذاكرتي فقد تعودا أن

يلعبا معاً حين كان يعيش الولد عندي. كان أجنبياً أو كان لديه اسم أجنبي أو شيء من هذا القبيل».

«هل من المحتمل أن يكون اسمه لاندين؟ فيلكس لاندين؟».

«فيلكس؟ نعم بحق الجحيم، هذا هو».

«أتقصد أنه وإيفيندور كانا يرتادان المدرسة ذاتها؟».

«نعم، أعتقد ذلك، الفتى لاندين».

سأل فلوفينت: «هل عرفت أين عثر على جثة ابن أخيك؟».

«نعم، في إحدى شقق المدينة هنا، كنت سأسألك عن هذا التفصيل. لقد كانت شقة بائع متجول آخر، أليس كذلك؟».

«كانت شقة شخص اسمه فيلكس لاندين».

نظر سيغفوس إلى فلوفينت وكأنه تحول إلى كائن فضائي: «ماذا تقصد؟ هل... هل هو من أطلق الرصاصة على إيفيندور؟».

«لا نعرف».

«أليس هذا بديهياً؟ أين هو؟ أين فيلكس؟».

«لا نعرف أيضاً».

«هـل... هـل هـرب من العدالة؟ إنه الفاعل بحق الجحيم، أليس كذلك؟ هل هو من أطلق الرصاصة على إيفيندور؟».

21

لم يجب أحد عندما طرقا باب منزل رودولف. عاين فلوفينت النوافذ ولكنه لم يلمح حركة، جال ثورسون حول المنزل ولم يرَ إشارة على وجود حياة، لقد كان المنزل مقفلاً ومظلماً وكأنه لم يسكن من قبل، ولم تستطع شمس آب حتّى أن تخفف من برودة جدران المنزل الداكنة.

وحين باءت محاولتهما بالفشل اتجها إلى منزل الناظر، ولكن قيل لهما إنه في المدرسة. ابتسمت زوجته في وجه الشرطيين اللذين سألا عن زوجها، ولكنها ألقت نظرة خاطفة على زي ثورسون، ولم تستطع أن تخفي دهشتها رغم طبعها الودود. بدا أن إيبينسير لم يخبرها بزيارتهما له البارحة. لقد حاولت بشكل مهذب أن تكتشف سبب قدومهما إلى هنا، ولكنهما لم يكشفا عن شيء.

لم يستطع عم إيفيندور أن يخبرهما أشياء أكثر عن صداقة ابن أخيه وفيلكس لاندين، وبحسب العم لم يكن لإيفيندور أصدقاء كُثر وكان من النادر أن يزوره أحد. لم يكن إيفيندور يرتاح إلى ذلك، وكان يخجل من منزله ويخاف من والده.

قال سيغفوس وهما يغادران: «لقد تعود راغنار أن يضرب الصبي». شعرا بتمنع العم المتزايد عن التكلم عن أخيه، ثم أردف «لم يكن هناك شيء خطير بالمعنى المجازي، ولكنني أعتقد أن هذه الأوضاع خطرة دوماً، لقد كان إيفيندور يهاب راغنار، وهذا كان سبباً إضافياً لسماحي له بالبقاء عندي».

«هل كانا صديقين جيدين؟ أقصد إيفيندور وفيلكس؟».

أجاب سيغفوس: «أعتقد هذا، أو إلى حدّ ما، لقد كانا يتسكعان معاً».

«هل أتى إيفيندور على ذكر فيلكس مجدداً بعد أن غادرا المدرسة؟ في الآونة الأخيرة مثلاً؟ هل تعرف إن بقيا على تواصل؟».

«لا، لم أسمع إيفيندور يتحدث عنه».

لم يستطيعا استخلاص شيء آخر من الرجل. بعد هذا اللقاء تحمّس فلوفينت لكي يتحدث إلى المرأة التي رآها عند نافذة رودولف كي يسألها متى التقطت الصورة؟ ولماذا؟ كما أراد أن يعرف مواقفها مع إيفيندور في صباه. شعر وثورسون أن صداقة إيفيندور وفيلكس القديمة يمكن أن تحمل الحل لهذا اللغز - لماذا قتل إيفيندور في شقة الفتى لاندين، وفقاً لتعبير العم؟ ولماذا هرب فيلكس؟

سأل ثورسون حين استأذنا زوجة إيبينسير بالذهاب: «لماذا كان ابن طبيب يلعب مع ولد يأكله القمل؟ وعلاوة على ذلك مع ابن سجين عدواني وأم غير صالحة؟».

أجاب فلوفينت: «هذا ليس بالأمر الغريب في هذه المدينة لأن مجتمعنا صغير والناس تربطهم صلات متنوعة ولكن التفاوت الطبقي يسود أكثر من الحد الذي يظهره الناس. لا بد من أن طريقهما قد تقاطع في وقت لاحق عندما وصلا إلى سن البلوغ، وخصوصاً عندما بدآالعمل في المجال نفسه».

«وكل الطرق انتهت في مقتل إيفيندور؟».

«نعم، لقد انتهت بمصيبة».

«الفرضية الأرجح هي أن فيلكس أطلق النار عليه أليس كذلك؟».

«نعم، أرجح هذا بشدة».

«لا بد أن إيفيندور قد وصل إلى مفتاح شقته».

«ربما».

«وأمسك به فيلكس أثناء هذا...؟»

أخيراً، عثرا على إيبينسير في أحد صفوف المدرسة. كان ينحني فوق مكتب أستاذ، وكاد أن يقفز من الدهشة حين مشى كل منهما باتجاهه من دون إنذار. لقد كان الصف صغيراً إلى حدّ ما، وكان الأثاث مصمماً للصبية الصغار، وكانت نسبة الرجال الثلاثة غير متوافقة مع نسب الصف ومحتوياته.

تلعثم إيبينسير وهو يحاول أن يستقيم، «أنتما... أنتما هنا؟ اعتقدت... اعتقدت أنني أجبت عن كل أسئلتكما أليس كذلك؟».

قال فلوفينت بعد أن أشاح بوجهه ولاحظ أن راحتي الرجل كانتا متعرقتين: «نعم، ولكنني أريد أن أطلعك على بعض الأمور». لم يكن حال الناظر أفضل من الحال التي شاهداها بها بعد رحلته. لا يزال شعره أشعث ولم يحلق ذقنه، وكانت بذلته بحاجة إلى كيّ، وفي تلك اللحظة سقطت زجاجة برينيفين من مكتب الأستاذ وتدحرجت باتجاه قوائم المكتب ثمّ توقفت.

قال إيبينسير بسرعة وكأنه ألقى القبض على شيء ما: «أها... ها... ها هي ذا، ليس هذا المكان المناسب لهذه الزجاجة»، انحنى بسرعة ليمسك بالزجاجة وتابع: «لا يمكننا التسامح بهذا... لسوء الحظ... كنت أعرف أنه يحتفظ بها هنا، أتفهمانني... كنت.... أقصد أنني كنت أشك في... أنه يحتفظ بها ونعم، ها هي... لذا انتهينا من هذه المسألة». وضع الزجاجة على المكتب ثمّ فكر أكثر ووضعها في درج.

لم يعتقد فلوفينت أن إيبينسير كان يشرب، وإن كان يشرب فهو محترف في إخفاء الأمر، ولكن بدا جلياً أنهما تطفلا على الناظر في لحظة مريبة. تصرف فلوفينت وكأن شيئاً لم يحدث حيث أراد أن يكسب إيبينسير إلى جانبه، واتبع ثورسون الطريقة نفسها. سمحا له أن يؤلف هذه المسرحية ولم يُعلقا بشيء فلم يكن الأمر يعنيهما.

قال إيبينسير وهو يحاول أن يتمالك نفسه: «نحاول... نحاول أن نكبح هذه المشكلة، أعتذر منكما لأنكما شهدتما هذا الأمر، ولكن الأستاذ المعني

في الأمر... هو... لا عليكما، في الحقيقة، لم... لم أتوقع رؤيتكما هنا، لديكما هواية في مفاجأتي».

شرح فلوفينت وتذكر فجأة أنه لم يتسن له الوقت كي يتحقق من حجة غياب إيبينسير، وذكر نفسه بتصحيح هذه الهفوة في وقت لاحق.

سأل ثورسون: «هل درس فيلكس في هذه المدرسة؟».

«نعم، درس في هذه المدرسة».

«لعلك علمته بنفسك؟».

«نعم، بين الفينة والأخرى».

«هل كان تلميذاً نجيباً؟».

«كان تلميذاً مميزاً».

«كان مستقبله واعداً، أليس كذلك؟».

«يمكنك أن تقول هذا، نعم».

«ولكن الأمر انتهى به بائعاً متجولاً؟».

تردد إيبينسير ولم يعرف كيف يجيب.

سأل ثورسون: «ألم يكن الناس يتوقعون الأكثر منه؟ مع كل احترامي للبائعين طبعاً، لا بد أن مهنته كانت خيبة أمل بالنسبة إلى عائلته، ألا توافقني الرأي؟».

«أعتقد أن والده كان يتوقع الأفضل منه، إذا كان هذا ما تقصده».

«ولكن لم ينفعه الأمر، أليس كذلك؟».

«لقد حاول فيلكس أن يكمل تعليمه ولكن بدا أنه فقد قدرته على المتابعة. لقد غادر جامعة ريكيافيك ولم يخضع للامتحانات وسافر إلى الدنمارك أي إلى عائلة أبيه. أظن أنه سبق لي وأخبرتك بذلك، لم يكمل دراسته هناك أيضاً».

سأل فلوفينت: «هل تتذكر تلميذاً لديك كان اسمه إيفيندور؟ إيفيندور راغنارسون؟ أعتقد أنه كان بعمر فيلكس».

استذكر إيفيندور وهو يحاول أن يستعيد رباطة جأشه ثمّ قال: «إيفيندور راغنارسون؟ نعم، أتذكر صبياً بهذا الاسم، لقد كان تلميذاً هنا منذ عشر سنوات إن أسعفتني ذاكرتي وكان مع فيلكس على ما أظن. كانت أحوال ذلك الصبي المسكين سيئة للغاية تتراوح بين منزل صعب وأب...»

قال فلوفينت: «نحن نعلم ظروف راغنار».

تابع إيبينسير: «لقد كان سيئاً للغاية وخريج سجون، وحسب ما أتذكر تم سحب إيفيندور من والديه -بشكل مؤقت على الأقل- في عدة مرات، لم تغادر المتاعب ذلك المنزل، لقد تدخلت سلطات حماية الطفل أكثر من مرة. لم تكن أمه صالحة للاعتناء به».

«هل تتذكرها؟».

«لا، حيث لم ترافق إيفيندور يوماً إلى المدرسة وهذا لا يعني أن أباه رافقه. لقد كان مهملاً وكان إحدى أصعب الحالات التي شهدتها في هذه المدرسة».

«سامحني لأنني سأنتقل من موضوع إلى آخر ولكن لِمَ قلت أن فيلكس قد فقد قدرته على إكمال دراسته؟».

«أستميحك عذراً؟».

«قلت إن فيلكس حاول أن يكمل تعليمه في جامعة ريكيافيك ولكنه فقد قدراته على الإكمال، ماذا قصدت بذلك؟ هل كان لديه قدرة في السابق؟ وإن كان هذا صحيحاً فما الذي تغير؟».

قال إيبينسير إنه لم يفهم قصده. نظر إلى الدرج الذي كانت فيه زجاجة البرينيفين وكأنه يتمنى أن يغادرا ويتركاه وشأنه ليتابع ما كان يفعله. قال إنه يخشى ألا يكون في مقدوره مساعدتهما أكثر من ذلك حيث كان لديه اجتماع، في حال أرادا أن يتناقشا في هذه الأمور أكثر -مع أنه كان يجهل السبب- فمن الأفضل أن يتصلا ويحددا موعداً. كان بوسعه أن يستقبلهما في المدرسة أو

فـي منزلـه فـي وقت مناسـب للجميع، ولكنه مشـغول الآن مع الأسـف. فإذا تمكنا أن...

حضّر إيبينسـير نفسـه ليغادر الغرفة ولكن ارتباك الرجل كان واضحاً. لم يحصل فلوفينت على المعلومات التي كان يسعى لمعرفتها بعد، قال: «ولكننا لم نتناقش في أمر الصبية بعد».

سأل إيبينسير محتاراً: «الصبية؟ أي صبية؟».

أجاب فلوفينت: «لا أعلم، كنت أود أن تنورني بخصوص الموضوع».

«من الصبية الذين قصدتهم؟».

«الصبية الذين كنت تتجادل بشأنهم مع رودولف لاندين».

22

حدق إيبينسير إلى فلوفينت ولم ينبس ببنت شفة. في الوقت الذي انتظر فيه فلوفينت جواب الناظر أصبح الصمت الذي خيّم على الصف خانقاً، وكأن المبنى كان خالياً ولم يكن فيه أحد سواهم. لا تزال تفصلهم أسابيع على بداية العام الدراسي وكانت الأروقة ستعج بالأولاد الصاخبين الذين سمرتهم شمس الصيف بعد عودتهم من العطلة. في هذا الوقت من السنة كان المبنى بارداً وصامتاً، فشعر فلوفينت بالخواء وهو يمشي في أروقة المدرسة التي كان يتردد فيها صدى خطواته.

في النهاية، قال الناظر وهو يضم ذراعيه إلى صدره: «أخشى أنني... أنني لم أفهم قصدك».

قال فلوفينت: «قلت إنك لم ترَ رودولف مؤخراً، ولكن تبيّن لنا أن هذا غير صحيح. نعرف أنك ذهبت إلى منزله مؤخراً، وسنكون ممتنين لك إذا أخبرتنا مزيداً عن هذا اللقاء».

«أنا... كما قلت لكما، لا أستطيع أن أساعدكما في ذلك...».

«هل التقيتما فعلاً؟».

قال إيبينسير بعد أن اعتمد على كلامه: «حسناً، إن كنت مصراً على أن تعرف. لقد التقينا فعلاً منذ بضعة أيام، لم أعتقد أن إخباركما بالأمر كان ضرورياً... لأنه كان خاصاً ولا أعتقد أنه يعنيكما. لا أعرف من أين حصلتما على المعلومات، ولكن من الطبيعي أن أتحدث إلى رودولف فهو صهري، هل أخبرك عن لقائنا؟».

قاطعه ثورسون وقال: «هل من الطبيعي أن تتجاهل إخبارنا؟ تبدو متحفظاً في الخوض فيه».

قال إيبينسير بحزم: «لا، لست متحفظاً، ولكن دعني أكن صريحاً، فالأمر لا يعنيكما. دعونا نكتفِ بهذا الحدّ، أنا مشغول للغاية».

قال فلوفينت: «بإمكانك أن تخصص لنا دقيقة من وقتك وتخبرنا عن الأمر الذي تحدثتما بشأنه، هل تحدثت عن ابن أختك فيلكس؟ من الصبية الذين تحدثتما عنهم؟».

قال إيبينسير: «يبدو أن هناك سوء فهم، لم نكن نتحدث عن أي صبية، هل رودولف هو من أخبرك؟ ولكنني لن أفهم لمَ عساه يقول هذا، ممن حصلت على المعلومة؟».

أوشك صبر فلوفينت أن ينفد: «لماذا تشاجرتما؟ هل بشأن ميولكما المتشابهة بالنسبة إلى النازية؟ لا أعتقد أن هناك مجالاً للجدال في هذا المنحى. أم عن اجتماعات الحزب التي حضرتماها؟».

بدا إيبينسير منزعجاً فلم يرَ أن هذه الأسئلة تستحق الإجابة. فكّر فلوفينت في استدعائه للاستجواب في سجن سكولافارداستيغر إذا ظل متعنتاً، ولكنه أبعد هذه الفكرة. لا بد أنه يعطي الموضوع أكثر مما يستحق، وبدا متأكداً من أن انتشار خبر اعتقال الشرطة ناظر مدرسة وعضواً سابقاً في الحزب النازي الآيسلندي سيسلط ضوءاً غير مستحب على قضية اختفاء فيلكس لاندين، لأنه يفترض به أن يمتلك سبباً أكثر إقناعا من رفض التعاون قبل أن يُقدم على خطوة من هذا النوع. ومع ذلك، قرر أن يضغط على الناظر إلى أقصى حدّ، فأخرج كتيب المدرسة من جيبه.

سأل وهو يشير إلى الصورة: «هل هؤلاء هم الصبية الذين كنتما تتشاجران بشأنهم؟».

بدا الحزم على تعابير إيبينسير وهو يأخذ الكتيب منه، تفحص الصورة

لبرهة قبل أن يسألهما عن مصدرها. قال له فلوفينت إنه وجدها في صندوق أحد الصبية الظاهرين في الصورة، وأنه لقي حتفه بشكل شنيع مؤخراً، إنه الشاب الذي عُثر على جثته في شقة فيلكس لاندين: «إنه إيفيندور».

همس الناظر: «إيفيندور؟».

«نعم».

«هل الجثة التي عثر عليها في شقة فيلكس هي جثة إيفيندور؟».

قال فلوفينت: «أخيراً، عرفنا لمن تعود الجثة».

«ولكن أين هو فيلكس؟».

«نريدك أن تجيب عن هذا السؤال».

سأل الناظر: «هل فيلكس هو من أطلق عليه الرصاصة؟».

أجاب فلوفينت: «حتى الآن ليس لدينا مشتبه به».

ظل إيبينسير يحدق إلى الصورة، بدا أنه يجهد نفسه للعثور على الكلمات المناسبة ولكن دون جدوى. شعر فلوفينت بارتباكه.

سأل إيبينسير بعد أن استعاد رباطة جأشه: «هل تعتقد أن مكروهاً أصاب فيلكس أيضاً؟».

«لا نعرف حقاً، هل تقصد أنه قُتل هو الآخر؟».

قال إيبينسير: «لا... لا أعرف شيئاً عن فيلكس، إذا أتيتما إلى هنا لتسألاني عنه فلا أعرف مكانه، ولكن عليّ القول إنني لا أعتقد أنه قادر على ارتكاب جريمة كهذه ولكن كيف لي أن أعرف؟ لم أتواصل وفيلكس منذ... منذ وقت طويل ولا أعرف ما الذي فعله في السنوات الأخيرة. عليكما أن تسألا رودولف، لا أعتقد أن لديّ شيئاً آخر يمكنني إضافته».

«وبخصوص الصورة...»

«أفضل أن أكون بمفردي الآن إذا لم يكن لديكما مانع، ليس هذا... إن هذا خبر سيئ... وفظيع بالنسبة إلينا، أنا... مستاء حيال الموضوع، إذا كان ما

تقوله صحيحاً، أي إذا كان فيلكس... قد ارتكب هذه الجريمة فعلاً فستكون هذه صدمة مروعة بالنسبة إلى المقربين منه».

قال فلوفينت: «نتفهم هذا، هل تعرف متى التقطت هذه الصورة؟ نحتاج أسماء الموجودين فيها وأن نعرف ما كانت المناسبة، إذا كنت تستطيع...».

«هل تعتقد أن فيلكس هرب».

«نعم، هذا ما يبدو عليه الأمر، وبخصوص الصورة...».

قال إيبينسير: «أخشى أنني لن أستطيع المساعدة».

تدخل ثورسون وقال: «أليس هذا مبنى المدرسة في الخلفية؟».

قال إيبينسير: «نعم، يبدو أن الصورة قد التقطت هنا للإعلان السنوي، هل أنتما متأكدان تماماً من أن فيلكس قتل إيفيندور؟».

قال فلوفينت: «كل الأدلة تشير إلى ذلك»، ثمّ قال وهو يأخذ الكتيب من الناظر: «من الواضح أنهما كانا يرتادان المدرسة نفسها، هل تعرف إذا كانا صديقين؟».

«لا، لا أعرف».

«لقد عرفنا أنهما كانا مقربين في فترة ما، بغض النظر عما حصل في وقت لاحق».

«نعم، هذا ممكن، لا أعرف حقاً».

سأل فلوفينت وهو يقرّب الصورة من إيبينسير: «هل تعرف أسماء الأشخاص الظاهرين في الصورة؟».

«بالطبع هذا أنا، وهذا فيلكس يقف أمامي وإلى جانبه إيفيندور، وهذه ممرضة المدرسة... وأستاذ مات منذ عدة سنوات، لا أتذكر الصبيين الآخرين، أتذكر إيفيندور لأنه كان... لقد واجهنا مصاعب كثيرة معه بسبب خلفيته، لطالما تعرض للتنمر ولم يستطع أن يدافع عن نفسه في الباحة. هل أنت متأكد تماماً من أنه الشخص الذي عثرت على جثته في شقة فيلكس؟».

أومأ فلوفينت برأسه وأضاف أن إيفيندور قد قتل بمسدس شائع في الجيش الأميركي ولكن الطريق لم يكن يؤدي لتلك الوجهة حالياً. تردد في ذكر الصليب المعقوف الذي رسم بالدم حيث لم تنتشر هذه المعلومة بعد، ولكنه قرر أن يجرب حظه في النهاية. استمع إيبينسير إليه بدهشة وريبة ثمّ قال إنه لا يتخيل أن فيلكس يستطيع فعل شيء من هذا القبيل.

سأل إيبينسير بحذر وكأنه خائف من الجواب: «هل تعتقد أن سبب الجريمة يعود بجذوره إلى فترة تعارفهما في الصغر؟ إن كان فيلكس هو الفاعل».

قال فلوفينت: «هذا وارد، هل تستطيع التفكير في الدافع؟ هل كانا صديقين جيدين في الصغر؟ إنهما يقفان متجاورين في الصورة، لا بد أنهما كانا على وفاق إلى حدٍّ ما».

«لا أعرف تماماً».

سأل فلوفينت وهو يشير إلى الصورة مجدداً: «ما الذي تستطيع إخبارنا إياه عن الممرضة؟ هل عملت في المدرسة لمدة طويلة؟».

«نعم، لقد عملت هنا لسنوات كما أنها عملت لصالح مدارس أخرى».

صمت إيبينسير.

قال فلوفينت: «لا بد أنك تتذكرها تماماً، ولكن لعلك تعرف أنها تعمل ممرضة خارج المدارس».

تنحنح إيبينسير وقال: «في الواقع نعم، فهي عملت لصالح رودولف لاندين في السنوات الأخيرة».

قال فلوفينت: «ما نوع عملها بالتحديد؟».

قال إيبينسير: «كل شيء في الواقع، إنها تعمل ممرضة وتعتني به ويمكنك أن تعتبرها مدبرة المنزل».

«هل تعيش في المنزل؟».

«نعم».

«ولكنهما ليسا متزوجين أليس كذلك؟».

«لا، ليسا متزوجين».

«ولكنهما صديقان مقربان؟».

«عليك أن تسألهما، هل كانت هي من أخبرتك عن اللقاء؟ لقائي برودولف».

قال فلوفينت: «لا، وبالمناسبة لا أعرف اسمها، هل يمكنك أن تنورني؟».

قال الناظر: «برينهيلدور، إن اسمها برينهيلدور هولم».

23

قال قائد الفرقة إنهم سيأخذون استراحة لمدة عشرين دقيقة بعد المعزوفة التالية، ثمّ صدحت موسيقى الجاز بإيقاع سريع مترافق مع صوت البوق، فجن جنون الراقصين. وحين انتهت المعزوفة انفرط عقد المتجمعين عند حلبة الرقص، وعادوا إلى مقاعدهم. كانت هناك مجموعة جديدة في الحانة -وكان معظمها من الجنود الذين يصرخ بعضهم على بعض، ويقتحمون الحشد، ويشربون الأنخاب في الوقت الذي عبقت فيه رائحة الدخان وصدحت الضحكات المدوية.

كانت صالة الرقص في فندق آيسلند مكتظة لدرجة أن البوابين منعا الوافدين الجدد من الدخول بمن فيهم ثورسون، فاضطر أن يظهر لهما بطاقة الشرطة ليدخلاه بالإضافة إلى فتاتين كانتا تنتظران منذ فترة، ولم يرَ أي أثر للجنة الأخلاق. سمح ثورسون لنفسه أن يسبح مع عموم البشر باتجاه طاولة الخدمة، ولأنه أراد مشروباً ولم يكن في عجلة من أمره وقف بصبر وانتظر أن يلتفت إليه النادل فقد كان العاملون منهمكين للغاية.

رأى الفتاتين -وكان شعرهما مصففاً على الطريقة الفكتورية- بصحبة الجنود، وكشفت شفاههما الحمراء عن أسنان ناصعة كاللؤلؤ، وشعر بالسعادة التي كانت تلمع تحت الرموش الطويلة. عاين ثورسون الصالة، ولم يرَ صديقته في أي مكان، قالت إنها من الريف ومن كيلافيك بالتحديد في الجانب الآخر من المرفأ، وفي صغرها تعودت النظر إلى ريكيافيك وهي تعكس نورها على السماء في الليل، وقالت لنفسها إن مغامرات الحياة كانت تنتظرها هناك حيث

تتدفق الأنوار، وحين بلغت غادرت كيلافيك وذهبت إلى الطرف الآخر من المرفأ ولم تنظر خلفها مجدداً.

أنهى ثورسون شرابه وهمّ بالمغادرة، وعندما رأى أشخاصاً يعرفهم أخذوه معهم إلى طاولتهم وحاولوا أن يصروا عليه أن يشرب أكثر، ولكنه اعتذر وشرح لهم أنه كان في مناوبة عمل. دفع أحدهم كأساً من الرام باتجاهه وقال: «هيّا! كن رجلاً واشرب!»، تسلل مجدداً حين عاودت الفرقة العزف وأدت أغنية مشهورة، وعندما تهافت الجميع إلى حلبة الرقص اختفى في الظلام.

اتجه إلى مستودع الشباك قرب المرفأ، حيث التقى بها للمرة الأولى في فندق آيسلند، أخبرته وقتها أن ريكيافيك لم تكن مدينة الأحلام التي تخيلتها، ولقد تحررت من وهمها. صحيح أنها كثيرة المتاجر والسيارات ومبانيها أكبر ونشاطاتها أكثر تنوعاً، ولكنها لا تزال تبدو خانقة الأجواء شأنها شأن كيلافيك، لقد وصلت في فترة الكساد، وعملت خادمة لدى عائلة كبيرة، وتحملت طلبات أصحاب المنزل لقاء أجر ضئيل، وبعد سنتين تركت عملها هذا وعملت بشكل متقطع في مصانع لتعليب الأسماك، كما عملت في عدة مجالات من الفجر إلى الغسق. لم ترفض ساعات العمل الطويلة، وعندما تسنت لها الفرصة، ولأنها أرادت أن تكون سيدة نفسها وألا يتحكم فيها أحد، انتقلت للعيش مع مالك حانة مطلق، ولكن علاقتهما شهدت توتراً مع قدوم قوات الاحتلال واكتظاظ المدينة بالجنود المرحين. وسرعان ما تصادقت مع جنود القوات البريطانية، وجر شيء أشياء أخرى ووجدت نفسها تتلقى مالاً مقابل هذه اللقاءات. لقد دفع عنها أصدقاؤها الجدد مصروف لياليها ومشاريبها، ولم يشعرها الأمر بالعار، فقد كانت شفافة وصريحة. خاطر ثورسون وسألها عن سبب سلوكها هذه الدرب؛ لم يرد أن يجرح مشاعرها أو أن يعايرها، بل أراد أن يعرف ما الذي تُفكر فيه. اكتفت صديقته بالابتسام

وكانـت تعابيرهـا حالمـة وكأنها لم تسـتطع تقبل حقيقة هـذا العالم الذي رأته في أنوار المدينة من الجهة المقابلة للمرفأ.

عرف ثورسـون تماماً أن هناك نسـاء عكسـها تماماً، فهو يعرف فتاة تعمل فـي فنـدق بـورغ. ومـع أنه من عائلة آيسـلندية ويتكلم لغتهـا وجد صعوبة في التعـرف إليهـا وقـد وجدت مشـكلة في تقبل البذلة التـي يرتديها، ولم ترد أن تتعامـل معـه أو مـع أي جنـدي آخـر. التقى بهـا مؤخراً أمام مطبعة إيسـافولد ودردشا قليلاً، ولكنه لاحظ أنها متوترة وتتلفت حولها وخائفة من المارة قبل أن تنهي الحديث فجأة، وتكمل طريقها بسـرعة. عرف ثورسـون أنها لم ترد أن يراها الناس وهي تتكلم إلى جندي في الشارع كي لا تشوه سمعة عائلتها، كانت الشائعات تسري مثل النار في الهشيم في هذه المدينة ولم تكن حميدة.

وصل ثورسون إلى المستودع، ونظر عبر زجاج نافذة متسخة، ولكنه لم يرَ شيئاً. كان الباب موصداً. وعندما همّ بالمغادرة سمع صوتاً خلفه.

«أتريد المحاولة مجدداً يا عزيزي؟».

عندما التفت رأى صديقته خلفه، وقد نفخت سحابة من دخان سيجارتها. كانت دائماً في أبهى حلة، ولكن فمها الآن ملطخ بالحمرة، والكحل يسيل من عينيها. كانت ترتدي جورباً من النايلون وثوباً قصيراً، وتضع سـترة عسـكرية على كتفيها وتعتمر قبعة بحار.

ابتسم وقال بخجل: «لا».

«لماذا أتيت إلى هنا؟».

قال ثورسون: «أردت التحدث إليك، ماذا تفعلين هنا؟».

قالت: «أنتظر».

ضحكت، فلاحظ أنها ليست على سجيتها. لم يسبق له أن رآها على هذا الحال، ولم يرها يوماً ثملة إلى هذا الحدّ.

«هل أنت بخير؟».

قالت: «لا تقلق بشأني يا عزيزي، لِمَ أتيت إلى هنا؟ ماذا تريد؟ أن تتحدث إليّ؟ لا أستطيع مساعدتك وأنت تعرف هذا، لست منحرفة إلى هذه الدرجة».

قال ثورسون وكان متهيباً من تذكر لقائهما السابق: «أبحث عن امرأة ظننت أنك قد تعرفينها، اسمها فيرا. أردت أن أسألك إن كان هذا الاسم يعني لك شيئاً».

«ما الذي جعلك تظن أنني أعرفها؟».

«لأنكما... يمكن أن تكون منخرطة مع الجنود...»

«هل تجد صعوبة في قول ذلك؟ قل ما تريد ولا تخجل، فأنا لا أسعى لإخفاء شيء».

«نعم، حسناً، في الواقع هي... قيل لي إنها كانت تصادق الجنود».

«تصادق الجنود، يا لها من طريقة مهذبة لوصف الأمر، ولهذا تعتقد أنني أعرفها؟».

«فكرت أن أسألك، فربما سمعتِ بالاسم».

«فيرا؟».

«نعم، هجرت صديقها الحميم وتعودت أن تستضيف زواراً في الليل حين يكون خارج المدينة، وكانوا جنوداً».

«لا أعرفها».

«هل تستطيعين أن تسألي عنها في الجوار؟ أو تسألي أصدقاءك؟ بدا أنها كانت تؤدي خدمات للجنود وتغسل ثيابهم. نحاول التحقيق في الموضوع، ولكن هذا الأمر يأخذ وقتاً لأن كثيراً من النساء يقدمن هذا النوع من الخدمات».

«ربما بإمكانك أن تتحدث مع السيدات في مستشفى لانداكوت».

«الراهبات الفرنسيات، سينتهي المطاف بنا كلنا هناك عاجلاً أم آجلاً».

«لم تصب بمرض جنسي من قبل، أليس كذلك يا عزيزي؟».

في تلك الأثناء ظهر ثلاثة جنود أميركيين واتجهوا نحوهما. كانوا يحملون

زجاجات البيرة والفودكا وكان أحدهم يحمل صندوقاً من السجائر.

سألها ثورسون: «هل كنت تنتظرينهم؟».

«أخبروني عن مستودع من الصفيح في ميلار وقالوا لي إنه شبيه بناد ليلي».

حيا الرجال ثورسون وأجابهم بالإنكليزية، لقد تفاجؤوا بهذا لأنه لم يكن يرتدي زيه الرسمي وأخبروا أنهم ظنوه محلياً، ضحكوا وطوق أحدهم بذراعه صديقة ثورسون وبدأ يغازلها. لم يسبق لثورسون أن رآهم. كانوا رجالاً متطوعين وأصغر منه بقليل فهم لم يبلغوا العشرين وكانوا بذيئين للغاية. دخنوا السجائر وشربوا مشروباتهم، سمع ثورسون أحدهم يذكر شيكاغو، لعلهم قدموا منها. كانت صديقته تستمع للحديث أيضاً ولكنه لم يظنها فهمت أي كلمة.

سأله أحدهم بصراحة تامة: «هل كنت تضاجعها؟».

قال ثورسون: «لا داعي للوقاحة».

«اعذرني لم أقصد أن أكون وقحاً، كل ما في الأمر أردت أن أعرف إن انتهيت منها كي تغادر وتتركها لنا، هل فهمتني؟».

تعالت أصوات ضحكات صديقيه الشنيعة.

قال ثورسون: «لا أظنها تريد الذهاب إلى أي مكان. كانت تقول لي لتوها إنها لا تريد أن تتسكع معكم، ربما لأنكم أوغاد حقيرون».

تبادل الجنود الثلاثة النظرات، أفلت الرجل ذراعه التي كان يطوق بها خصر المرأة وتقدم الثلاثة باتجاه ثورسون. فكر في أن يظهر بطاقة الشرطة، ولكنه أراد أن يبقيها ورقة أخيرة بيده، وهو لم يعرف إن كانت ستترك أثراً على هؤلاء الرجال في هذه المرحلة. تابعت صديقته المشهد ولم تظهر نية بالتدخل.

قال الجندي: «يبدو أنك رجل حكيم».

قال ثورسون: «لا أريد أيّ متاعب، تراجعوا واتركوها وشأنها».

«هل تعتقد أن بوسعك أن تمنعها من القدوم معنا؟ ما علاقتك؟ هل أنت قوادها؟».

«لا، لست قوادها».

«ألا يمكنها أن تتخذ قراراتها بنفسها؟».

سألت صديقته: «ماذا يقولون؟ هل كل شيء على ما يرام؟».

قال لها ثورسون: «هذا خيارك ولكن من الأفضل ألا تذهبي معهم، لعلها ليست فكرة سديدة».

قالت: «لا تكن سخيفاً، إنهم شبان لطيفون».

«لا يتكلمون عنك باحترام».

«لا أظن أحداً يتكلم عني باحترام غيرك».

قال الجندي وهو يعاين ثورسون: «ما الذي تثرثرانه؟ هل تستطيع فهم هذا الرطن؟».

أراد ثورسون تجاهلهم ومتابعة الحديث مع صديقته، ولكن أحدهم تقدم وبدا أنه يضمر الشر. وعندما شعرت صديقته بخطورة الوضع، وأنه لن يستطيع مواجهة ثلاثة رجال، وقفت بينهم، وأمسكت بذراع الجندي وسحبته معها. تراجع الجنديان الآخران، وراقب ثورسون المجموعة وهي تختفي في نهاية الطريق.

تمنى أنه لم يقابلها في ظل هذه الظروف، وحاول ألا يفكر في ما جرى في ذلك المستودع في ميلار، الذي قالوا إنه أشبه بنادٍ ليلي.

24

كان تاجر الجملة الذي وظّف فيلكس لاندين منزعجاً من زيارة فلوفينت له في وقت متأخر، فقد رتب حياته وفقاً لنمط معين. أضف إلى ذلك أنه يتقدم في السن، وهو يبذل قصارى جهده ليحافظ على سمعته، ولم يكن متعوداً على الزيارات في هذا الوقت المتأخر من الليل، كما قال لفلوفينت حين استسلم ودعاه للدخول. كان تاجر الجملة يعيش بمفرده، فزوجته توفيت، وغادر أبناؤه الثلاثة المنزل منذ سنوات، يعمل أحدهم معه وكان يتولى أمر الثروة بالتدريج.

شرح فلوفينت سبب زيارته، وظن أن التاجر سمع بآخر الأخبار. قال تاجر الجملة إنه كان على علم بالقضية، ولكنه لم يسمع عن فيلكس منذ مدة، ولا يعرف مكانه. لقد مرت ستة أشهر على المرة الأخيرة التي طلب فيها فيلكس عملاً، وكان ملحاً للغاية حين قال له تاجر الجملة إنه لم يكن بحاجة إلى موظفين. ولكن فيلكس عرض عليه أن يعمل بالمجان في البداية إلى أن يثبت نفسه. كان عرضاً غريباً وكان من الصعب رفضه.

أظهر فيلكس قدرات جيدة للغاية حيث كانت الثقة بالنفس تشع منه، وكان مهذباً للغاية ومثقفاً. كان بائعاً بالفطرة. وبعد هذا بفترة قصيرة انطلق في رحلته الأولى وفاقت النتائج كل التوقعات، وعندما انضم إلى الشركة ارتفعت المبيعات ارتفاعاً كبيراً وازدادت الإيرادات، من الثياب الواقية إلى السترات، إضافة إلى مستحضرات التجميل. كان لدى فيلكس ميزة جعلت الناس يثقون به تجلت في ابتسامته ومصافحته الحازمة وضحكته المعدية. عرف كيف يستغل المواقف المتنوعة التي يجد التاجر نفسه فيها وعرف كيف

يخاطب كل شخص بالطريقة التي تناسبه.

بالرغم من كل ما قاله لم يكن تاجر الجملة يعرف فيلكس حق المعرفة، وهو لم يكن مضطراً لذلك، وما كان يفترض به مصادقة الرجال الذين يعملون لصالحه. لقد استشف فلوفينت أن فيلكس كان كتوماً حين تقدم لهذا العمل؛ لـم يذكـر مثـلاً أنـه درس لوقـت قصير فـي جامعة ريكيافيـك أو أنه ذهب إلى الدنمـارك بعـد أن احتلهـا الألمـان. وعلى حـدّ علم التاجر لـم يكن لفيلكس آراء واضحـة بخصـوص الحـرب أو النازييـن أو الحلفاء أو هتلر أو تشرشـل. طرح فلوفينت على إيبينسير السؤال ذاته، ولكنه لم يعرف أي شيء قيّم. سأله بالتحديد إن قال فيلكس شيئاً بخصوص رئيس الوزراء البريطاني ولكن الناظر وتاجر الجملة لم يتذكرا شيئاً بهذا الخصوص: لم يبدُ أنه أفصح عن آرائه على الإطلاق أو على الأقل أمامهما.

سـأل فلوفينت: «هل تعرف سـبب حماسـته للعمل في هذا المجال؟ لِمَ أصرّ على العمل معك؟».

«لا، كل مـا قالـه إنـه يريـد تجربة حظه في التجارة، وأتذكر أنه أراد فرصة ليسـافر فـي أرجـاء البلـد، ولكنه لم يذكر شـيئاً آخر. إن معظـم الرجال الذين يدخلـون هـذا المجـال عازبـون، وكان بعضهـم قد ضاقوا ذرعـاً بهذه المدينة وأرادوا أن يغيروا المنظر».

«هـل كان يتطلـع لزيـارة أماكن محددة؟ هـل كان يذهب إلى أماكن أكثر من أخرى؟».

«لقد تمتع فيلكس بحرية تحديد مساره ضمن المعقول. كان يتبع الطريق الغربـي فـي معظـم الأحيـان، ويمـر علـى السـاحل الغربي وإقليـم المضايق، بالإضافـة إلـى الجنـوب الغربـي حيث قرى الصيد في شـبه جزيـرة ريكيافيك وصـولاً إلـى المقاطعـات الداخليـة حول سـيلفوس. كان يعمـل بجد، وهذه

شهادة يستحقها بجدارة، وما إن يعود إلى المدينة كان يشد رحاله من جديد. لقد بذل جهداً في المرور على جميع المناطق الأقل ربحاً».

«الأقل ربحاً؟».

«نعم، أي المناطق التي ليس فيها طلبات كثيرة، وهذا ينطبق تماماً على إقليم المضايق. لقد ذهب إلى كل المناطق الضعيفة تجارياً ولم يبدُ أنه عاف أي مزرعة نائية. كان يعمل بضمير».

عندما سأله عن إيفيندور راغنارسون أجاب أنه لا يعرفه ولم يسبق لأحد بها الاسم أن عمل معه، ولم يعرف أن فيلكس وإيفيندور كانا يعرفان بعضهما، ولم يسبق أن تحدث فيلكس عن الأمر.

قال الرجل: «يبدو غريباً أنهما يعملان في المجال نفسه. ألا تعتقد ذلك؟ ألا يدل هذا على شيء له علاقة بالعمل؟ شيء يشبه الجدال؟».

لم يفصح فلوفنيت عن حقيقة ارتيادهما المدرسة ذاتها: «برأيك ما الذي اختلفا بشأنه؟».

«المال بحسب ما أعتقد، وربما النساء؟ ولعلهما اختلفا بشأن المناطق التي كانا يقصدانها. من الصعب أن يعمل الباعة في المسار نفسه، ولكنني أستغرب أن يُقتل أحد لمثل هذا السبب. إنه أمر غير معقول فعلاً».

«لست مدركاً لأمور كهذه؟ أقصد المشاجرات بين الباعة؟».

«لا، بالطبع لا».

سأله فلوفينت أكثر عن كيفية تنظيم رحلات فيلكس، وأوقاتها، وأين كان يقيم في الريف وأين كان يصعد وينزل من السفن. سأله أيضاً عن الأشخاص الذين يعملون في هذا المجال وهل أظهر أي أحد منهم، بمن فيهم فيلكس، أي تصرف متطرف.

قال تاجر الجملة: «ما دمت ذكرت هذا، كنت أتساءل عن اسم ذكره فيلكس مؤخراً. لعله ليس شيئاً جديداً ولكن من أين لي أن أعرف».

قال فلوفينت وهو يتحرك ليغادر: «أحقاً؟»، نظر إلى الساعة ولم يشأ أن يعطل الرجل أكثر.

«لا أعرف ما إن كان يستخدمه كثيراً».

لم يفهمه فلوفينت تماماً وسأل: «هل تقصد الاسم الذي كان يستخدمه؟ تعرف أن كنيته لاندين أليس كذلك؟ واسمه الكامل هو فيلكس لاندين، هل وجدت هذا غريباً؟».

«لا، بالطبع لا، فهذا اسمه. ولكنني لا أعتقد أن فيلكس استخدم هذه الكنية دائماً، ولا أعتقد أنه كان يُكنّي نفسه لاندين دائماً».

«بماذا كان يُكنَّي نفسه؟».



«رودولفسون».

«فيلكس رودولفسون؟».

«وحده الله يعرف لماذا. لم أسأله، فلم أعتقد أنّ لي علاقة بالأمر».

«كيف عرفت بذلك؟».

«مؤخراً توجب عليّ التواصل مع فيلكس فاتصلت بدار استراحة عرفت أنه ينزل فيها دائماً، ولكن حين طلبت أن أتكلم معه سألوني إن كنت أعني فيلكس رودولفسون. لم أكن واثقاً مما أقوله حيث سألت عن فيلكس لاندين وقالت لي المرأة التي أجابت على اتصالي أنه لا يوجد سوى نزيل واحد لديهم وهو باسم فيلكس رودولفسون. لذا طلبت أن أتكلم إليه، وأجاب فيلكس على الاتصال بعدها».

«لقد استخدم فيلكس اسماً مستعاراً في رحلاته في أرجاء البلد، ولكن ما الذي يدفعه لفعل ذلك؟».

قال التاجر: «لا أعتقد أن هذا الاحتمال صحيح فهو سمّى نفسه بفيلكس رودولفسون في هذه المناسبة بالتحديد، فليس هناك مجال للشك. ولكنني لا أستطيع أن أطبق هذا على المرات الأخرى. لقد تفاجأت قليلاً، ولكنني لم

أقل شيئاً عن الموضوع، ولم أتدخل حيث لم تكن لي علاقة سوى بالعمل».

«أين كان وقتها؟».

«في إقليم المضايق ضمن إيسافيوردر. في الواقع كانت تلك آخر رحلة له معنا. عاد إلى الديار وأوصل طلبياته وسوّى حساباته، ولم أسمع عنه بعدها سوى حين قرأت في الجريدة أنه كان مشتبهاً به في جريمة قتل».

«كان يستخدم اسم فيلكس رودولفسون أليس كذلك؟».

«إن لم يرد استخدام كنية لاندين فهذا شيء يعود إليه بالطبع، ولكنني وجدت الأمر غريباً بعض الشيء خصوصاً بعد أن عثر على ذلك الرجل المسكين مقتولاً في شقته».

أشار فلوفينت قائلاً: «بالطبع، إن لاندين كنية ألمانية ولا يتقبلها الناس كثيراً في هذه الأيام».

«لا، بالطبع، هذا منطقي تماماً. ولكن خطر لي أن أتساءل إن كان هناك سبب آخر، ماذا لو كان يسافر بشكل متخفٍّ أو ما شابه؟».

25

لليوم الثاني على التوالي لم يجد فلوفينت أحداً في منزل رودولف لاندين. طرق جميع الأبواب، ونظر من النوافذ، ولكنه لم يرَ إشارة على وجود أحد. خطر له أن يسأل الجيران، فربما يعرفون إلى أين ذهب، وكان محظوظاً، فقد فتحت ربة منزل في منتصف العمر باب بيتها واستطاعت مساعدته. ففي الساعات الباكرة من صباح يوم البارحة سمعت سيارة إسعاف في الشارع، وشاهدت رودولف لاندين محمولاً على نقالة. لم تعرف ما الخطب، ولكنها قالت إنها لم تكن المرة الأولى التي يحدث فيها هذا، إذ كانت صحته متدهورة، وكان يذهب إلى المستشفى بين الحين والآخر. لقد سمعت أن قلبه كان ضعيفاً، ولكنها لم تستطع تأكيد ذلك. تبين أن المرأة كانت ثرثارة، وقفت على عتبة بابها، مرتدية مريولاً فوق ثوبها الصباحي وكانت تضع نظارة. وقالت لفلوفينت إن سبب عدم ترحيل رودولف مع باقي أعضاء المجتمع الألماني هو ضعف قلبه. كان زوجها يعمل لصالح أحد الوزراء، وسمع أن البريطانيين ظنوا أن رودولف لن يتحمل الرحلة، قالت المرأة: «اعتبارات إنسانية»، ولكنها قالتها بنبرة تشير إلى أنها لم تعتقد أن هذه الاعتبارات يجب أن تُطبق على شخص من أمثال رودولف لاندين.

عندما سمع فلوفينت رودولف يتأوه ويتحرك أعاد المجلة إلى مكانها ونهض. تعرف عليه الطبيب حالما فتح عينيه.

سأل بصوت أجش: «ماذا... ماذا تفعل هنا؟ لا أريد رؤيتك». من الواضح

أن رودولـف لـم يسـامح فلوفينـت على الطريقة التي عاملـه بها. كانت نظرته حاقدة ونبرته عدوانية.

قال فلوفينت بتهذيب بعد أن اختار كلماته بعناية: «لقد شعرت بالأسف حين سـمعت أنك أُدخلت المستشـفى يا سـيدي». لقد حضّر كلامه حين كان يمشي في الرواق بينما كان رودولف نائماً. «أود أن أطرح عليك بعض الأسئلة ولكنني سأحاول أن أختصر كلامي قدر الإمكان، ولا أريد أن أزعجك. خلال التحقيق اكتشفنا أمراً أو أمرين، وشعرت أنه من المفروض أن أطلعك عليهما. أعرف أن وضعك حرج ولكنني أتمنى أن تصبر عليّ».

قطّـب رودولـف حاجبيـه وهمس: «أصـر على أن تغادر في هذه اللحظة، هل أتيت لتعتقلني؟ ولتخرجني من المستشفى عنوة؟».

أشاح فلوفينت بوجهه، وحاول أن يكون محترماً، وقال إنه حاول زيارته في المنزل، ولكنه عرف للتو أنه نُقل إلى المستشفى.

إذا اعتقد أن رودولف سيقدر نبرته اللطيفة فهو مخطئ، فقد اتقدت عينا الطبيب. وعندما سأله فلوفينت مجدداً هل يستطيع أن يطرح عليه بضعة أسئلة قابلـه رودولـف بالرفـض القاطـع، وأضاف أنه كلف محامياً بتحضير شـكوى رسـمية يبيّن فيها الطريقة التي عاملته فيها الشـرطة، وكان سـيبلغ فلوفينت بها قريباً. لم يفكّر في أن يزج الطبيب في السجن ولم يكن القانون إلى جانبه.

قـال فلوفينـت: «لـم يكن لديّ خيار آخر يا سـيدي. لقد رفضت التحدث إليّ، ووفقاً لخبرتي غالباً ما تجعل زيارة السـجن الناس أكثر تعاوناً. للأسـف لم أكن مطلعاً... على وضعك، ليتك قلت لي شيئاً بخصوص هذا الموضوع».

قال رودولف بغضب: «أنت أحمق، أحمق وجاهل وغير مُهذب».

كان فلوفينت على وشـك أن يرد عليه بشـكل حاسـم، ذكّرتني بشـيء، أردت أن أسـألك عـن ابنـك، ولكنه عدل عـن الأمر. كان من الصعب مقاومة

رغبته بسؤاله إن خيّب فيلكس أمله. كانت لديه رغبة ليطرح أسئلة كهذه، ولكنه لم يستطع المخاطرة والتسبب بذبحة قلبية للطبيب. لم يعتقد أن الأطباء سيسمحون له بالزيارة إذا عرفوا أنه من الشرطة، لذا قرر أن يختصر قدر الإمكان.

علّق فلوفينت: «أنت تُصعّب الأمر يا سيدي».

«لست جديراً بهذا المنصب».

«ألا تشعر بالقلق على فيلكس؟ عن مكان اختبائه؟ أو عن حالته النفسية؟».

«لا علاقة لك بما يقلقني أو لا يقلقني، غادر فوراً من فضلك!».

«إلا إذا كنت تعرف مكانه يا سيدي، هل تعرف؟».

لم يجب رودولف.

«هل تعرف أن فيلكس يستخدم أحياناً اسم فيلكس رودولفسون بدلاً من لاندين؟».

«لا، لم يسبق لي معرفة ذلك، لمَ عساه يفعل هذا؟ ما هذا الهراء؟ هل أتيت لتخبرني بهذا الأمر؟».

«هل تعرف إيفيندور راغنارسون؟».

لم يجب رودولف أيضاً.

«إنه اسم الرجل الذي عثرنا على جثته في شقة ابنك، هل يعني لك الاسم شيئاً؟».

أشاح رودولف بوجهه وقال: «من فضلك، هل يمكن أن تتركني وشأني؟».

«أفهم منك أنك لا تعرفه؟».

«لا».

«ولا تعرف أين يختبئ ابنك؟».

«كم مرة عليّ أن أقول لك إنني لا أعرف مكانه؟».

«هل لديك سبب يجعلك تخاف من أن يكون ابنك تعرض لخطر ما؟».

«ماذا تقصد؟».

«لعله يشارك إيفيندور المصير نفسه؟».

«هل تُلمّح إلى أنه مقتول؟».

«لا شك في أنك فكّرت في هذا الاحتمال، وما دمت تعرف الآن بشأن كبسولة السيانيد التي عثرنا عليها في حقيبته، ألا تخشى أن يكون انتحر؟».

«لا أعرف شيئاً عن فيلكس، وسبق لي أن قلت لك هذا أكثر من مرة، ولكنك تبدو أغبى من أن تفهم».

«ألست قلقاً بشأنه؟».

«لن أصرف طاقتي على هذا السؤال، أصر على أن تتركني وشأني».

علّق فلوفينت: «لا بد أن فيلكس لم يعانِ من التنمر وهو صغير، هل تعرف إن كان هو وإيفيندور صديقين أو هل لعبا معاً على الأقل في صغرهما؟».

تجاهل رودولف السؤال.

«ذكرت أنه لم يعانِ من التنمر لأنه كان هناك فارق اجتماعي كبير بينه وبين أصدقائه. لقد كان إيفيندور يعيش في أحوال صعبة، وكانت أمه سكيرة بالإضافة إلى أن أباه كان مجرماً وعدوانياً ونزيل السجن دوماً. ولكن فيلكس كان من عائلة برجوازية وكان أبوه طبيباً، هل تكلم يوماً عن إيفيندور؟ هل كنت على علم بعلاقتهما؟».

قوبل سؤاله بالصمت مجدداً.

«ما الذي يدفع صبياً من منزل بارز ليكون صديقاً لصبي يعيش في حال سيئة وأبوه مجرم خطير؟ ألم يكن على فيلكس أن يطلب إذنك ليتعامل معه؟ هل سمحت له أم هل فعل فيلكس هذا ليتحداك؟ هل كانت هذه اللحظة التي بدأ يخيّب فيها آمالك؟».

غضب رودولف وقال: «اخرج، ليس لديّ شيء لأقوله لك».

أخرج فلوفينت الكتيب المؤلف من أربع صفحات الذي وجده هو

وثورسون في شقة إيفيندور وعرض الصورة على الطبيب، وسأله إن كان يعرف الأشخاص الظاهرين في الصور. بدا رودولف مصراً على أن يتصرف وكأن فلوفينت لم يكن في الغرفة. سأله فلوفينت مجدداً إن تعرّف إلى الأشخاص الظاهرين في الصور، وعندما لم يلقَ جواباً شرع في وصف ما كانت تظهره الصورة وسمى إيبينسير وبرينهيلدور والصبيين فيلكس وإيفيندور، وسأله إن كان يعرف الباقين. لم يتنازل الطبيب وينظر إلى الصور.

قال فلوفينت: «فهمت أن برينهيلدور تعمل لصالحك مدبرة منزل في هذه الأيام، هل هذا صحيح؟».

لم يقل رودولف شيئاً.

«هل بإمكانك أن تؤكد هذا؟».

أخيراً، سأله رودولف: «ما الذي تريده منها؟».

أجابه فلوفينت في تهذيب بالغ: «أخشى أنه لا يُسمح لي أن أكشف هذا التفصيل»، لقد كان يتعاطف مع رودولف بشكل أو بآخر في ظل هذه الظروف، ولكنه لا ينكر أن تعابير الطبيب الحانقة كانت تستفزه. أضاف بعد أن لاحظ أن وجه الطبيب قد ازداد احمراراً: «في الوقت الحالي على أيّ حال، هل يمكن أن تخبرني أين أجدها؟ لقد توصلنا إلى أنها استأجرت غرفة في نجالسغاتا منذ سنوات قليلة. سيقوم زميلي بالتحدث إلى مالك المبنى...»

قال رودولف: «ليس لي علاقة بهذا، بإمكانك أن تختلق ما تريده من الهراء، اتركني وشأني، ليس لديّ ما أقوله لك».

قال فلوفينت: «حسناً، هناك سؤال أخير عليّ أن أطرحه عليك».

«لا رغبة لديّ بالتحدث إليك، ولكن يبدو أنك تجد صعوبة في فهم هذه النقطة».

سأل فلوفينت: «من هو هانس لاندين؟ من هو الدكتور هانس لاندين؟».

رمقه رودولف بنظرة تدل على المفاجأة: «لِمَ تسألني؟».

«لقد كان في آيسلندا قبيل الحرب وربما عاد وزار البلد في مناسبات أخرى. ربما باستطاعتك أن تطلعني على هذا الموضوع، من هو ولماذا أتى؟».

لم يقل رودولف شيئاً.

«إنه شقيقك، أليس كذلك؟ كيف تعرفت إلى القنصل أي الدكتور ويرنير جيرلاش؟».

لم يتوقع فلوفينت أن يجيب رودولف على أيّ من أسئلته وفقاً لما أظهره من عدم تعاون، وكان توقعه في محله. لقد جلس الطبيب صامتاً منتظراً مغادرة فلوفينت، ولكن الزيارة لم تكن مضيعة للوقت. لم يعرف فلوفينت شيئاً من الطبيب ولكنه أخبره أنه يعرف بشأن هانس لاندين وعلاقاته بالقنصل الألماني. إذا كانت هذه المعلومات ذات قيمة فسيتساءل رودولف عن مصدر معلوماته، والأهم أنه سيتساءل هل يعرف فلوفينت شيئاً عن مخططات هانس وجيرلاش. قبل أن يغادر أراد فلوفينت من الطبيب أن يفكّر في شيء أخير.

«ما طبيعة العلاقة بين برينهيلدور هولم وهانس لاندين؟».

أطبق الصمت لبرهة.

قال رودولف بغضب: «أتظن نفسك تعرف شيئاً؟ أنت لا تعرف شيئاً أيها المغفل الجاهل».

سأل فلوفينت: «ما الذي لا أعرفه؟ نوّرني، لِمَ لا تكون صريحاً معي؟ ألست قلقاً على ابنك على الأقل؟».

أشاح رودولف وجهه.

قال فلوفينت: «أريد أن أسألك مجدداً عن شجارك مع إيبينسير، لقد تشاجرتما بخصوص شيء يتعلق ببعض الصبية، أعتقد بما يخص فيلكس أيضاً، هل يمكن تأكيد هذه المعلومة؟».

لم يبد رودولف أيّ ردّ فعل.

«هل يمَكن أن تخبرني شيئاً بهذا الخصوص؟».

استمر الصمت فاستسلم فلوفينت، بدا جلياً أن لا فائدة من استجواب الطبيب بشأن هذه النقاط. لمح مجدداً نسخة سكيرنير على طاولة السرير، ولكي يبدّل الموضوع سأل الطبيب عن رأيه بخصوص أصل الآيسلنديين والنظرية الجديدة حول هيرولي. لم يكف رودولف عن النظر بصمت إلى النافذة.

وعندما همّ فلوفينت بالمغادرة نظر رودولف أخيراً إليه.

قال: «بمجرد اعتقادهم بأن آيسلندا كانت موطن ذلك العرق المذهل، هذا هو إرث الأسلاف...»

«من؟ أي إرث؟».

«هؤلاء الرعاع».

«أي إرث؟».

«هؤلاء... الرعاع الملعونون».

لم يستطع حمل رودولف على شرح وجهة نظره. لذلك غادر بعد أن تمنى له الشفاء العاجل. خرج من المستشفى محبطاً، ووقف في الخارج قليلاً ليسمح لشمس آب بأن تدفئ وجهه، وحاول أن يستوعب كلام رودولف الأخير. في نهاية المطاف، تحرك وكان سيتجه إلى الغرب بموازاة المستشفى حين خرجت امرأة من المبنى، وفوجئ عندما تبيّن له أنها برينهيلدور هولم. أوشك أن يناديها، ولكنه كبح نفسه ولاحقها من بعيد بحيث لا تستطيع رؤيته، مشت بتؤدة باتجاه سكولافيوردهولت، اجتازت الثكنات العسكرية التي كانت أعلى الهضبة، ولم تلتفت يميناً أو يساراً. كانت ترتدي معطفاً أسود طويلاً، وتنتعل حذاء أسود، وتمسك بحقيبة طبية صغيرة.

26

تحمس مالك مبنى برينهيلدور القديم لمساعدة الشرطة، خاصة عندما عرف أن ثورسون كان آيسلندياً-كندياً. وكان لديه أقارب في أميركا الشمالية. قال: لقد هاجر خالاي مع عائلتيهما إلى وينيبيغ مطلع القرن، ولكنهما لا يزالان على تواصل مع أقاربهما في آيسلندا، وأظهر اهتماماً بالغاً في حياة ثورسون في الغرب. من جهته أخبره ثورسون قليلاً عن مانيتوبا، وعن الزراعة، وعن بعض الشخصيات البارزة في المجتمع الآيسلندي كالشعراء وآخرين تركوا بصمة واضحة. وعلى الرغم من فضول المالك تعمّد ألا يتكلم عن ظروفه الخاصة.

تذكر الرجل برينهيلدور تماماً؛ لقد استأجرت منه غرفة في نجالسغاتا لسنوات عدة، وكانت تلتزم بتسديد الإيجار في الوقت المحدد، ولم ترده أي شكوى عليها. كانت عزباء وظن أنها تشعر بالوحدة إلى حدّ ما، فلم تكن كثيرة الزوار، ولم تبذل جهداً للتعرف إلى جيرانها. وبعد أن ذكر هذا قال إنها ساعدت في معالجة بعض الإصابات الطفيفة والأمراض حين عرفوا أنها كانت ممرضة. لم يظن أنها متزوجة ولم يسألها، فقد بدا أنها لا تُحبذ الإجابة عن الأسئلة الشخصية.

سأل المالك عن سبب اهتمام الشرطة العسكرية ببرينهيلدور لأنه شك في أنها قد تخرق القانون. وتجنب ثورسون الإجابة وشرح له أنه كان يساعد شرطة ريكيافيك فحسب في أمر يتعلق بالعلاقات بين قوات الاحتلال والسكان المحليين. وكذّب عندما قال إن برينهيلدور كانت شاهدة محتملة.

لم يسمع الرجل شيئاً عن برينهيلدور منذ أن انتقلت. لقد رآها في الجوار، ولكنه لا يعرف أين تقيم في الوقت الحالي، ولم يسبق له أن سمع برودولف لاندين، ولكنه يعرف الناظر إيبينسير، فهو أشهر من نار على علم. وقال الرجل إن عائلة تسكن الآن في الغرفة التي استأجرتها برينهيلدور وكان أصلها من الإقليم الشرقي، وأخبره أيضاً أن دخل العائلة جيد لأن الزوج يعمل لصالح البريطانيين في خليج نوثولسفيك.

في الوقت الذي شكر فيه ثورسون الرجل وهمّ بالمغادرة قال المالك إنه يبحث عن برينهيلدور هولم منذ فترة، لأنها طلبت منه أن يحتفظ لها بصندوقي كتب تركتهما في الغرفة حين انتقلت، ولكنها لم تعد وتأخذهما، ولا يزال يحتفظ بهما. ومع أنهما لا يشغلان مساحة كبيرة، إلا أنه يريد إعادتهما إلى مالكتهما. سأل ثورسون إن كان سيراها قريباً، فأجابه ثورسون إنه يعتقد أنه سيراها عاجلاً أم آجلاً فالمسألة مسألة وقت.

سأل المالك: «هل بإمكانك أن تذكّرها بالصندوقين اللذين تركتهما لديّ؟».

قال ثورسون: «بالطبع».

قال الرجل: «إنهما هنا»، وأشار إلى ثورسون ليلحق به، وأضاف أنه يود أن يتخلص منهما عاجلاً أم آجلاً، وأردف: «لقد تحققت منهما ولم أجد فيهما شيئاً قيماً، لا يوجد سوى بعض الكتب القديمة ومن البديهي أنها لم تعد تهتم بها».

لقد كان المخزن في القبو، وأشار الرجل إلى صندوقين صغيرين كانا على رف إلى جانب عدة أدوات ودلاء طلاء.

قال الرجل آسفاً وهو يعاين الغرفة: «يحتاج المكان إلى بعض الترتيب. لطالما وددت تنظيفه، ولكنني لم أجد الوقت الكافي. أعتقد أنه لا يوجد شيء مهم، ولكن ها هما هنا».

حمل أحد الصندوقين وفتحه وقال إنه فكر أحياناً في أخذ الكتب إلى تاجر كتب نادرة ليرى قيمتها ويبيعها إن كانت ثمينة، وقال: «هل تعرف أن تخزين هذين الصندوقين مكلف؟ ما من شيء مجاني في الحياة».

بينما كان يثرثر عرض على ثورسون محتويات الصندوقين، كان فيهما حوالى خمسة عشر كتاباً، وكان معظمها عبارة عن كتب أطفال آيسلندية بما فيها كتب نوني بالإضافة إلى بعض النسخ المترجمة إلى الألمانية. وحين أمسك الرجل بكتاب وتصفحه لاحظ ثورسون أن برينهيلدور كتبت اسمها على أول ورقة في الكتاب. أعاد الرجل الكتاب وحرص على أن يعيده إلى مكانه تماماً.

احتوى الصندوق الآخر على أعمال ألمانية وإنكليزية عن التمريض، اعتقد ثورسون أنها كانت كتباً دراسية، وحين قدّم له المالك واحداً منها سقط كتيب صغير على الأرض، وعندما حمله اكتشف أنه كان مترجماً من الألمانية إلى الإنكليزية ونشر في لندن منذ خمس سنوات، عدد صفحاته عشرون فقط بالإضافة إلى غلاف ورقي رمادي رخيص كتب عليه العنوان واسم المؤلف. ما كان ثورسون سيعيره أي اهتمام لولا الاسم الذي لفت نظره حين حمله عن الأرض. كان المؤلف هانس لاندين بذاته، كما لفت العنوان نظره أيضاً فقد صيغ بطريقة سؤال: «هل يمكن تخفيض معدل الجرائم عن طريق الاصطفاء الصناعي؟».

سأل المالك: «ما بك؟ هل هناك شيء قيّم؟».

قال ثورسون وهو يتصفّح الكتيب: «ليس تماماً».

سأل المالك حين رأى ثورسون مستغرقاً في الكتيب: «هل تريد أن تأخذه معك؟».

قال ثورسون وهو يسلمه إياه: «لا شكراً، ليس هناك ضرورة». استذكر ما قاله له غراهام وبالانتاين في مستشفى ليبير عن الأبحاث الجينية التي كان

يطبقها النازيون على سجنائهم في محاولة منهم لإثبات أن الصفات الإجرامية كانت وراثية. قالا إنها عبارة عن تجارب في معسكرات اعتقال الألمان، وذكرا اسم بوخينفالد.

قال المالك متنهداً وهو يعيد الكتيب إلى أحد الصندوقين ويعيدهما إلى الرف: «هذا كل ما فيهما، لا أعتقد أنها كُتب قيمة. لم أتفاجأ أن السيدة لم تعد لأخذ الصندوقين، ولكنني لا أعتقد أن هذا من شيمها. عندما أقامت هنا كانت أنيقة ومرتبة، وكانت تدفع بدل الإيجار في الوقت المحدد، ولا أذكر أنني اضطررت يوماً لطلبه منها، ستُذكرها بالصندوقين عندما تراها، أليس كذلك؟».

وعده ثورسون، وعادا إلى الطابق العلوي، وودع المالك وشكره على مساعدته. شعر ثورسون بالندم وهو يقود سيارته لأنه لم يجلب الكتيب ليريه لفلوفينت، وخصوصاً المقطع الصغير الذي تكلم عن المؤلف وذكر أن هانس لاندين ولد في شليزفيغ-هولشتاين وحاز إجازة في الطب من جامعة شتوتغارت وألقى المحاضرات في معهد الأمراض التابع لجامعة جينا وتخصص في علم الجينات.

كان ثورسون متأكداً من أنه سمع أن الألماني ويرنير جيرلاش أجرى أبحاثاً في علم الجينات في الجامعة نفسها.

27

لـم يكـن فلوفينـت متأكداً مما يفعله، وبينما كان يتعقب برينهيلدور هولم في سـكولافيوردهولت لـم يسـتطع أن يقرر إن كان عليه متابعة التعقب أو أن يضع حداً لهذه اللعبة ويطلب منها التوقف. ولم يعرف لِمَ قرر أن يتبعها بدلاً مـن أن يتقـدم ويُعـرف بنفسـه. لا بـد أنها كانت تـزور رودولف قبيل أن يصل فلوفينت وبقيت في المستشفى لسبب ما؛ لعلها توقفت لتتحدث مع ممرضة كانـت تعرفهـا، ثـمّ خرجت مـن الباب الخلفي أثناء مغادرته، بدت متجهة إلى وسط المدينة بسرعة وكأن مهمتها لا تحتمل التأخير.

لقـد أسـس البريطانيـون أول ثكنـة لهـم فـي ريكيافيـك فـي أعلـى سكولافيوردهولت وسموها مخيم سكيبتون تيمناً ببلدة صغيرة في يوركشاير. لقد هيمن سبعون كوخاً من نوع نيسين على قمة هذا التل الذي خُطط أن تبنى فيها كنيسة كبيرة يوماً ما وتسميتها باسم الشاعر والكاهن هالغريمور بيتورسون مؤلف ترانيم الشغف، كان الطريق الرئيسي للمدينة يؤدي إلى هنا وكان يجتاز ركام ستينكا حيث كان المسافرون يلقون حجارة ويتمنون الحظ الجيد. وفي العام 1805 أدينت امرأة مسـكينة من الإقليم الشـرقي بجريمة شـرف وتوفيت في السجن، ولم يُسمح بدفنها في مقبرة، لذا دُفنت على التل تحت كومة من الحجارة وكأنها حيوان. نظر فلوفينت وهو يتوجه إلى مكان جثتها.

نظـر أمامـه مجـدداً، ورأى برينهيلدور تشـق طريقها بين البرك التي كانت تزين الطريق الذي يجتاز الثكنة. ومع أنها لم تكن شابة، ولكنه سمع صفرات المغازلـة مـن الجنـود الذيـن كانـوا يتشمسـون ويلعبـون بـأوراق الكوتشـينة

ويدخنون ويثرثرون. لم تنظر برينهيلدور إليهم، ولكنها مشت بسرعة بالرغم من أنها ترتدي معطفاً طويلاً وتمسك بحقيبتها السوداء وتابعت طريقها إلى سكولافيوردوستيغور.

تابعت المشي إلى أن وصلت إلى نقطة التقاء الشارع مع بانكاستريتي ثمّ انعطفت يميناً باتجاه المرفأ، وخلال وقت قليل وصلت إلى هافنارستريتي حيث أبطأت خطواتها ودخلت بثقة أحد الأزقة، وحين رأى أنها اختفت عند الناصية أسرع الخطى ليلحق بها، وحين اقترب من المدخل أبطأ قليلاً ودخل الزقاق بحذر. لقد كان هذا الزقاق بين مبنيين ويبعد قليلاً عن مطعم السيدة مارتا بيورنسون وكان يفضي إلى ساحة. لم يرَ أحداً، ولم يعرف إلى أين ذهبت برينهيلدور، ولكن بدا من المنطقي أنها دخلت أحد المبنيين لأنه لم يكن هناك طريق واضح يفضي إلى خارج الساحة سوى الزقاق.

اعتقد فلوفينت أنها انتبهت له، وتعمدت دخول الزقاق لكي تبعده عنها، ركض إلى الشارع ليرى إن دخلت أحد البيوت وخرجت من الباب الأمامي، ولكنه لم يرَ لها أثراً، وعندما عاد إلى الساحة شرع في التحقق من الأبواب الخلفية واحداً تلو الآخر ولكنها كانت مقفلة. أيقن أنها تملك مفتاحاً لأحد الأبواب، فقرر أن يرى إن كان بوسعه أن يدخل من الواجهة.

عندما خرج إلى هافنارستريتي كاد أن يصطدم بمجموعة جنود أميركيين وكان عليه أن ينتظرهم كي يعبروا، ثمّ عاين واجهة المبنيين ولاحظ لافتة صغيرة غير واضحة على إحدى النوافذ وكانت تشير إلى عيادة هيرمندور فريديكسون. لقد تذكر حينها أن رودولف لاندين مارس الطب في هافنارستريتي.

هذا هو المكان الذي مشت برينهيلدور إليه مسرعة.

وبما أنه لا يعرف عنوان عيادة رودولف قرر أن يجرّب المنزل الذي كانت عليه اللافتة. لم يكن الباب الأمامي مقفلاً، وكان المبنى مؤلفاً من ثلاثة طوابق مع علية عالية ودرج منحدر وقديم. طرق على بابين في الطابق الأرضي وحين

لم يفتح أحد صعد إلى الطابق التالي، طرق على البابين مجدداً وفتحت امرأة كبيرة في السن الباب الثاني، وقالت إنها كانت تتذكر رودولف لاندين تماماً وأن عيادته كانت في الطابق العلوي للمنزل المجاور. لقد ضم المبنى سابقاً شققاً سكنية ومكاتب بما فيها عيادتين لطبيبين، ولكن هيرمندور العجوز توفي وأغلق رودولف عيادته، وعلى حدّ علم المرأة كانت العيادتان فارغتين.

نزل فلوفينت الدرج بسرعة، وجرب الباب الأمامي للمبنى المجاور، وهو الآخر لم يكن مقفلاً. وحين دخل وجد نفسه في ردهة مظلمة فيها شيء يشبه الدرج. تساءل كيف استطاع رودولف صعود كل تلك الدرجات. لم يعرف منذ متى أُقعد الطبيب، ولكنه أصبح يعرف سبب إغلاقه العيادة بعد الحادثة. وجد فلوفينت العيادة في نهاية الدرج، وعلى الرغم من أن الباب كان مقفلاً اهتز حين ضغط على المسكة واعتقد أنه ليس من الصعب أن يفتحه. أسند كتفه على الباب ودفع بشدة إلى أن سمع صوتاً وشعر أن القفل كان يهتز والباب يُفتح.

في الداخل كان هناك غرفة انتظار صغيرة فيها ثلاثة كراسي، وكانت هناك صورة مؤطرة لجبال الألب على الجدار، وكانت الستائر مسدلة وهذا سبب الظلام المخيّم على المكان، وكان الهواء مليئاً بالغبار. كان هناك باب آخر يؤدي إلى غرفة الاستشارة وكان هناك فاصل صغير يحجب غرفة الفحص. ضغط فلوفينت على زر موجود على الجدار، ولكن الضوء لم يُنْر الغرفة. ذهب إلى النافذة وفتح الستائر ليتيح دخول الضوء ولتتاح له الرؤية؛ رأى خزائن أدوية ومعدات لفحص العيون ومكتباً وخزانة وطاولة فحص وأدراجاً شبه مفتوحة تحتوي على أغطية وإبر. بدت العيادة وكأنها كانت مكتظة بالناس قبل أن تُهجر، وكأن رودولف غادرها في نهاية يوم عمل ولم يعد بعدها.

ولكن أحداً أتى إليها مؤخراً لأن الغبار لم يغطِ المكان بشكل كامل، وخصوصاً عند المكتب وطاولة الفحص، وحين عاين فلوفينت المكان عن

كثب اكتشف بقايا وجبة، وعلبتي حليب وإبريق قهوة. حين أمسك بإبريق القهوة اشتمه، ولم يكن هناك شك؛ هناك أحد يقيم في العيادة.

وقف ساكناً لبرهة، وأصغى ولكن لم يسمع سوى الضجة القادمة من الشارع في الأسفل.

نادى: «فيلكس، هل أنت هنا؟ فيلكس لاندين».

سمع صدى صوته يتردد في الغرفة، ولكنه لم يلقَ جواباً.

عاد فلوفينت إلى غرفة الانتظار الصغيرة، ولاحظ هذه المرة باباً آخر في الجدار الخلفي، وتبين له من النافذة أنه عبارة عن باب هروب من الحريق. اعتقد أن برينهيلدور هولم أتت من هذا الطريق وهربت حين سمعته يصعد على الدرج ويحاول فتح الباب، وربما كان فيلكس معها. أياً يكن الأمر كان هناك شخص في عيادة رودولف لاندين منذ وقت قريب. كان فلوفينت على وشك أن ينزل الدرج ليلحق بها ولكنه بدّل رأيه وشعر أن الأوان قد فات.

عاد إلى غرفة الاستشارة، وعندما أصبحت الرؤية أوضح لاحظ حقيبة الطبيب التي كانت تحملها برينهيلدور حين غادرت المستشفى، وعندما فتحها تبيّن له أنها لا تحتوي على أدوات طبية بل لوازم أساسية: شفرة حلاقة وصابون وصحف وظرف قهوة وبعض الخبز.

أمسك بشفرة الحلاقة وأنصت، في أثناء ذلك سمع صريراً من إحدى زوايا الغرفة، فنظر صوب مصدر الصوت ولاحظ خزانة كبيرة مثبتة على الجدار.

قال: «فيلكس؟».

وأنصت مجدداً.

«برينهيلدور؟».

وحين لم يجبه أحد مشى على رؤوس أصابعه صوب الخزانة.

نادى مجدداً: «فيلكس؟».

لــم يتلـق ردّاً وكان علـى وشـك أن يفتح الباب حيـن فُتح باتجاهه فجأة، وقفـز رجـل لــم يـره من قبل وهاجمه. رأى فلوفينت شـيئاً يلمع في يد الرجل وشعر بألم مبرح في جبهته أولاً ثمّ خلف رأسه؛ لقد ضربه الرجل مرتين قبل أن يسـتطيع تحريـك يـده كـي يدافع عن نفسـه، وحين مد يـده لينال من عدوه شـعر بقوته تخور تدريجياً كما شـعر أن جسـمه أصبح أثقل وغير قادر على تلبية أوامره. عندها غاب عن الوعي ولم يدرك أن رأسه قد ارتطم بالأرض.

28

كان البلاغ على مكتب ثورسون عندما أوشكت مناوبته أن تنتهي. لقد كانت الأحداث بطيئة نسبياً، لذا أمضى الليلة وهو يحاول أن يحدد كل عاملات التنظيف اللواتي كن يعملن لصالح الجيش. منذ بدء الاحتلال نما هذا المجال كالطفيليات حيث وجدت النساء المحليات فرصة ليجنين مالاً بتعبهن. حاول أن يتواصل مع فلوفينت عدة مرات على الهاتف ليخبره عن الكتيب الذي وجده ضمن كتب برينهيلدور.

منذ مدة وافق ثورسون أن يعمل نصف مناوبة ليسدي خدمة لزميله الذي أراد الذهاب لاصطياد السمك مع بعض الأصدقاء في بحيرة هاغرافاتن التي تقع على بعد عشرة أميال شرق ريكيافيك، وكان ثورسون يذهب بنفسه لاصطياد السمك هناك بين الحين والآخر. كان المكان جميلاً ومليئاً بسمك السلمون المرقط، وكان موقعاً مشهوراً بين أصدقائه في الشرطة العسكرية ليسترخوا في أيام العطل.

كان البلاغ بخصوص كاسحة ألغام موجودة في ميناء ريكيافيك، وكان الرجل الذي بلّغ عن الحادثة جزءاً من بعثة أميركية كانت في المدينة لعدة أيام، وكان قد ذهب ليتمشى قليلاً قرب رصيف الميناء. قال إن لديه فتيات بهذا العمر، وكره أن يرى مثل هذا الشيء، وأراد من الشرطة العسكرية أن تتدخل حالاً. وحين كلف ثورسون بهذه المهمة قيل إنه يستحسن إعلام الشرطة الآيسلندية وخصوصاً لجنة الأخلاق، ولكن إن احتاج دعماً كان عليه أن ينتظر لأن الجميع كانوا مشغولين.

رن الهاتف على مكتبه حين كان يخطو فوق عتبة الباب فتوقف ليرد عليه. كان الرائد غراهام من مستشفى ليبير، فقال له ثورسون إنه لا يستطيع أن يتحدث الآن لأن عليه تولي مهمة.

سأل غراهام وكأنه لم يسمع أي كلمة مما قاله ثورسون: «هل اقتربتم من العثور على... على فيلكس لاندين هذا؟».

«أُرجح أننا سنعثر عليه قريباً يا سيدي».

«يجب أن تعلمني بالتفاصيل كي نتولى أمره قبل أن تزيد الحكومة الآيسلندية الطين بلة، هل تفهم هذا يا ثورسون؟ هذا إن عثرتم عليه على قيد الحياة. من الممكن أننا نتعامل مع قضية تجسس هنا، هل لديك أيّ فكرة عما يخطط له؟ هل اكتشفتم أي شيء عن الرجل الذي عُثر على جثته في شقته؟».

«نعم، لقد... كان هو الآخر بائعاً متجولاً».

«حقاً؟ هل تعتقد أن الأمر كان شخصياً؟ هل كانا يلتقيان؟».

«على الأرجح».

«ما الذي كان يفعله الرجل الآخر هناك؟».

«لا نعرف بعد».

«لا بد أن لاندين هذا خطير، هل هو مسلح».

«لا، على حدّ علمنا».

قال غراهام: «من الأفضل أن تفترضوا أنه مسلح».

«أخشى أنه لا يمكنني التكلم أكثر... عليّ أن أؤدي مهمة حالاً، هل يمكننا أن نتناقش في الأمر في وقتٍ لاحقٍ يا سيدي؟».

قال غراهام: «أبقنا على اطلاع بما يحصل يا ثورسون». ثمّ ودعه.

أدرك ثورسون أن عليه التحرك بسرعة، ولهذا قرر ألا يخبر لجنة الأخلاق إلى أن يكتشف حقيقة ما يحصل في الميناء. كانت مهمة اللجنة أن تمنع الفتيات القاصرات من مصادقة الجنود، وقد سبق لثورسون أن عمل معهم

ولـم يُعجـب بالطريقـة التـي يعملون بهـا، فقد كانوا يتجسسـون على الفتيات ويرسـلونهن خـارج المدينـة. لـم يعتقد أن إصلاحية في الريف سـتنفع هؤلاء الفتيات.

لذا كان ثورسـون وحيداً عندما تحرك بسـرعة البرق إلى الميناء بمحاذاة الرصيف حيث رست كاسحة الألغام. ركن عند الممشى، وقفز ثمّ صعد إليها مسرعاً، وعندما وصل إلى السطح تقدم حارسان وأمراه بالتوقف. أراهما بطاقة الشرطة وطلب أن يتحدث مع الضابط المسؤول.

سـأل أحد الحارسـين بنبرة تنم عن شـكه: «أنا المسـؤول عن السفينة، ما الذي تريده؟». كان أكبر من الحارس الآخر ولم يظهر أيّ نية للتعاون.

سأل ثورسون: «هل يوجد رجال غيركما؟».

قـال الحـارس اليافـع: «ذهـب معظـم الطاقم إلى الشـاطئ أي كل جنود الباخرة وضباطها باستثناء الملازم ولكنه نائم ولدينا أوامر بعدم إيقاظه».

كرر الحارس الأكبر: «مهما يكن الأمر».

قال ثورسون: «عليّ أن أفتش السفينة، لن أستغرق وقتاً طويلاً».

كـرر الحـارس الشـكاك: «تفتش السـفينة؟ لماذا؟ ما الـذي تريد التفتيش عنه؟».

«تلقينـا بلاغـاً وعلـيّ أن أتحقق من صحته، هل مناوبتكما بدأت منذ أول المساء؟».

«نعم يا سيدي».

«هل سمحتما بدخول أي مواطن إلى السفينة؟».

تبادل الحارسان النظرات.

قال الرجل الأكبر: «لا أعتقد أن علينا الإجابة عن هذا السؤال».

«هل ستسمحان لي بأن أصعد إلى متن السفينة؟».

قال الحارس الأكبر بتعنت: «نحتاج لإذن من قائدنا». بدا وكأنه خلاسي.

كان شعره أسود داكناً وعيناه بنيتين. تساءل ثورسون إن كان من نيومكسيكو أو ما شابه. «لا يسمح لأحد أن يصعد إلى السفينة من دون إذنه».

«أيقظ الملازم إذاً».

«لا أستطيع».

سأل ثورسون: «هل هناك مواطنون آيسلنديون على متن هذه السفينة؟».

«لا، على حدّ علمي».

«لقد تم رصدهم هنا منذ أقل من نصف ساعة».

«هل لديك أوراق؟».

«أوراق؟».

«لتصعد إلى السفينة يجب أن يكون معك أوراق، ويجب أن تكون موقعة ومختومة».

قال ثورسون بغضب بعد أن نفد صبره: «كف عن العبث، فلا وقت لديّ لهذا. لديك خياران، إما أن تسمح لي أن أصعد إلى السفينة لنسوي العمل بهدوء وتروٍّ ومن دون متاعب، أو أستدعي كل أفراد الشرطة العسكرية المتوفرين لنقوم بعملية مشتركة مع الشرطة المحلية ونبحث عن مواطنين آيسلنديين على هذه السفينة، ولا أظن أن أحداً سيعرف كيف سينتهي الأمر. من المؤكد أن هذه العملية ستسبب عمليات اعتقال، وأعتقد أننا نفضل تجنب هذا النوع من المتاعب، إلا إذا كنتما تودان أن تشرحا لقائدكما ما حصل تماماً وكيف كان تجنبه ممكناً. هل هذا ما تريدانه؟ قررا ما تريدانه».

تبادل الحارسان النظرات عندما استوعبا كلام ثورسون، لقد استشف أنهما لم يعودا واثقين في قرارهما، بدا أن خطابه أدى غرضه لأن الحارس الأكبر تنحى جانباً بعد ثوانٍ وسمح له بالدخول.

أسرع في المشي تحت السطوح وركض عبر الممرات وطرق على الأبواب. لم يكذب الحارسان حين قالا إن معظم أفراد الطاقم قد توجهوا

إلى الشاطئ حيث كانت كاسحة الألغام أشبه بسفينة أشباح، ولأنه لم يكن يعرف تصميم السفن البحرية فقد فتح ثورسون جميع الأبواب التي اعترضت طريقه، وكشف عن مقصورة تلو الأخرى. ثمّ اقتحم المطبخ ورأى أحد أفراد الطاقم يقشر البطاطا، ثمّ دخل إلى الحمام، وقفز بعدها من الدرج إلى السطح السفلي ثمّ إلى السطح الأسفل حتّى وصل إلى أعماق السفينة قرب غرفة المحركات، التي كانت تعبق برائحة الوقود والمعدن والغليسرين والعرق. فتح باباً آخر ورأى أخيراً الفتاتين اللتين بلّغ عنهما الرجل بصحبة بعض الجنود.

لم يتجاوز عمر الفتاتين الخمسة عشر عاماً كما قال الرجل. كانتا طفلتين واعتقد ثورسون أنه كان محقاً؛ كان الرجال الثلاثة الذين بصحبتهن يلعبون بأوراق الكوتشينة وتحيط بهما سحابة من دخان السجائر. من الواضح أنهم كانوا ثملين وكان هناك مزيد من الكحول والسجائر على الطاولة. كان أحد البحارة يحتضن فتاة شبه عارية، أما الأخرى فكانت تتمدد على مقعد وتدخن سيجارة وكانت ساقاها عاريتين تحت ثوبها الرقيق. أما الرجال فكان اثنان منهما عاريي الصدر أما الثالث فيرتدي قميصه الداخلي. كانت أعمارهم متفاوتة، والرجل الأكبر سناً بدا في الخمسين من عمره.

سأل البحار الذي كان يداعب الفتاة: «من أنت بحق الجحيم؟»، كاد يوقع الفتاة وهو يقف، وكانت أصابعه الثخينة متشحة بالشحم.

اعتقد ثورسون أنهم كانوا مهندسين.

قال: «لا أريد إثارة المتاعب».

«متاعب؟ أيّ متاعب؟ من يثير المتاعب؟».

حدق الرجلان الآخران إلى ثورسون ثمّ أنزلا أوراقهما ونهضا وبدا منزعجين من هذا المتطفل.

قال ثورسون: «يجب على الفتاتين أن ترافقاني».

«بأمر من؟».

رفع ثورسون بطاقة الشرطة، ولكن بدا أن تأثيرها كان معدوماً على متن هذه السفينة البعيدة عن الديار. أوقعها المهندس من يده، حتى أنه لم يقرأها، أمر ثورسون الفتاتين أن تذهبا معه حالاً، وتفاجأتا حين سمعتا جندياً يتحدث الآيسلندية ولكن الكحول أثبط إرادتيهما فلم تُحركا ساكناً. كانتا شقراوين وعلى الأرجح شقيقتين، ومساحيق التبرج التي استخدمتاها كي تزينا وجههما زادت الطين بلة.

قال المهندس: «لن تذهبا إلى أي مكان».

صرخ ثورسون: «أيتها الفتاتان!» وندم لأنه لم يجلب أي دعم، «رافقاني حالاً».

تفاجأتا ولكنهما شرعتا تحضران نفسيهما لمرافقته، ولكن المهندس ضاق ذرعاً. هجم على ثورسون وأوقعه في الممر الضيق، وحاول أن يضربه على وجهه، ولكن ثورسون تجنب ضربته فاصطدمت بكتفه ودفعته إلى الجدار. وحين تراجع عن الممر أمسك المهندس مفكاً ولحق به، ورأى ثورسون صديقيه وهما قادمان من مضجع السفينة. حاولت الفتاتان أن تشقا طريقهما، ولكن واحدة منهما أفلتت، واستدارت ونادت صديقتها وطلبت منها أن تسرع، ولكن البحار لم يُفلتها.

قال المهندس الذي كان يلحق بثورسون ويلوح بالمفك في وجهه: «إلى أين تعتقد نفسك ذاهباً؟ ألا تريد أن تتحدث إلينا؟».

قال ثورسون: «دع الفتاتين تذهبا ثمّ سنتكلم».

لقد وصل إلى الدرج وعندها أسقط في يده؛ هل كان يجدر به ترك الفتاتين والهرب والعودة مجدداً مع دعم؟ ولكنه سمع حينها خطوات في الأعلى ونزل الحارس الأكبر باتجاهه وتوقف في وسط السلم.

قال للمهندس الذي أوشك أن يقضي على ثورسون: «لا تفعل شيئاً غبياً يا ريك، اتركه وشأنه».

«لا تتدخل يا كورتيز، ليس لك علاقة».

صرخ كورتيز: «كف عن هذا! إنه شـرطي يا غبي، هل تريد أن تلاحقك كل فرق الشرطة اللعينة؟ قلت لك إنهما صغيرتان للغاية، ألم أقل لك ذلك؟».

توقـف الرجـل الـذي كان يدعى ريك وقطب حاجبيه في وجه الحارس؛ من الواضح أنه أبى الاستسلام، وخلال هذه المناورة نادى ثورسون الفتاتين مجـدداً. تـرك البحـار الفتـاة التـي كان يمسـك بها فأسـرعت الاثنتـان باتجاه ثورسون الذي طلب منهما صعود السلم وصعد خلفهما. زمجر كل من كورتيز وريك في الوقت الذي دفع ثورسون الفتاتين أمامه إلى الطابق التالي وصعدوا سريعاً على سلم آخر إلى أن وصلوا إلى السطح المكشوف، وحين عثروا على الممشى ركضوا إلى سطح السفينة.

29

كانت إحدى الفتاتين عنيدة، وأبت العودة إلى منزلها. رفضت أن تعطي ثورسون عنوانها وقالت إنه أفسد متعتهما. ادّعت أولاً أن لا عائلة لها، ولكنها اعترفت أخيراً أنها غادرت منزلها، وأنها لن تعود إليه مهما تكن الظروف. لم تكن الفتاة الأخرى غاضبة مثلها، بل بدت ممتنة لأنه أنقذهما من أعماق السفينة. كانت تعيش مع أبيها وأخويها قرب مخيم تريبولي، ولم تمانع أن يقلها ثورسون بشرط أن يتركها تترجل على مسافة آمنة لأن أباها يكره الجنود، ولطالما منعها من التعامل معهم. لم يسألها ثورسون لماذا تلتزم بما طلبه منها أبوها، فلا بد أن لديها أسبابها، ولقد بذل جهده على أيّ حال. لم يتكلم أكثر في الموضوع، ونفذ لها رغبتها وأنزلها قرب فاتنسميري، وهو توسع قرب المستنقع قرب المطار. مسحت معظم مساحيق التجميل عن وجهها ووعدته ألا تصعد مجدداً على متن سفينة بحرية، وأنتبتعد عن الجنود.

ودعت صديقتها وراقبها وهي تتعثر بالمشي على الأرض الموحلة، وتساءل هل يفترض به أن يسلمها إلى السطات الآيسلندية، قالت إن أباها سيقتلها إذا اكتشف أنها كانت متورطة مع الجنود، وقد ضربها بسبب جنحة أقل من هذه، كما ضرب أخويها، حين كان ثملاً، وكان يشرب في معظم الأوقات. أخبرها ثورسون قبل أن يفترقا ألا تتردد في طلب مساعدته إن احتاجتها، وأنها تستطيع الاتصال به في مقر الشرطة العسكرية.

سألته البنت العنيدة مرتين إن كان معه سجائر، وأعلمته أنها هربت بالفعل من الإصلاحية التي أرسلتها إليها لجنة الأخلاق. كانت تدرك أنها

سترُسل إليها مجدداً، إذا أمسكوا بها، ولكنها ستهرب أيضاً، وحين استوعبت أن ثورسـون كان سـيحفظ وعده وينزلها حيث تريد تلاشـت عدوانيتها. حتى تلك اللحظة لم تكن قد أجابت عن أسئلته سوى بسيل من الإهانات، ولكنها استسـلمت الآن، واعترفت أن لديها أختاً كبيرة بإمكانها أن تبقى معها. قالت لثورسون اسم الطريق، وعلى الرغم من أنها ادعت أنها كانت في الثامنة عشرة من عمرها اعتقد أنها لم تتجاوز سـن الخامسـة عشـرة. حاول أن يخبرها أنه على الرغم من أن الكثير من البحارة والجنود في المدينة كانوا طيبين، ولكن هناك دائماً الوجه السيئ من المعادلة. كان على النساء توخي الحذر كما كان على الفتيات بعمرها أن يجتنبنهم تماماً.

عارضته وقالت إنها لم تتعرض لأي مشكلة، فكل الرجال الذين رافقتهم عاملوها بطريقة حسنة وقدّموا لها المال والسجائر والحلوى. حاول أن يشرح لها أنه على الرغم من أنهم كانوا لطيفين معها ويشترون لها الشراب والسجائر ولكنهـم كانـوا يريـدون شـيئاً بالمقابـل. لم تكـن تنتمي لهذا العالم في سـنها وخصوصاً إذا قادها هذا الطريق إلى أعماق سفينة حربية في ميناء ريكيافيك.

لم يعرف إن أثّر فيها أم لا، واعتقد أنه سبق لها أن سمعت هذا الكلام، ولكـن دفاعهـا كان يتلاشـى شـيئاً فشـيئاً، كانـت تتعافى من آثـار الثمالة الآن. جلسـت بهدوء في المقعد الأمامي للجيب، كما كانت عبارة عن قوام صغير وضعيف. كان ثوبها الرقيق يكشف عن ساقين نحيلتين، وكان جوربها متسخاً عند كاحليها، وكانت تنتعل حذاء ولادياً ولم تبلغ قدماها أرضية الجيب. ومن دون سـابق إنذار انهمرت دموعها وأجهشـت بالبكاء، فركن ثورسـون الجيب جانباً، وأوقف عمل المحرك. وضع يده عليها، وحاول مواساتها عندما دنت منه.

قال: «لا تبكي يا عزيزتي».

بكت وقالت: «لا أريد العودة إلى الإصلاحية، لا تدعهم يرسلوني بعيداً،

إنهم يسحبونك ويحتجزونك ثمّ يرسلونك إلى ذلك المكان المرعب في أرض نائية».

قال ثورسون: «لن أخضعك للاستجواب، ولكن عليك أن تفهمي أن ما تفعلينه خطير للغاية، لا تستطيعين أن تستمري بهذا، ماذا عن أمك، ألا يمكنك...؟».

«إنها... إنها... ترضى إذا جلبت لها السجائر والشراب».

«ماذا عن أبيك؟».

«أبي؟!». بدت متفاجئة.

«نعم، هل هناك... هل هو...؟»

«تعتقد أمي أن أبي كان رجلاً من جزيرة يستمان».

«لا تعرفينه؟».

«لا».

«كيف التقيت بالبحارة الذين كنت بصحبتهم؟ آمل ألا تكوني... قد انخرطت كثيراً في المجال».

«في حانتين من حانات وسط المدينة، في رامونا والنجمة البيضاء، وفي أي مكان. في الواقع، لم أفعل شيئاً معهم».

قال ثورسون: «أبقِ الأمر على هذه الحال».

«أعرف ما يريدونه، أتعتقد حقاً أنه لم يسبق لي أن تعاملت مع أمثالهم؟ هناك رجل في شارعنا يدفع لي لأراقبه وهو... تعرف قصدي، ليس عليّ أن أفعل شيئاً سوى أن أراقبه...»

صرخ ثورسون: «بالله عليك، يجب أن تبتعدي عن أمثال هؤلاء الرجال، فهم خطرون على الأرجح ولا يجدر... لا يجدر بك أن تفعلي هذا».

«لقد تعرفت أختي إلى جندي بريطاني... وهما مخطوبان الآن، إنه من لندن وستعود معه إلى هناك بعد الحرب، ستعيش هناك وتصبح إنكليزية».

وصفت الأمر وكأن أختها نالت الجائزة الكبرى.

سأل ثورسون: «ماذا تقولين؟ هل تريدين السير على خطاها؟».

«قالت إنه من الأفضل أن أحظى بجندي عوضاً عن رجل آيسلندي، لقد جنّت حين وصلوا... أقصد الجنود البريطانيين. كانت تخرج مع صديقاتها كل ليلة ولطالما حظين بوقت جيد. إحداهن متزوجة، ولكن الزواج لم يمنعها من أن تحظى بوقت ممتع».

قال ثورسون: «لا، لا شك في ذلك».

عندما رأى أن الفتاة استعادت عافيتها، أعاد ثورسون تشغيل المحرك وانطلق باتجاه منزل أختها. كان الوقت متأخراً، وحين أوقف الجيب استطاعا سماع صوت أبواق السيارات المدوية في وسط المدينة. لم تقل الفتاة شيئاً، ولكن ثورسون شعر أنها ممتنة، ولكنه لم يعرف إن كان السبب لأنه أنقذها من براثن هؤلاء الرجال، أم لأنه أبقى لجنة الأخلاق خارج الموضوع. ربما كانت ممتنة لكلا الأمرين.

تبيّن أن أختها كانت امرأة يافعة في الخامسة والعشرين وكانت منشغلة في تحضير نفسها لتسهر خارج المنزل ولا بد أنها كانت غاضبة من أختها لسبب سابق. عاينت ثورسون عندما وقف عند الباب في زيه الرسمي، ولكن حين شرح بالآيسلندية أنه كان آيسلندياً غربياً، بدا وكأن الضوء تلاشى من عينيها، قالت بلا مبالاة تامة: «فهمت». قال لها إن عليها أن تعتني أكثر بأختها في المستقبل.

قالت وهي تبحث عن سيجارة وكان وجهها شاحباً: «أعتني أكثر؟».

وجدت علبة سجائر وولاعة كانت شائعة الاستخدام بين الجنود على حد علم ثورسون، استنشقت الدخان بعمق ثمّ قالت: «ماذا فعلت؟ لا أستطيع التحكّم فيها، إنها خارج السيطرة تماماً».

قال ثورسون: «لقد فعلت شيئاً خاطئاً، كانت برفقة أشخاص سيئين».

قالت الأخت: «أمسكت بها اللجنة مرتين حتى الآن، لقد أرسلوها إلى الريف ولم ينفعها ذلك».

قالت الفتاة اليافعة: «لن أعود إلى هناك».

قالت الأخت الكبرى وهي تنفث الدخان: «لمَ لا تخرسين؟»، وسألت ثورسون بغضب: «هل هناك شيء آخر؟».

«لا، اعتني بها فحسب إنها فتاة جيدة».

قالت: «حقاً؟» ثمّ أغلقت الباب في وجهه.

أشاح ثورسون بوجهه وتساءل إن كان تصرفه صائباً بإحضاره الفتاة إلى أُختها، وحين استدار ليرحل سمع المرأة وهي تؤنّب الفتاة.

«ما الذي فعلتِه بحق الجحيم؟ أين كنتِ».

تعاطف ثورسون مع الفتاة.

«لا تقولي لي إنك ذهبت إلى السفن! هيّا، أجيبيني! هل فقدتِ عقلك؟ هل أصبحتِ عاهرة للبحارة؟».

لم يسمع ثورسون رداً ولم يسمع سوى صوت طقطقة خافت وكأنها صفعت الفتاة على وجهها.

«لمَ لم تذهبي إلى فيرا أيتها العاهرة؟ لقد كانت تسأل عنكِ طوال اليوم، لِمَ لم تذهبي إليها كما قلت لك؟».

بعد لحظات طرق الباب وكان الشرطي الكندي يقف على العتبة مجدداً، وكان وسيماً. لم تستطع المرأة أن تحدد لم وجدته مستفزاً.

صرخت وقالت: «نعم، ماذا؟ أمازلت هنا؟ ماذا تريد؟».

«اعذريني، هل قلتِ فيرا؟».



30

استغرق فلوفينت وقتاً لا بأس به كي يستعيد وعيه؛ كان رأسه يؤلمه وخصوصاً جبهته ولم يعرف السبب، لقد تذكر بشكل مشوش أنه تبع برينهيلدور هولم من المستشفى إلى وسط المدينة، ثمّ صعد درجاً منحدراً ودخل عيادة طبيب، وحين وضع يده على رأسه وجد شيئاً لزجاً على شعره وعلى ملابسه أيضاً. كان يتمدد بشكل جانبي على الأرض الصلبة وكانت الظلمة تحيط به، ولكن النافذة أتاحت دخول ضوء خافت من الشارع. شعر بالغثيان والجوع في آن ولم يستطع أن يحدد مكانه.

تمدّد في مكانه لبرهة، وتساءل بغباء عن سبب تمدّده على الأرض.

في النهاية، جلس فلوفينت وشعر بالتعب الشديد. تفحّص الأرجاء في الظلمة، ورأى شبحَ سرير. نظر إلى خزانة الملفات والمكتب والكرسي، ولاحظ أنه لا يزال في عيادة الطبيب على الأرجح. عانى في الوقوف على ساقيه، ولكنه سعل وتقيأ، فاستند إلى سرير الفحص لبرهة ولمح الزاوية حيث فتحت الخزانة. لقد استعاد شريط الذكريات؛ كيف فُتح الباب وقفز شخص وضربه على رأسه. مرّر يده برفق فوق جمجمته المتأذية وعندها لاحظ أن الشيء اللزج كان دماً.

«إنه يكره أباه».

استدار فلوفينت بشكل مفاجئ، وعندما نقل ناظريه باتجاه غرفة الانتظار وجد شبح امرأة تنهض من كرسي وتتّجه إليه، لم يستطع أن يميز ملامحها

في الظلام ولكنه عرف من هي.

«برينهيلدور؟ برينهيلدور هولم؟».

«لا بـد أنـك لحقـت بـي، لـم أنتبـه إلى أننـي قدتك إلى هنا مـن دون أن أدري».

«لم تكن ملاحقتك صعبة... يا سيدتي، ثمّ تذكرت أن رودولف لاندين كانت لديه عيادة في هذا الشارع».

«لا داعي لتدعوني بسيدتي أليس كذلك؟ تنبهنا إليك وأنت تصعد الدرج، ولكننا لم نظنك ستقتحم المكان. ظننت أنك ستلحق بي من الباب الخلفي وتصعد درج النجاة، ولكن يبدو أنك لم ترني. لم أتصوّر أنه سيهاجمك، يعتقد أنه في خطر. أنت الآن في أمان، على الأرجح».

«فيلكس؟».

قالت المرأة وهي تتقدّم لتقف في هالة الضوء الخافت: «لقد رحل بحلول الوقـت الـذي عـدت فيـه». كانت تتكلم برتابة حذرة وبـدا الحزم على ملامح وجهها. ما زالت ترتدي المعطف الأسود الطويل وتنتعل الحذاء الأسود عالي الساق.

«أين هو؟».

«لا أعرف».

قال فلوفينت وهو يحاول أن يقاوم دواره: «أنت تكذبين».

«لست مرغماً على تصديقي، ولكنني قلقة عليه. فيلكس في موقف حرج، وهو مرتبك وخائف ويقول إنه لا يستطيع الوثوق بأحد».

«لم عليّ أن أُصدّقك؟».

«لست ملزماً بتصديقي. عندما رأيتك هنا فكّرت بالتحدث إليك. ما كان يجـدر بفيلكـس أن يهاجمـك، وأريـدك أن تعـرف أنني أرفض هـذا النوع من العنـف. عرفـت أنـك لـن تعاني في الإمسـاك به. ما أقصـده هو أنني لا أفضل

طريقة اللف والدوران، لذا يستحسن أن نتكلم الآن. هل أنت على ما يرام؟ كيف حالك؟».

قال فلوفينت: «أنتِ شريكة في جريمته. هل تعرفين ذلك».

«شريكته؟».

«لقد قتل إيفيندور».

«لا، لم يقتله، قال لي إن ليس القاتل».

«وهل صدّقته؟».

«نعم، صدقته، ليس لديّ سبب للشك في فيلكس، أتفهّم شك الآخرين فيه، ولكنني أصدّقه».

«إذا كان بريئاً لِمَ لا يسلم نفسه؟ لِمَ عليه أن يلعب دور الفار من العدالة؟ لا بد أنه ارتكب هذه الجريمة فهذا هو التفسير المنطقي».

«أبى أن يتفوّه بحرف، وكل ما توصلت إليه هو أن شيئاً حصل هناك ويفضّل ألا يعلم به أبوه. يعتقد فيلكس أنني سأجاريه في هذا، إن علاقتهما محيّرة».

أشار فلوفينت إلى الحقيبة السوداء: «كنت تعتنين به».

«لم أعرف كيف أتصرف، لقد طلب المساعدة، ولن أخذله فقد خُذل بما فيه الكفاية».

«اعذريني إن لم أُصدّقك».

«اسمعني، لقد كان مذعوراً وتوسلني كي أساعده، قال إنه لا يجد مكاناً يلجأ إليه وإن شيئاً فظيعاً قد حصل. لم يخبرني ما هو هذا الشيء، ولكنه أخبرني عن الجثة في شقته، طلبت منه أن يوضح لي مما هو خائف، ولكنه رفض وقال إن الأفضل لي ألا أعرف. لم أفهم شيئاً، ولكنه كان يتحدث على هذا النحو منذ ليلة مقتل إيفيندور».

قال فلوفينت: «أعرف أنهما ارتادا المدرسة نفسها وكانا صديقين، أكان

هذا سبب قتله إيفيندور؟ هل للجريمة علاقة بشيء حدث في الماضي؟».

عاينت برينهيلدور هولم فلوفينت لبرهة ولم تقل شيئاً ثمّ قالت بنفاد صبر: «اسمعني، يقول إنه لم يقتل إيفيندور».

«نعم، سبق لكِ أن قلتِ هذا».

«بالطبع شجّعته على الاتصال بالشرطة، وتوسّلت إليه أن يفعل ذلك منذ أن اختبأ، ولكنه قال إن هذا الخيار ليس آمناً وعليه الانتظار. لم أستطع إقناعه».

مضت أشهر لم تسمع فيها برينهيلدور شيئاً عن فيلكس. ثمّ، وفي وقت متأخر، كسر رنين الهاتف الصمت في المنزل الكئيب. كان رودولف قد أوى إلى الفراش، وكانت مستيقظة وعرفت عندها أن خطباً ما قد حصل له. لم يكن فيلكس في حال تتيح له صياغة جملة واحدة كاملة، وحين استطاعت أن تهدئ من روعه قليلاً قال أشياء بخصوص الشقة التي كان يستأجرها، وأنه عندما دخلها وجد إيفيندور ممدداً على الأرض غارقاً في دمائه. فقد فيلكس صوابه، وأصيب بنوبة هلع. كان واثقاً أن الشرطة لن تصدقه، وأنهم سيعتقلونه وسيحدث له شيء وهو رهن الاعتقال، وأكد عليها ألّا تخبر أباه بما حصل حتّى يكتشف ما الذي جرى. صدّقت برينهيلدور ما قاله، لذا حين توسل إليها كي يراها فكّرت في العيادة القديمة على الفور. كانت تعرف مكان المفاتيح وأخبرته أن ينتظرها خارج المبنى، وظل مختبئاً فيها منذ ذلك الوقت. حاولت أن تقول له إن الأمور لا يجب أن تبقى كما هي، وأن الشرطة ستبدأ بالبحث عنه وأن الاختباء سيزيد الطين بلة في المستقبل. حين ظنت الشرطة أنه هو القتيل ارتاح قليلاً، فهذا سيعطيه مهلة ليفكر في خياراته، ولكن تبيّن أن خياراته كانت محدودة. لم تعتقد برينهيلدور أنه تواصل مع أحد أو تجرأ على أن يغادر العيادة في المقام الأول.

قالت حين أنهت قصتها: «أنت حرّ في أن تصدقني أو لا، ولكنني لا أظن أن فيلكس قتل أحداً، ولا أظنه يقدم على ذلك أو لديه القدرة على فعل ذلك».

«برأيه من أطلق الرصاصة على إيفيندور؟».

«قال فيلكس إنه لا يعرف».

«هل هو جندي؟».

«بالطبع، لقد خاف وهرب من مسـرح الجريمة مباشـرة، ولكنه يظن أن الفاعل كائناً من يكن تصرف ببراعة ومن دون رحمة مثل جندي أو قاتل مأجور متمـرس. لـم يتـردد القاتل في فعل ذلك، ولهذا السـبب اعتقد أن الفاعل كان أجنبياً وليس آيسلندياً، ولكن فيلكس ليس متأكداً».

سأل فلوفينت: «لِمَ يخاف أن يحدث له شيء؟ ما الذي يرعبه؟».

«أليس هذا بديهياً؟».

«لا».

«فيلكـس مقتنـع أن إيفينـدور قُتـل عـن طريق الخطأ، وهـو متأكد أنه هو المُسـتهدف وأن الناس الذين أرادوا قتله لا يزالون يلاحقونه، هذا هو صلب الموضوع وهذه هي المشكلة. لا يزال أولئك الناس وراءه ويعتقد أنهم يريدون قتله».

31

حافظت برينهيلدور على وعدها، ولم تخبر أحداً بمن فيهم والده عن المكان الذي يختبئ فيه. أرادت أن تخبر رودولف قبل أن يسمع الخبر من الشرطة، ولكن الفرصة لم تُتح لها، ولم تُخبره إلا بعد زيارة فلوفينت. اعترفت أنها كانت تُخفي فيلكس في العيادة القديمة، وشرحت له لماذا لم يستطع ابنه اللجوء إلى السلطات. غضب رودولف لأنها لم تخبره من قبل، وأصر على أن يسلم فيلكس نفسه.

وترت هذه الأخبار الطبيب الذي كان معتل القلب، وكان استجواب الشرطة له بمنزلة القشة التي قسمت ظهر البعير. في تلك الليلة، آلمه صدره، ونُقل إلى المستشفى، وحين تبع فلوفينت برينهيلدور كانت في طريقها لتقول لفيلكس إن الوضع لا يجب أن يبقى على ما هو عليه.

قال فلوفينت: «هل تتوقعين أن أُصدقك؟».

«نعم، أنا أخبرك الحقيقة».

«ماذا عن فيلكس؟ ألم يخطر في بالك أنه اختلق القصة كلها ليخدعك ويقنعك بمساعدته؟ من السذاجة أن تصدقي إنه بريء؟».

«بالطبع خطر لي هذا، واتهمته، وقلت له إن أي عاقل لن يصدق ما قلته، وهددته بإبلاغ الشرطة عنه إن لم يخبرني بما يجري حقاً. لا أريد أن أتورط من أجله أو من أجل أي شخص... لا أريد أن أكون شريكة أو متدخّلة في الجريمة، سمِّها ما شئت».

استطاع فلوفينت الآن أن يقف من دون الاستناد إلى شيء، ولكنه شعر

بالدوار لذا جلس على الكرسي قرب المكتب. لم تبرح برينهيلدور مكانها، وكانت تجلس مستقيمة الظهر، ولم تحرك ساكناً. بدا أنها لن تبدّل حرفاً مما قالته مهما تكن الظروف.

سأل فلوفينت: «أين فيلكس الآن؟».

أجابت: «لا أعرف، لم أجده عندما عدت ولا أعرف إلى أين ذهب».

لم يستطع فلوفينت أن يكبح ابتسامته، وقال: «حان الوقت لتتوقفي عن مساعدته».

عارضته وقالت: «قررت أن أُصدقه رغم شكوكي حين قال إن حياته في خطر. أعتقد أنك كنت ستتصرف مثلي في هذه الظروف، لقد أُطلقت رصاصة على شخص في شقته، ظن القاتل أنه فيلكس».

«هل صدقته حين أخبرك عن حبة السيانيد التي عثرنا عليها في الحقيبة؟».

«حبة السيانيد؟».

«ألم يخبرك رودولف عنها؟».

«أي حبة سيانيد؟».

«أخبرت رودولف أننا عثرنا على كبسولة في حقيبة فيلكس وأرسلناها إلى التحليل، ووفقاً للاستخبارات العسكرية تبيّن أنها حبة انتحار ألمانية الصنع، ألم تكوني على علم بها؟ أي إنهما لم يخبراكِ بهذا التفصيل؟».

لم تجب برينهيلدور.

سأل فلوفينت: «لِمَ كانتْ معه؟ لِمَ كان يحملها معه؟ متى أراد أن يستخدمها؟».

بعد برهة، قالت برينهيلدور: «لا أعرف شيئاً بخصوص أي حبة. أدرك أن فيلكس لم يخبرني القصة الكاملة وأخبرتك السبب؛ لم يرد أن يورطني في الأمر».

«ترى ما الذي أخفاه فيلكس عنك أيضاً؟ وما كانت الأمور التي أخفاها

عنك رودولف وأعتقد أنه من غير الضروري أن تعرفيها؟ وما الذي لا تشاركينه إياه؟ لماذا لا تكفي عن الكذب وتقولي الحقيقة؟ أين هو فيلكس؟ ولا تقولي إنك لا تعرفين فهو يلجأ إليك كلما وقع في مأزق، أنت بمنزلة أم له، أين تخفينه الآن؟ قولي لي!»

قالت برينهيلدور: «لا أعرف مكان فيلكس، ولا أعرف شيئاً عن الحبة».

«يحمل الجواسيس الألمان مثل هذه الحبوب، هل كان فيلكس يرسل معلومات إلى ألمانيا؟».

لم تجب برينهيلدور.

«هل ينتظر الآن أن يغادر البلد؟ هل هذا ما يمنعه من تسليم نفسه؟ هل سيأتي الألمان ليأخذوه؟».

«لا أفهم ما الذي تتحدث عنه، يغادر البلد؟ إلى أين عساه يذهب؟».

«إلى ألمانيا مثلاً؟».

حدقت برينهيلدور إلى فلوفينت من دون أن تتفوه بحرف. وقفت جامدة ولم تنم تعابيرها عن شيء، فشعر أنه بدأ يستجمع قواه تدريجاً وأخرج كتيب المدرسة من جيبه.

سألت حين ناولها إياه: «ما هذا؟».

«ربما يمكنك أنتِ أن تشرحي لي».

ذهبت برينهيلدور إلى النافذة ورفعت الصورة باتجاه الضوء الآتي من الشارع. أطبق الصمت، ثمّ استدارت لتنظر إلى فلوفينت: «من أين حصلت عليه؟».

ردّ فلوفينت: «وجدته ضمن أشياء إيفيندور. قال إيبينسير إن الصورة التقطت في المدرسة، وفهمت أنه تشاجر ورودولف مؤخراً بشأن بعض الصبية. من كان هؤلاء الصبية الذين تشاجرا بشأنهم؟ ولِمَ كنت في الصورة مع فيلكس وإيفيندور؟».

«هل تحدثت إلى إيبينسير؟».

«نعم».

«ماذا قال؟».

«لا شيء، ولم يرد رودولف التحدث في الأمر أيضاً. أخبرني عم إيفيندور أنه وفيلكس كانا صديقين في الصغر، ولكنهما ينحدران من بيئتين مختلفتين، لقد كان والد إيفيندور... مجرماً عدوانياً وخريج سجون كما كانت أمه سكيرة. لم أعرف كيف سمح رودولف لفيلكس أن يصادق صبياً ينحدر من هذه البيئة، ولكن كل ما جنيته من زيارتي لرودولف هو شيء عن الإرث، أي أن إرث الأسلاف كان من المفترض أن يكون هنا في آيسلندا، هل تملكين فكرة عمّا قصده؟ ما الذي كان يشير إليه؟».

كانت برينهيلدور تنظر إلى الصورة.

سأل فلوفينت في محاولة منه ليعود إلى الشجار: «لِماذا تشاجرا بخصوص الصبية؟ من كان هؤلاء الصبية؟».

رفعت رأسها وسلّمته الكتيب. لم يعرف فلوفينت ما الذي كانت تفكر فيه.

أخيراً، سألته: «أين سمعت بهذا؟ من أين عرفت أنهما تشاجرا؟».

قال فلوفينت: «هذا خارج الموضوع، هل تعرفين لماذا تشاجرا؟».

قالت برينهيلدور: «عليك أن تسألهما. لقد التُقطت هذه الصورة على أراضي المدرسة في احتفال ما، ولعله كانت مناسبة سنوية، ارتاد إيفيندور وفيلكس المدرسة نفسها وهذا كل ما أعرفه. لقد مر وقت طويل على هذا والذاكرة تخوننا بسرعة».

«هناك صبيان آخران بصحبتهما».

«نعم، لا أتذكر اسميهما».

«وماذا عن الرجل الذي يقف إلى جانبك أنت وإيبينسير؟».

«لا بد أنه أحد الأساتذة».

«حسناً، دعينا نوقف هذا الأمر. من الواضح أن هناك شيئاً تريدون جميعاً التستر عليه حيث تصبحون عدوانيين وتدعون الجهل».

«حسناً، تستطيع أن تفكر في ما تشاء».

«هل هذا سبب وسم جبهة إيفيندور بصليب معقوف؟ هل هو شيء يتعلق بالصورة؟».

«صليب معقوف؟ أي صليب معقوف؟».

«ألم تكوني على علم بهذا؟ فيلكس -أو القاتل المجهول إذا كان فيلكس صادقاً- وضع إصبعه في دم إيفيندور ورسم صليباً معقوفاً على جبهته، هل تعرفين السبب؟ أو ما هي الرسالة التي أراد إيصالها من ذلك؟».

بدت برينهيلدور متفاجئة حقاً: «هذا فظيع، لم أكن أعرف».

«ألم يخبرك فيلكس عن الصليب المعقوف؟ لا أتوقع أنه كان سيغفل عن مثلِ هذا التفصيل».

قالت برينهيلدور: «لعله لم يلحظه، لعله لم يعاين الجثة عن قرب، لا أعرف. لم يقلْ لي شيئاً عن هذا».

«لِمَ رُسم صليب معقوف على جبهة إيفيندور؟ ما هي الرسالة التي حاول أن يوصلها؟».

قالت برينهيلدور بحزم: «لا أعتقد أن فيلكس هو القاتل».

«لا شك أن الصليب المعقوف له علاقة بالنازية أليس كذلك؟».

«لا أعرف... أعتقد هذا».

«أخبريني عن هانس لاندين».

«هانس؟».

«نعم، الدكتور هانس لاندين، كيف تعارفتما؟ ما العمل الذي كان يربطكما بويرنير جيرلاش في القنصلية الألمانية قبيل الحرب؟».

«عمل؟ لقد ذهبت إلى هناك لمرة واحدة، كنتُ مدعوةً إلى حفل العشاء، ولكنني لم أكن ضيفة معتادة. هانس لاندين هو شقيق رودولف، لقد كان، في الواقع، قبيل الحرب و... هل لي بأن أسأل كيف حصلت على المعلومة؟».

«لماذا أتى هانس لاندين إلى آيسلندا؟».

«أتى ليرى أخاه، لا بد أن رودولف يعرف عن هذا الأمر أكثر مني، اسأله. لقد أقيم العشاء على شرف هانس، إنه فيزيائي مشهور في ألمانيا، وبكلمات أدق هو عالم مشهور، لقد دعيت كي أرافقهم».

«أخبريني عن علاقتك برودولف».

«ما الذي تريد أن تعرفه؟».

«ما هي طبيعة علاقتكما؟».

«إننا... على وفاق، وإن كنت تلمّح إلى أن علاقتنا تتخطى حدود مدبرة المنزل وموظِفها فأنت على خطأ».

«بتعبير آخر أنت تعملين لصالحه؟».

«نعم».

«وليس لصالح أحد سواه؟».

«لا، قل لي بصراحة، ما الذي ترمي إليه من هذه الأسئلة؟ لا أُحب هذا النوع من الأسئلة».

تابع فلوفينت ضغطه وسألها: «ما الذي كنت تقصدينه حين قلت إن فيلكس يكره أباه؟»، لقد شعر أنه لن يستخلص منها اليوم أي معلومات مفيدة، فكان عليه أن يدعو برينهيلدور للاستجواب كي يطرح عليها مزيداً من الأسئلة.

«أستميحك عذراً؟».

«وأنا أستعيد وعيي قلت إنه يكره أباه، أعتقد أنك كنت تقصدين فيلكس أليس كذلك؟».

قالت برينهيلدور: «إن علاقتهما... شائكة... منذ وقت طويل، أعتقد أن هذا الوصف المناسب لها».

«لماذا؟».

قالت برينهيلدور بحزم: «عليك أن تسألهما».

«لا تعرفين إلى أين ذهب فيلكس؟».

«لا».

نهض فلوفينت بترنح.

قال: «عليك مرافقتي، لا بد أنك لاحظت هذا».

عاينته برينهيلدور لبرهة ثمّ سألت: «هل هذا ضروري حقاً؟».

«هناك العديد من أصابع الاتهام الموجهة نحو فيلكس في هذه الجريمة، وأنت ساعدته على الاختباء من الشرطة وتسترتِ عليه، أخشى أنه لا يوجد أي بديل».

«أنت لا تصدق قصته إذاً».

«لا، ليس هناك ما يجعلني أصدّق رجلاً اختفى عندما عُثر على جثة في شقته».

في ليل ذلك اليوم كشف فلوفينت عن الملفات.

لقد احتجز برينهيلدور، ونظّف نفسه، وقرر أنه أصبح جاهزاً كي يعاين عيادة رودولف قبل أن يعود إلى المنزل. لم تقاومه برينهيلدور ورافقته إلى مركز الشرطة في بوسثوستريتي ولم تنبس ببنت شفة بعدها نُقلت إلى السجن في سكولافيوردوستيغور، ولم تسأل عن المدة التي ستبقى فيها محتجزة ولم يستطع أن يجيبها.

بمساعدة مصباح استعاره من مركز الشرطة جال فلوفينت ببطء في أرجاء العيادة وفتح الأدراج والخزانات. كان يبحث على غير هدى، ولعله كان يبحث عن دلائل تكشف مكان اختباء فيلكس.

ولمّـا كان عازمـاً علـى أن يعـود في الصباح ويبحث بشـكل مكثف، قرر فجأة وهو يعاين الخزانة التي قفز منها فيلكس سابقاً أن يكتفي بهذا القدر الآن، كانـت الخزانـة فارغة وحين تراجـع وجّه المصباح فجأة باتجاه الباب، وحين أنار المصباح الأرض صدر صوت يدل على تجويف سفلي، فطرق فلوفينت علـى الأرضيـة الخشـبية وقطع الشـك باليقيـن. جثا على ركبتيـه ويديه ومرر أصابعه على أرضية الخزانة إلى أن شـعر بطرف نافر إلى حد ما، وبمسـاعدة سكين جيب كان يحمله معه أينما يذهب رفع أحد الألواح، كانت تحته رزمة صغيرة من الأوراق وبعض المغلفات التي تبيّن أنها تحتوي على عبوات لأخذ العينات. أظهرت بعض الأوراق جداول بدا أنها كانت تتضمّن قياسات طول ووزن وأسئلة أخرى، فتصفحها بسرعة وللوهلة الأولى بدا أن بعض الأسئلة كانت تتعلّق بأمور شخصية كالوضع العائلي وعادات النوم والحمية، بينما كان الغرض من الأسئلة الأخرى إظهار التطور المعرفي والذكاء.

حـدّق فلوفينـت إلـى مـكان الإخفاء في قاعـدة الخزانـة، ورنت كلمات الخادمة في أُذنه بخصوص جدال إيبينسير ورودولف حول بعض الصبية.

32

حدقت المرأة إلى ثورسون وارتسمت معالم الحيرة على وجهها، لأنه قاطع تأنيبها لأختها الصغرى، فهي إما أنها لم تسمع سؤاله وإما أنها لم تستوعبه.

كرّر ثورسون: «فيرا، ذكرتِ اسمها. هل بإمكانك أن تقولي لي أي فيرا تقصدين؟ من هي؟».

كرّرت الأخت الكبرى للأخت التي أنقذها ثورسون من السفينة: «فيرا؟». كانت الفتاة تقف خلف أختها الكبرى تعانق خديها المحمرين وتقطب حاجبيها، وكأن هذا كان خطأه وخطأ تدخله.

«نعم».

«ما الذي تريده منها؟».

ارتجل ثورسون: «إنها... تعرف أحد أصدقائي. لقد تساءلت إن كانت المرأة نفسها فالاسم ليس شائعاً» وأضاف: «فيرا».

«هل هو صديقك في السلاح؟».

«نعم».

قالت المرأة: «تعمل في غسل ثياب الجنود، ساعدها بيلي على أن تدير عملها، هل اسم صديقك هو بيلي؟».

أومأ ثورسون بوجهه وسأل: «هل لديها مصبغة؟».

«أبعد ما يكون عن المصبغة. ولكن بيلي زوّدها بغسالة ولديها عصّارة وحبال غسيل، إنها مشغولة للغاية، إن أختي...». أضافت المرأة وهي تزمجر

في وجه الفتاة الصغيرة: «تساعدها أحياناً وتتقاضى أجراً لأنه من الواضح أن فيرا تكسب مالاً وفيراً».

استمر ثورسون في طرح الأسئلة على المرأة بخصوص فيرا إلى أن أثار فضوله حيرة المرأة ثمّ شكها. ولكن بحلول ذلك الوقت كانت المرأة قد أخبرته بعلاقتها مع بيلي الذي كان رقيباً في الجيش البريطاني كما اعتقد ثورسون، بحسب ما فهم، أنه كان الوسيط الذي أمّن لها كثيراً من الزبائن. لقد تركت صديقها الحميم الآيسلندي الذي كان مرهقاً، وبدأت حياة جديدة واستطاعت الوقوف على قدميها وأن تخرج من علاقة غير مثمرة، فتح بيلي عينيها على عالم من الإمكانيات ولم ترد أن تضيّعها من بين يديها.

قالت المرأة إن الرجل الذي عاشت معه فيرا اسمه إيفيندور ولكنها لم تعرف ما حل به. لقد سمعت شيئاً بخصوص جريمة قتل، ولكنها لم تعرف هوية الضحية أو إنْ أُلقي القبض على أحد، وعلى حد علمها كان إيفيندور في رحلة عمل وهذا ما أخبرتها به فيرا. كانت فيرا تخطّط لإخباره عن بيلي حين تسنح لها الفرصة، وكان عليها أن تهجره منذ زمن بعيد.

أصر ثورسون وتجاهل سؤالها: «هل يخطّطان للزواج؟ أقصد بيلي وفيرا؟».

«نعم، أعتقد هذا».

«سمعت من جارة... سمعت أنها كانت تمتّع الجنود».

قالت المرأة بغضب ونزعة للدفاع عن صديقتها: «ماذا... لِمَ تهتم بفيرا؟ هل تتجسّس عليها؟ من أنت؟ كيف تعرف بيلي؟ ألم تقل إنك تعرفه؟».

وحين تأكد ثورسون أنه حصل على كل المعلومات التي يحتاج إليها طلب من المرأة أن تسمح له بالذهاب: كان عليه أن يذهب، فأسرع إلى سيارته الجيب وغادر، وعلى الرغم من أن الوقت كان متأخراً شعر أن عليه أن يتحدث إلى فيرا بأسرع وقت ممكن ولم يستطع الانتظار حتى الصباح. فمن حقها أن

تعرف عما حل بإيفيندور.

بعد أن اكتشف ثورسون أن فلوفينت لم يكن في مكتبه في فريكيريكيوفيغور توجّه إلى بوسثوستريتي. رآه يقطع هافنارستريتي بخطوات متثاقلة ويتجّه إلى مركز الشرطة، وكانت هنالك رزمة أوراق تحت ذراعه ونظرة حيرة تعلو وجهه.

حيّاه ثورسون وأعلمه أنه عرف أين تعيش فيرا، وأراد أن يصطحبه كي يقابلاها، فطلب منه فلوفينت أن ينتظر قليلاً حتى يضع الأوراق في أيدٍ أمينة، وبعد دقائق كانا في طريقهما إلى مصبغة فيرا في الغرب. في طريقهما شاركه فلوفينت بأخبار مغامرته الخاصة وتغير الأحداث المفاجئ: يدّعي فيلكس أن إيفيندور قُتل عن طريق الخطأ وأنه لم تكن له علاقة بالجريمة.

قال فلوفينت: «إن برينهيلدور تصدّقه، وتقسم إنها لا تعرف مكان فيلكس الآن. ولكنني لا أصدّق كلمة مما تفوّهت به».

«لماذا يختبئ؟ ومن يلاحقه؟».

«قالت إنها لا تعرف هذا أيضاً لأن فيلكس أبى أن يخبرها. ستقضي الليلة في الزنزانة، ولعلها ستصبح أكثر صراحة في الصباح».

كان المنزل وحيداً، ولكنه لا يبعد كثيراً عن تجمع مبانٍ يقع إلى الغرب من مخيم نوكس. كان منزلاً قديماً من الخرسانة، وكان الطابق الأرضي صغيراً، تعلوه سقيفة وخلفه مرج أخضر عُلقت فوقه حبال الغسيل. تطايرت في مهب الريح شراشف بيضاء وأزياء رسمية وسترات، وكانت عدة دلاء موزعة هنا وهناك، وكان الهواء مفعماً بالبخار ورائحة الصابون. بدا أن مكان الغسيل يَشغل نصف الطابق الأرضي على الأقل واعتقدا أن فيرا كانت تعيش في العلّية على الأرجح.

تسرب الضوء إلى الظلمة واستطاعا رؤية امرأة في الداخل تفرغ محتويات آلة وتضعها في دلو وتحملها إلى الحديقة، بدأت حينها بنفض الملابس الرطبة وتعليقها على الحبل واستعانت بالضوء المتسرب من نافذة الطابق الأرضي.

لاحظا أنها كانت ترتدي مريولاً واسعاً وتنتعل حذاء عسكرياً. ومع أنها حملت دلواً ثقيلاً بمفردها وبالكاد كانت تستطيع رؤية ما تفعله بسبب الضوء الخافت، لكنها كانت تدندن أغنية جديدة بسعادة تامة.

سارا باتجاهها وألقيا التحية عليها. نظرت إليهما ثمّ تابعت عملها، وسألت: «هل أحضرتما غسيلاً؟».

علّق فلوفينت: «تبدين مشغولة جداً».

قالت: «لا أقول للعمل لا، كيف يمكنني مساعدتكما؟».

سأل ثورسون: «هل أنتِ فيرا؟ نحن نبحث عن امرأة اسمها فيرا تستقبل طلبات غسيل».

قالت المرأة وهي تفرد شرشفاً أبيض كبيراً على أحد الحبال: «نعم، هذه أنا، كيف أستطيع خدمتكما؟ في الحقيقة، لا أستطيع أن أستقبل مزيداً من الطلبات، وكما تلاحظان أنا أعمل في وقت متأخر على الرغم من أن لديّ مساعدتين».

قال فلوفينت: «إن الأمر يتعلق بإيفيندور، إيفيندور راغنارسون، كنتما تعيشان معاً أليس كذلك؟».

توقفت المرأة وهي ترفع شرشفاً آخر من الدلو ونظرت إليهما؛ كان قوامها جذاباً ولكنها لم تظهره، ومن خلال الضوء المتسرب من المنزل لاحظا أنها كانت مسمرّة من الشمس وكان شعرها الأشقر الكثيف يصل إلى كتفيها وكان هناك شق لا مرئي على شفتها العليا، وهذا ما جعل فمها غير متناظر إلى حدٍّ ما ومغر في الوقت نفسه. نظرت إليهما تانك العينان الزرقاوان وبدتا محتارتين.

«ماذا عنه؟».

«ألم تعرفي؟».

«أعرف؟ أعرف ماذا؟».

قال فلوفينت: «لقد مات».

«ماذا؟».

«آسف لأنني أخبرتك بهذه الطريقة، ولكننا علمنا لتونا موقع منزلك. أردنا أن نخبرك من قبل ولكن لم يكن من السهل أن نحدد مكانك».

«مات؟ إيفيندور؟».

قال ثورسون: «لقد مات إثر إصابته برصاصة في ريكيافيك، ألم تسمعي بهذا حقاً؟».

بدت فيرا مصعوقة: «ماذا تقصد برصاصة؟ ماذا تقول؟».

قال فلوفينت: «أنا آسف ولكنها الحقيقة، نحن من الشرطة ومسؤولان عن التحقيق. يمثل ثورسون قوى الدفاع حيث إن السلاح الذي استخدم لقتل إيفيندور كان لأحد الجنود على الأرجح. لم نستطع أن نحدده بعد ولم نعثر على القاتل».

بينما كانت فيرا تستمع للكلام مدت يدها تحت مريولها وبحثت في جيبها عن علبة السجائر، أشعلت سيجارة بصمت وحيرة وهي تحاول استيعاب الخبر.

سأل فلوفينت: «ألم تعرفي بمقتله؟».

قالت فيرا: «أنا... لا، لقد هجرته، لقد نويت التحدث إليه ولكن... كان في إقليم المضايق حين انتقلت. لطالما أردت أن أذهب، وأراه ولكن... كنت مشغولة جداً». وأشارت حينها إلى دلاء الغسيل. «كل ما أعرف هو أنه تم اكتشاف جثة في شقة، لم يخطر لي أن تكون... أن تكون جثة إيفيندور، لم يخطر لي مطلقاً، اعتقدت أنه كان مسافراً. هل هذا مقلب؟».

قال فلوفينت: «للأسف لا، لقد اكتشفت جثته في شقة رجل يُدعى فيلكس لاندين، لا نعلم ما كان يفعل هناك، هل تعرفين؟».

قالت فيرا: «لا، ولكنني أعرف الاسم؛ اعتاد إيفيندور أن يتحدث عن فيلكس، لقد كان هو الآخر بائعاً متجولاً وكانا رفيقين منذ الصغر. ولكنني لا

أفهم، هل فيلكس هو القاتل؟».

أجاب فلوفينت: «للأسـف لسـنا متأكدين، إنه متوارٍ ولـم نعثر عليه حتى الآن».

«ولكن لماذا؟ لماذا يقتل إيفيندور؟ إن هذا... منافٍ للعقل، لقد كان... لقد كان مسالماً تماماً ولـم يؤذِ أحداً. وكان مهذباً للغاية ويتذمّر من عدم فائدته. كان كئيباً للغاية، ومع كل هذا قُتل؟! يا إلهي! لم أكن أعرف. لا أسـتطيع أن أصدّق هذا، لا يمكن أن أصدّق هذا أبداً».

حدقـت فيـرا إليهمـا، وكانت دهشـتها مـن موت إيفينـدور واضحة على وجهها.

كـررت قولهـا: «لا، لا أسـتطيع أن أصـدّق هـذا، إن هذا محض هراء. لا يمكنكما أن تأتيا إلى هنا لتختلقا مثل هذه الأمور».

قال فلوفينت: «يصعب عليّ أن أكون ناقلاً للأخبار السيئة وخصوصاً في مثل هذه المواقف، ولكنني أخشى أن... أن هذه هي الحقيقة».

علّق ثورسون: «لقد انتقلتِ للعيش معه رغم هذا؟».

«ماذا؟».

«يبدو أنه كان عبئاً، ما الذي جذبك إليه؟».

قالـت: «لقـد كان... لقـد ضقـت ذرعـاً به ليس إلا، ولـم أعرف تماماً إلا بعد أن انتقلت للعيش معه. كنت قد وصلت لتوي من الريف ولم أكن أعرف طريقـي. كان يعـرف بعـض أسـرار المهن وأعجبت بـه، ودعاني لأعيش معه. كنت بحاجة إلى مكان كي أمكث فيه لذا...»

قطعت فيرا كلامها لأنها تشوّشت.

علّق فلوفينت: «فهمنا أنك اختفيت من حياته من دون مقدّمات».

«ماذا تقصد؟».

قال فلوفينت: «لقد هربت في منتصف الليل مع جندي وألقيت أغراضك

في سيارته وغادرتِ ولم تنظري خلفك».

سألت فيرا: «هل تحدثتما إلى تلك المرأة الحقود في الطابق العلوي؟ إنها تكرهني ولا تقول عني إلا الكذب. لا يجب أن تثقا بكلامها».

قال ثورسون: «لقد أخبرتنا عن الرجال الذين كنت تمتعينهم بينما كان إيفيندور مسافراً. قالت إنك كنت تمتعين عدداً كبيراً».

«بالطبع قالت لكما هذا».

«لم تكن الوحيدة التي ذكرت ذلك».

سألت فيرا وهي تدوس سيجارتها بحذائها لتطفئها: «هل أنا قيد التحقيق الآن؟ هل تعتقدان أنني المرأة الوحيدة في ريكيافيك التي تصادق الجنود؟».

سأل فلوفينت: «هل كان إيفيندور على دراية بهذا؟».

«لماذا تسألني هذا؟ لا تعتقدان أنني آذيته بشيء، أليس كذلك؟».

قال فلوفينت: «نحن نطرح أسئلة روتينية».

قالت فيرا: «لقد سمع شائعة في المدينة وواجهني بها، ولكنه فعل ذلك بطريقته المعتادة؛ بتردد وتلعثم وتشكيك، لم أعرف لماذا لم أُخبره بالحقيقة ببساطة، ربما شعرت بالشفقة عليه وربما أردتُ حمايته. كان يُفترض بي أن أقول له إن الأمور انتهت بيننا. تظاهرت أن مشاعري جُرحت وشعرت بالإهانة لأنه صدّق الشائعات، ولسببٍ ما لم أشعر أنني كنت مستعدة لإخباره بحقيقة أنني كنت أخطّط لهجره. ربما كان عليّ أن أخبره، ولعل هذا كان الخيار الأمثل، ولكنني لم أستطع، وأياً يكن الأمر لم أعتقد أنه يحبّذ معرفة الحقيقة. قال إن علينا أن نتحدث عن الموضوع بشكل مفصّل حين يعود، ولم أقل شيئاً، وعرفت أن الأمر انتهى. وحين غادر اغتنمت فرصتي. انتقلت إلى هنا، وبدأت العمل لصالح الجيش، وها أنا أُعيل نفسي بنفسي. أعتقد أنني كنت مجحفة حين اختفيت هكذا، ولكن شيئاً ما كان سيتغير إذا غيّرت الطريقة، فقد كنت سأهجره أياً تكن الطريقة. أعلم أن هذا قاسٍ وخصوصاً بعد أن...

بعد أن مات ولكن هذه هي الحقيقة».

سأل ثورسون: «هل رأيت إيفيندور مجدّداً؟».

«نعم، مرة واحدة. لقد أتى إلى هنا حيث اكتشف مكان، وعرض عليّ بعض المال الذي حصل عليه، وتوسل كي أعود إليه».

«من أين حصل على المال؟».

«لا أعرف، لم يكن مبلغاً يستحق الذكر، أعتقد أن رحلته كانت ناجحة إلى حدّ ما، وغادر بعد هذا».

قال فلوفينت: «لا يبدو أنك كنت متفرّغة له».

قالت: «نعم، لقد كنت متفرّغة. اسمعاني، لقد أردت فقط أن أطلعكما على الوضع، إن إيفيندور ليس... لم يكن رجلاً سيئاً وأبعد ما يكون عن هذا في الحقيقة ولكنني أدركت أن علاقتنا لن تنجح أبداً. ما كان سيعترف بهذا لأنني حاولت أن أفتح الموضوع معه، ولكنه لم يرد أن يسمعني».

سأل ثورسون: «هل ساعدك بيلي على الانتقال؟».

«نعم».

«في منتصف الليل؟».

«ما كنت أستطيع مواجهة الجيران وأعينهم المتطفلة لذا انتقلت بسرعة. لم يكن لديّ أشياء كثيرة لآخذها، لم آخذ سوى ثيابي، فنحن لم نقتنِ أشياء كثيرة، تركت بقية الأشياء ورائي».

«ماذا عن الجنود الآخرين؟».

«الجنود الآخرون؟ ماذا تقصد؟».

«وفق ما قاله جيرانك أنك تعودت أن تستقبلي زواراً في الليل. كان هناك كثير من الجنود الذين كانوا يزورونك».

«يستطيعون قول ما يشاؤون، لم يأتِ سوى بيلي... وكان أصدقاؤه يرافقونه في بعض الأحيان».

«وكانوا يغادرون في الليل؟».

«هل يُعتبر هذا خرقاً للقانون؟ لم يقضوا الليل كله. يا لتلك اللعينة المسنة! يجب أن لا تعتمدا على كلامها. هل كانت تقول إنني عاهرة أو شيئاً مشابهاً؟ تستطيع قول ما تشاء. أرى ابنتها أحياناً تتسكّع حول المخيم هنا، ولكنها لا تغسل ثيابهم. أنا متأكدة من هذا. يا لها من لعينة تلك العجوز الشمطاء!».

33

سـألاها إن كانـت تعيـش في مركز عملهـا، فأجابت بأنها تعيش في غرفة صغيـرة فـي العلّيـة. دعتهمـا للدخـول وعندما دخلا اعتذرا منهـا، وقالا إنهما لن يأخذا كثيراً من وقتها؛ فهما سـيطرحان بعض الأسـئلة بخصوص إيفيندور وفيلكس، على سبيل المثال: هل كانت لديها فكرة عن سبب ذهاب إيفيندور إلى شقة فيلكس؟ شغلت نفسها بالغسيل، وقالت إنها لم تكن تعرف السبب، ولكنهـا تذكـرت دهشـة إيفينـدور حيـن قابـل فيلكس صدفة على متن سـود، واكتشـف أنهمـا كانـا يعمـلان في المجال ذاتـه. لم يلتقيا منذ زمن بعيد أي لم يتقابـلا بعـد المدرسـة، ولـم يكونـا في الوضـع ذاته لأنهما كانـا ينحدران من خلفيتيـن مختلفتيـن، ومـع ذلـك كانا صديقين مقربين. لقـد انتهت صداقتهما حين فقد فيلكس اهتمامه بإيفيندور ذات يوم.

ومع أن إيفيندور لم يتكلم كثيراً عن الماضي، ولكن فيرا فهمت أن وضعه في المنزل كان تعيساً، ولم يكن لديه أصدقاء، لذا عنت صداقة فيلكس كثيراً له. لم يذكر إيفيندور أمه مطلقاً لدرجة أنها شكّت في وجودها، ولكنه تحدث باختصار عن أبيه بعد أن خسـر هو وفيرا الغرفة التي كانا يسـتأجرانها واضطر أن يضع نفسـه تحت رحمة عمه. عرفت حينها أن أباه سُـجن بسـبب عدة تهم كالاعتداء، وفاجأها هذا لأن إيفيندور ما كان يستطيع إيذاء حشرة.

كان اللقاء على متن سود ودياً إلى حدّ ما، كما وصفه إيفيندور. لم يكن بينه وبين فيلكس أحاديث مشتركة، وأراد أن يسأله عن سبب انتهاء صداقتهما فجـأة حيـن كانـا صبييـن. فهمت فيرا من إيفيندور أنـه ظل يزور منزل الطبيب

ليسـأله عن فيلكس وقوبل كل مرة بالجواب نفسـه، وهو أن فيلكس لم يكن في المنزل، إلى أن خرج فيلكس بنفسـه وقال إنه لا يريد أن يتعامل معه بعد الآن وطلب إليه أن يكف عن إزعاجهم.

لكن إيفيندور لم يرد أن يتحدث عن الموضوع، وكان يغيره كلما سألته فيرا عن صديقه القديم. كان يتحدث عن رحلاته ولكنه كان يندب حظه ويتذمر من فشله معظم الوقت. لقد حزّ في نفسه أن فيلكس كان أنجح منه، وهذا ما حملـه للتذمـر مـن رانكـي، وهو بائع متجول آخـر أرباحه لا تعد ولا تحصى، ولا يمكن لإيفيندور حتى أن يحلم بها.

وحين فكرت في الموضوع الآن تذكّرت أن إيفيندور ذكر شـيئاً أشـعره بالحيرة، وهو أن فيلكس قد جاهد كي يغطي مجالاً واسـعاً في رحلاته؛ فقد قصد الأماكن النائية التي لم يعش فيها أحد تقريباً. لم يكن البائعون الآخرون الذيـن كان يعرفهـم سـيتكبدون عنـاء الذهاب إلى هنـاك، ولكن فيلكس أصر على زيارتها، لم يعتقد إيفيندور أن الأمر كان مربحاً، مهما تكن مهارة البائع.

سأل ثورسون: «ربما ستعتقدين أن هذا سؤال غريب، ولكن هل ذكر لك إيفيندور ما هي تلك الأماكن؟ هل كانت قريبة من أي منشأة عسكرية مثلاً؟».

أشـاحت فيـرا بوجههـا وقالـت إنها لـم تعتقد أنه ذكـر هذا، وما دامت قد تجـاوزت الآن غضبهـا بخصـوص الشـائعات التـي كرراهـا أصبحـت ودودة ومُقبلـة علـى التحـدث رغـم تأخـر الوقـت. لقـد أجابـت عن أسـئلتهما بدقة وتفصيـل وعندمـا حفّزاهـا على الاسـتذكار حاولت أن تبحث في ذاكرتها عن شيء غفلت عنه. ولكن فلوفينت ظل يُفكر بالجارة التي وصفتها بالمهووسة بالجنـس ونعتتهـا بعاهـرة الجنود، وكان هناك أيضـاً ذلك المغلف البني الذي وجده على أرضية غرفة النوم. لقد خانت إيفيندور ثم هجرته، وألقت نفسها بين ذراعي جندي بريطاني، وحين بحث فلوفينت عن دلائل أسـى أو ندم أو أي أثـر للتهيّـج العاطفـي لـم يجد أياً منهـا. لم يبدُ أن الخبر قد أثّر فيها إطلاقاً

بعـد أن تخطـت صدمتهـا الأولـى، ربما كان قلبها أقسـى ممـا اعتقد وربما لم تستوعب الخبر بعد.

قالت: «لماذا سألت عن المنشآت العسكرية؟ هل كان فيلكس مهتماً بها بطريقة أو بأخرى؟».

قال ثورسون: «لا نعرف».

«هل تقصد أنه كان جاسوساً؟ لقد قال لي إيفيندور بالفعل أن والده كان نازياً».

قال فلوفينت: «ليس لدينا أي دليل يشي إلى أنه كان جاسوساً، هل لمّح إيفيندور إلى أنه كان جاسوساً؟ هل رأى فيلكس يلتقط صوراً في رحلاته على سبيل المثال؟ أو يُظهر اهتماماً في تحركات القوات أو الكتائب العسكرية؟».

«لا، لا أتذكّر شيئاً كهذا ولكن...».

«نعم؟».

«من الغريب أنك ذكرت التجسـس لأن فيلكس... قال لي إيفيندور مرة أن فيلكس لم يرد أن يصادقه إلا كي يستطيع أن يتجسس عليه».

«ماذا تقصدين؟».

«تبين أن فيلكس كان يسأل إيفيندور عن والده، وأصر على الذهاب إلى منزلـه ليلعبـا فـي كل مرة، وأظهر فضولاً كبيراً بشـأن عائلتـه؛ لقد كان متطفلاً واستغرب إيفيندور هذا كثيراً».

طرق باب غرفة الغسيل، وظهر جندي بريطاني وابتسم لفيرا، وفي الوقت ذاتـه نظـر إلى فلوفينت وفيلكس بريبة. ابتسـمت لـه فيرا بدورها وتوقفت عن الغسيل، وأخبرته أنهما من الشرطة، ولكنها لم تقل أكثر لأن لغتها الإنكليزية لم تُسـاعدها. تدخل ثورسـون وشـرح له سـبب زيارتهما وأنها تتعلق بمقتل إيفينـدور، وتبيـن أن الرجـل كان بيلـي ويغينـز أي صديق فيـرا الحميم، وكان رقيبـاً بريطانيـاً بدينـاً وقصيـراً، وفي الثلاثين من عمـره، وكان أصهب ووجهه

محمراً لأنه لم يرغب في أن يرى صديقته الحميمة بصحبة رجلين في هذا الوقت المتأخر.

سأل فيرا: «هل أنتِ بخير يا عزيزتي؟»، فأومأت برأسها. مشى باتجاهها وعانقها ثم قبّلها، لم يحرك فيه خبر مقتل إيفيندور ساكناً. نظر فلوفينت إلى ثورسون ثم طلبا من فيرا أن تخرج معه، وحين حاول بيلي أن يلحق بهما اعترض ثورسون طريقه وقال إنه يريد أن يطرح عليه بعض الأسئلة، وهذا لن يستغرق من وقته أكثر من دقيقة. بدا أن بيلي على وشك أن يرفض، ولكن ثورسون كان حازماً وكرر أنه لم يرد أيّ متاعب وهو لا يريد شيئاً أكثر من طرح بعض الأسئلة، وحين استمر بيلي في تجاهله أعلمه ثورسون أن عليه مرافقته إلى مقر الشرطة. عندها استسلم الرقيب وبدأ ثورسون في طرح الأسئلة بخصوص علاقته مع فيرا وهل سبق له أن قابل إيفيندور.

سأل بيلي ويغينز بعد أن نظر بقلق إلى الباب حيث كان يقف فلوفينت وفيرا ويتحدثان: «وما علاقتك في هذا؟ لم لا تتركني وشأني؟».

«هل كنت تعرفه أيها الرقيب؟».

«لا، لم يسبق لي أن قابلته أو رأيته».

«هل أنت متأكد؟».

«متأكد؟ بالطبع متأكد، ماذا تحسبني؟ أنت لا تشتبه بأن لي علاقة... بمقتله أليس كذلك؟».

«لم أقل هذا، هل أنت قلق بهذا الشأن؟».

«بشأن ماذا؟».

«أن تكون متورطاً في الجريمة».

«لا، على الإطلاق لأنني لم أفعل شيئاً لذلك الرجل، فيرا فتاة رائعة و... ونحن على وفاق تام، لقد قررت أن تتركه منذ وقت طويل، وكانت تنتظر الوقت المناسب».

«كيف تعرّفت إلى فيرا؟».

«كيف؟ في فندق آيسلند، لقد كانت تستمتع بوقتها هناك».

«هل كانت مع إيفيندور؟».

قال بيلي بعد أن ضحك باستهزاء ورفع حاجبيه بسبب سذاجة ثورسون: «لا، لم يكن معها».

كان فلوفينت يقف خارجاً ويراقب الغسيل الذي يُطيره نسيم الليل، أشعلت فيرا سيجارة أخرى، استنشقتها وهي تراقب من الباب نقاش ثورسون وبيلي.

سأل فلوفينت: «ألا يمكنك أن تفكري في سبب يجعل إيفيندور يقصد فيلكس بعد كل هذه السنوات؟».

«لا،... لم يخطر شيء في بالي».

«هل يمكن أن يكون للأمر علاقة برحلاته؟ أو أيامهما في المدرسة؟ ربما أراد أن يسأله عن شيء ما؟ هل عاودا الخروج سوياً أي هل جددا صداقتهما؟».

قالت فيرا وهي تنفث دخان السيجارة: «في الحقيقة، لا أعرف شيئاً قد يُساعدك. كان إيفيندور يتحدث أحياناً عن فيلكس، ولكنه لم يمدحه أبداً، لم يذكر سوى أنه تخلى عنه في الصغر، ورفض أن يقابله مجدداً. شعر إيفيندور أنه استغله، هكذا كان يتحدث عن فيلكس. قال إن تلك الصداقة لم تكن حقيقية».

قال فلوفينت: «ربما مُنع فيلكس من مقابلته؟ أو التعاطي معه؟ أعتقد أن والده كان حازماً للغاية بل متكبراً».

«نعم، ظل إيفيندور يتساءل عن الأمر وعما جرى بالضبط».

سأل فلوفينت: «هل ذكر يوماً أنه شارك في تجارب ضمن المدرسة؟».

«ما نوع تلك التجارب؟». لا أعرف، أنا أتساءل وحسب إن ذكر شيئاً، على سبيل المثال: سلسلة فحوصات، تتعلّق بصحته أو بنموه».

«لا، لا أتذكر أنه تحدث عن هذا، ولكنه ذكر لي مرة ممرضة في المدرسة ولكنني نسيت اسمها، لقد عرض لي صورة لها وكان فيلكس في الصورة ذاتها».

أخرج فلوفينت كتيب المدرسة الذي أخذه من شقة إيفيندور وعرضه عليها. أكدت له فيرا أنها الصورة ذاتها، وحدقت إليها تحت المصباح.

تمتمت لنفسها: «أتساءل إن كان هذا هو؟».

«من؟».

قالت وهي تشير إلى الصبي الذي كان يقف إلى جانب إيفيندور وفيلكس في الصورة: «هذا، أعتقد أن هذا الصبي هو من كان إيفيندور يتحدث عنه، لا أذكر اسمه ولكنه روى القصة ذاتها».

«القصة ذاتها؟ ماذا تقصدين؟».

قالت فيرا: «كان الأمر يشبه ما حدث مع إيفيندور، التقى به إيفيندور يوماً وتحدثا عن فيلكس ورويا القصة ذاتها. لقد بذل فيلكس جهداً حثيثاً ليتعرف إلى الصبي في المدرسة وصادقه لمدة، وقضى وقتاً طويلاً معه، ثم هجره فجأة ولم يعاود التحدث إليه».

سأل فلوفينت: «هل تعتقدين أن هذا هو سبب ذهاب إيفيندور لرؤية فيلكس؟ كي يسأله عما يجري؟».

قالت فيرا: «ربما، ليست لديّ فكرة، لطالما... حاول أن يسعى وراء الأمور ويقول إنها ستتحسن. لقد ادّعى أنه سيعود مع مال كثير، لقد تخليت عنه في النهاية فلم يكن بوسعي أن أحتمل الأمر».

«من أين كان سيأتي بهذا المال؟».

«لم يقل لي، أعتقد أنه كان كلاماً فارغاً كالعادة».

34

قالت برينهيلدور لفلوفينت إنها لم تغفُ لحظة، فهي لم يسبق لها النوم في سجن وقد لاحظ أن هذه التجربة وتّرتها. تذمرت حاقدة وقالت إن هذا التعامل لم يكن صائباً؛ فهي أظهرت نية للتعاون مع الشرطة، وبالتالي لن يجني شيئاً من وضعها في السجن. سبق لفلوفينت أن شرح لها في الليلة السابقة بأنها اعترفت بمساعدة مشتبه به في جريمة خطيرة وإخفائه، وكان من الحماقة أن تتركها الشرطة طليقة، فربما دمرّت الدلائل، وربما واظبت على مساعدة المشتبه به.

كانت الخطة تهدف لعزل فيلكس وإجباره على تسليم نفسه أو على الأقل إخراجه من مخبئه. لقد صدر قرار رسمي باعتقاله، وطُلب ممن يعرفونه إعلام الشرطة إذا عرفوا شيئاً عن تحركاته خلال الأسبوع الماضي. لقد نُشرت صورته في الصحف ومُرّرت على مراكز الشرطة في كل أنحاء البلد، بالإضافة إلى الشرطة العسكرية.

عند الظهيرة جلس فلوفينت مع برينهيلدور هولم في غرفة تحقيق السجن، وكانت رهن الاعتقال بشكل رسمي لمدة عدة أيام. أحضر فلوفينت الأوراق التي اكتشفها تحت خزانة عيادة رودولف وفردها على الطاولة، فلم تتغير ملامح وجهها. في البداية، ذكر فلوفينت أنه لم يتلقّ سوى أجزاء من الحقيقة من الناس المتورطين في هذه القضية، وقال إن ما سمعه لم يكن قابلاً للتصديق، أي أن كل الحقائق كانت بهدف تضليل الشرطة.

قال: «لا أعرف ما اللعبة التي تحاولون لعبها جميعكم ولكنها بغيضة، ألا

تعتقدون أن الوقت حان لتتعاونوا معنا؟».

سألت برينهيلدور وهي تنظر إلى الأوراق: «ما هذه؟».

«ملفات وجدتها في العيادة بعد أن غادرتِ. طلبت من طبيب أن يلقي عليها نظرة هذا الصباح ووجدها مثيرة للاهتمام لعدة أسباب وسأناقشها معك فوراً».

«ينتظرني رودولف في المستشفى، وسيقلق إن لم أكن معه».

«يستطيع الانتظار، ما يقلقني هو أمر الصبية. لقد كان إيفيندور وفيلكس صديقين في المدرسة، وفجأة لم يعد فيلكس راغباً بالتعامل معه. وسمعنا قصة أخرى مشابهة لهذه من أحد الصبية في الصورة التي أريتك إياها البارحة». وتناول فلوفينت كتيب المدرسة من ملف الأوراق، أضاف: «قصة عن هذا الصبي الذي يقف إلى جانب فيلكس وإيفيندور. نحاول أن نتواصل معه، ولكن في الوقت الحالي هل يمكنك أن تخبريني مزيداً عنه؟».

نظرت برينهيلدور إلى الملفات والصور ثم جلست بصمت وكان من الواضح أن عقلها كان يعمل بجهد كبير. اعتقد فلوفينت أنها تحاول معرفة إن وصلت إلى نهاية الطريق وهل حان وقت الاعتراف.

قال فلوفينت: «لقد حظيتِ بوقت كي تفكري في الأمر، افهمي أنه لا يمكن لوضعك أن يصبح أسوأ، إذا استمررت في إخفاء المعلومات فسيزيد هذا الطين بلة وسيزودنا بمزيد من الذخيرة».

قالت برينهيلدور وهي تحدق إلى الأوراق: «اعتقدت أنه تخلص من كل هذا، لم أعتقد أنه احتفظ بأي من هذه الملفات، إنه... لم تعد لديه الآراء نفسها، لقد تغير رودولف على عكس أخيه».

«الآراء نفسها؟ بخصوص ماذا؟ أتقصدين الألمان؟ النازيين؟».

قالت برينهيلدور: «لقد ارتدّ عن معتقده، أعتقد أن بإمكانك أن تصوغ الأمر على هذا النحو؛ لقد كفّ عن الإيمان بأفكار النازيين القاسية».

«وماذا عن فيلكس؟ هل ارتد هو الآخر؟».

قالت برينهيلدور: «تعتقد أن فيلكس جاسوساً»، لاحظ فلوفينت أن نبرة صوتها قد تغيرت.

«هذه واحدة من الفرضيات».

«بإمكانك القول إنه جرب مراقبة الناس، لقد تعوّد أن يفعل هذا من أجل أبيه حين كان صبياً في الوقت التي التقطت فيه الصورة تقريباً. تستطيع أن تعد هذا تجسّساً بحسب ما أعتقد. الطريقة مختلفة تماماً ولكن... أعتقد أن الهدف واحد».

قال فلوفينت: «لا أتفق معك، ما نوع التجسس الذي قام به عندما كان صبياً كما قلت؟».

قالت برينهيلدور: «لقد تلقى رودولف مؤخراً رسالة تهديد، ولا بد أن أحداً ما قد وضعها خلسة في صندوق البريد، لأنها لم تأتِ مع البريد الحكومي، ولم يكن هناك ختم أو طابع. احتوى المغلّف على رسالة كُتبت بواسطة الآلة الكاتبة، لا نعرف من أرسلها، ولكننا نعتقد أنه إيفيندور. لم تكن موقّعة وكانت مليئة بالأخطاء الإملائية، كانت مليئة بشيء فعله رودولف وإيبينسير وسأعترف أنني شاركت فيه، وقد ذُكر اسمهما في الرسالة. اكتشف المرسل الحقيقة، ولكنني لا أعرف كيف اكتشفها، اعتقدت أنني أستطيع التكتم، ولكنني لم أستطع؛ لقد كان كاتب الرسالة يعرف عن الدراسة والتجارب، وكان يعتقد أنه تم ارتكاب جريمة بحقه وهدّد أنه سيفضح الأمر ما لم نلبِّ طلباته».

«التجارب؟».

«نعم».

«أي تجارب؟».

ترددت برينهيلدور.

«هل كانت هذه الأوراق جزءاً منها؟ جزءاً من الدراسة؟».

أخيراً قالت برينهيلدور: «يبدو كذلك، ظننت أن رودولف دمّر كل السجلات ولكن...»

«متى تلقى رسالة التهديد هذه؟».

«قبل أيام من مقتل إيفيندور، ولكن أحداً لم يُخبر فيلكس. لم يكن هو ورودولف على اتصال ولم تكن الاتهامات موجهة ضده، ولم نعرف إن كان علينا أن نأخذها على محمل الجد. لذا بإمكانك تخيّل صدمتي حين قال لي فيلكس إن إيفيندور قد قُتل. عندما سمع رودولف بالخبر كان مقتنعاً تماماً أن فيلكس هو المسؤول -أي أن إيفيندور هو من أرسل الرسالة وأراد أن يأخذ حقه من فيلكس. لم تكن... لم تكن هذه الفكرة بعيدة جداً، لقد ساعد فيلكس أباه بالبحث، وكان إيفيندور إحدى العينات».

«يعتقد رودولف أن ابنه قادر على ارتكاب جريمة، أليس كذلك؟».

«لا أعلم، لم يتحدثا منذ سنوات».

«لمَ لا؟».

قالت برينهيلدور في محاولة منها لتجاهل السؤال: «أقسم فيلكس على أنه لم يقتل إيفيندور، وقال إنه لم تكن لديه فكرة عن سبب وجود إيفيندور في شقته. أصرّ على أنه فوجئ عندما رأى الجثة، ولكن، في الوقت نفسه، كان إيفيندور جزءاً من الدراسة لذا...»

«هل تقولين إنك لا تصدقين فيلكس أيضاً؟».

«أود أن أصدّقه حيث إنه... من السهل عليّ تحمّل نسخته من القصة على الرغم من أن كل شيء مأساوي. إنها مأساة مروّعة».

«لماذا لم تسلمي أنت ورودولف الرسالة إلى الشرطة؟».

«لأنه كان سيتوجّب علينا أن نخبرهم عن الدراسة... لقد رفض رودولف ذلك، ولا يزال يعتقد أن بوسعه التكتّم على الأمر. لا يستطيع تحمل فكرة أن يعرف أحد بما فعلنا وخصوصاً ونحن في حرب مع ألمانيا، والنازيون

يثيرون الإرهاب في شتى أنحاء أوروبا. لقد ارتدّ عن معتقداته وحين أتى هانس، وهو يأمل أن يكمل البحث بمساعدة الحكومة الآيسلندية والمنح من الرايخ، رفض رودولف العمل معه، وإن قَبِل كان من المستحيل أن يتسترّ على دراسته السابقة».

تنهدت برينهيلدور وقالت: «أخشى أن يكون إيفيندور هو من كتب هذه الرسالة ثم ذهب ليرى فيلكس فانتهى لقاؤهما بمصيبة. ولكن فيلكس لم يعترف بذلك؛ أعتقد أنه يحاول أن يغطي على ما فعل عن طريق اختراع تلك القصص عن التجسس وعن أن خطراً يحيق به».

«ولكنك قلت البارحة أن فيلكس لا يستطيع قتل أحد».

«نعم، أعرف هذا، لقد حاولت ولكنني فشلت في أن أجعله يعترف، ويصعب عليّ تخيله يطلق الرصاص على أي كان ولكن... ولكن لا أحد يعلم أين ينتهي به المطاف».

«هل تقولين إنه يكره أباه لهذا السبب؟ هل الدراسة هي سبب هذا الكره؟».

«القصة طويلة، ولكن هذا جزء منها بالتأكيد».

«هل تقصدين أن إطلاق الرصاص على إيفيندور عن طريق الخطأ غير صحيح؟».

«لا أعرف حقاً، أعتقد أننا جميعاً في نفس القارب؛ أنا وفيلكس ورودولف، ونحن نحاول فهم ما حدث. إن فيلكس يائس ويستمر في نسج نظريات مؤامرة. قال البارحة إن إيفيندور بلا شك كان الهدف، أي أن خليلته هي على الأرجح من أرسلت القاتل. بدت أنها تصادق الجنود، وكان اسمها فيرا، أليس كذلك؟ هل يمكن أن يكون اسمها فيرا؟ لقد سمع فيلكس شائعة مفادها أنها بائعة هوى، ولكنه يعتقد أنها كانت تريد إيفيندور خارج حياتها. يعتقد أن جندياً قد لحق بإيفيندور وقتله من أجلها».

«في شقة فيلكس؟ هل يعرف فيلكس لماذا كان إيفيندور في شقته؟».

قالت برينهيلدور: «لا، أقسم على أن إيفيندور لم يزره يوماً».

قال فلوفينت: «لم يستطع إيفيندور فهم السبب الذي جعل فيلكس يقطع علاقته به بشكل مفاجئ حين كانا صبيين».

«صحيح، لأن فيلكس كان قد سلم كل المعلومات المطلوبة، ولم يعد إيفيندور ذا نفع له». تردّدت برينهيلدور وأضافت بتمنع بديهي: «في بعض الأوقات بدا متأثراً إلى حدّ كبير بعمه، كانت لديه نزعة قوية للقساوة، يا لذلك الصبي المسكين».

35

خرج ثورسون من سيارة الجيب وعاين المزرعة؛ كان هناك منزل جديد من طابقين، وكانت نوافذه صغيرة وجدرانه غير مكسوة بالطين، وبدا أنه بني بسرعة. وعلى مسافة أبعد كان هناك مسكن زراعي بدا كأنه يستخدم كحظيرة. في هذه الأثناء كانت المياه تتسرّب من مصرفين إلى الساحة، وكان العفن يكسو الجدران لدرجة أن الحجارة لم تعد ظاهرة، وكان قسم من السقف منهاراً، وهذا ما ذكّر ثورسون بقصة أخبره إياها والده ذات مرة؛ حين كان ولداً في شمال آيسلندا، تسلق ثور هائج سقف مسكن زراعي منخفض وعلق فوقه فتخبط يميناً ويساراً وبرزت قوائمه وتأرجحت في غرفة المعيشة. لم ينسَ والده يوماً منظر الثور والموقف السخيف الذي وضع فيه نفسه.

بدا ثورسون منهكاً بعد أن جاب الطرقات الوعرة لمدة ست ساعات. لقد انطلق من ريكيافيك صباحاً، واتجه شرقاً إلى الجبال، وتناول الغداء في تريغفاسكالي في قرية سيلفوس. كان هناك مطار عسكري قريب فأخذ يراقب الطائرات تحط وتُقلع، لقد كان هناك تدريب للدفاع الجوي حول الجزيرة. منذ اندلاع الحرب لوحظت عدة طائرات استطلاع ألمانية أو طائرات حربية تحلق فوق الشاطئ. لقد انطلقت من النروج وكانت مزودة بوقود خاص بالمهام البعيدة فوق شمال المحيط الأطلسي، ولكنها لم تُشكل خطراً حتى الآن على آيسلندا.

كان للبريطانيين وحدة في سيلفوس للدفاع عن الجسر فوق نهر أولفوسا، وكان ثورسون يدرس الهندسة في كندا قبل أن يتطوع، وكانت الجسور تثير

اهتمامه لذا استغل الفرصة كي يتفحّص بنيته الإنشائية. كان جسراً معّلقاً ممتازاً يمتد إلى نقطة تضيّق النهر بين منحدرين، وتوقف قليلاً ليرسمه في كراسة الرسم التي كان يحملها دائماً. لفت هذا انتباه حارس بريطاني فأجبره على أن يريه هويته كي يزيل شكوكه.

طرق باب الحظيرة المفتوح ثم دخل بخجل وسأل إن كان هناك أحد. لم يرَ أحداً في المزرعة أو في الجوار. كان اليوم حاراً ومشمساً وجافاً كالكثبان الرملية، وحين نظر إلى بعض الأراضي بدا أن الناس جميعاً كانوا يعملون بجد لجمع التبن، في المطبخ وجد امرأة عجوزاً تجلس في إحدى الزوايا، وهناك طفل صغير لم يتجاوز السنتين من عمره يلعب على الأرض وكان مربوطاً بكرسيها كي لا يتحرك ويسبب المتاعب، أما المرأة العجوز فانهمكت في إصلاح مكنسة قديمة. لم تسمعه حين دخل، ولكن الطفل الصغير نظر إليه وابتسم له ثم نهض وترنح على قدميه. كان الحبل قصيراً للغاية لذا سقط على ظهره مجدداً قبل أن يخطو خطوة واحدة. نظرت المرأة إلى الأعلى وبعد أن رأت ثورسون أزالت عن أنفها نظارتها مستديرة العدستين والقديمة وألقت عليه التحية. توجّب عليه أن يرفع صوته حتى تسمعه لأنها كانت خفيفة السمع، وشرح لها أنه أتى من ريكيافيك ليقابل المزارع، ولكنه لاحظ أنه مشغول في جمع التبن في هذا الطقس الجميل. أكّدت له ذلك، وسألته عمّا يريد منه. كان ثورسون يرتدي سترة جلدية بنية اللون بدلاً من زيه. لم يتعود الناس هنا على زيارات الجنود، وخشي أن يرتابوا من الزي. قال إنه هنا كي يطرح بعض الأسئلة عن امرأة اسمها فيرا ليكتشف إن كانت هذه المزرعة هي التي ترعرعت فيها وإن كان والداها يعيشان هنا.

قالت العجوز بصوت عالٍ: «فيرا؟».

«صحيح».

«ما بها؟ هل تورّطت في مشكلة ما؟».

«لِمَ تقولين هذا يا سيدتي؟».

تابعت العجوز: «لا أعلم أين هي، لقد انتقلت إلى ريكيافيك منذ سنوات ولم تعد إلى هنا مجدداً. لم يعد والداها يعيشان هنا، فقد تخليا عن الزراعة منذ سنوات وانتقلا إلى الشرق، وعبرا الرمال إلى أن وصلا إلى هوفن».

«فهمت، لذا...»

«نعم، ابني يعمل هنا الآن، وهو من بنى هذا المنزل. نحن من مزرعة مجاورة. لقد سبق لفيرا أن عاشت هنا عندما كانت صغيرة ولكن كل عائلتها غادرت المنطقة».

جالت عينا ثورسون في أرجاء المطبخ، ورأى إبريق قهوة على الموقد، وكان المجلى مليئاً بالفخار، والفرن يكتظ بالأواني المتسخة لأن كل شخص قادر على العمل كان عليه أن يجمع التبن في هذا الجو. رأى خارج النافذة مبنى متداعياً استخدم في الآونة الأخيرة كمسكن زراعي، ولا بد أن فيرا أتت إلى هذا العالم تحت ذلك السقف المعشوشب.

حين تحدث إليها هو وفلوفينت في مقر عملها، تعجب ثورسون من حقيقة مجيئها من الريف، وأنها لم تكن تعرف شيئاً في ريكيافيك حين قابلت إيفيندور. ضغط عليها كي يعرف مزيداً من التفاصيل عن خلفيتها، ولكنها بدت مرتبكة، واكتفت بالإجابات المبهمة، فأوحت له أنها لا تريد التحدث في الموضوع. وعند تلك النقطة كان صبر بيلي ويغينز قد نفد، وقال إنه ضاق ذرعاً بهذا التحقيق السخيف.

في الصباح الباكر، اتصل ثورسون بالمرأة التي كانت تعيش في الشقة فوق شقة إيفيندور وفيرا وسألها إن كانت تعرف أصل فيرا. وكالعادة، أجابته بسرعة بأن إيفيندور ذكر مرة مزرعة في سفح جبال إيافيال، ولكن بدا جلياً أنه لم يذهب إلى هناك بنفسه. وأضافت بأنه قال أن لا مانع لديه لزيارة المزرعة، ولكن فيرا لم ترغب في ذلك، وكان تواصلها قليلاً مع عائلتها. لقد استغربت

جارتهما ذلك، واستنتجت أن فيرا كانت تكذب بشأن أصلها ولعلها قالت ذلك كي تغطي حقيقة أنها كانت عاهرة للجنود منذ أن حطت أقدامهم في هذا البلد. يا لتلك العاهرة.

وقف في مطبخ المزرعة، وحرص على أن يصوغ سؤاله بطريقة لبقة حيث أراد أن يظهر احترامه للمرأة العجوز فسأل بصوت عال: «ألم تسمعي أخباراً عنها يا سيدتي؟».

«لا، أبداً، لم تتصل بنا ولم نرها منذ أن غادرت». بحلول هذا الوقت كان الطفل الصغير قد صعد إلى حضن المرأة العجوز وجلس محدقاً إلى ثورسون بفضول.

«هل كان والداها جارين طيبين؟».

سألت المرأة العجوز وهي تحدق إليه بعينيها الضيقتين: «ذكّرني من أنت؟ هل أعرفك؟ لم تعد عيناي بقوتهما السابقة».

قال ثورسون: «أنتِ لا تعرفينني يا سيدتي، أعرف فيرا من المدينة وكنت أمر من هنا، كنت أعرف الرجل الذي كانت تعيش معه، ولا أعرف ما إن كنت...»

«أحقاً هذا؟ هل تزوّجت؟».

«لا، لم يكونا متزوّجين».

«حسناً، لا أعرف لماذا عليّ أن أسمع أخبارها خصوصاً أننا لم نعد على تواصل مع عائلتها، هل كان جندياً؟ أقصد الرجل الذي كانت تعيش معه».

قال ثورسون: «لا، كان اسمه إيفيندور، لقد توفي منذ فترة قصيرة».

«آه، يا لتلك الفتاة المسكينة، ولكنها لن تستغرق الكثير من الوقت قبل أن تعثر على رجل آخر. إنها ليست أفضل من... هل يمكن أن أقدم لك القهوة أيها الفتى؟ هل أتيت من ريكيافيك فقط لتسأل عنها؟».

قال ثورسون: «سأشرب القهوة بسرور، ولكن لا تتعبي نفسك يا سيدتي،

أعتقد أنه بوسعي أن أعد القهوة بنفسي».

أخفضت العجوز المكنسة من يدها ودلّته من مكانها وهي تحتضن الطفل؛ دلّته على وعاء القهوة وكيف يغسل إبريق القهوة وكم ملعقة قهوة عليه أن يضع. كانت المزرعة تحصل على الكهرباء من مولد ديزيل، وكان هناك آلة طهو كهربائية حديثة، ولا بد أنها حلّت محل موقد الفحم القديم الذي لاحظه ثورسون في الباحة وبدا أنه كان بالياً. فاحت رائحة القهوة في المكان. طلبت العجوز من ثورسون أن يعطي الولد قطعة حلوى وأخبرته عن مكانها، فنزل الطفل مجدداً على الأرض وأكلها بسرور. شربت المرأة العجوز قهوتها، وطلبت منه أن يكف عن مناداتها بسيدتي لأن هذا النوع من المناداة بدأه التجار الدنماركيون ولم ينادِها أحد بسيدتي في حياتها رغم سنها. ولكنها كانت تريد أن تستمتع ببعض الدخان؛ أخرجت كيس تبغ صغيراً وعرضته على ثورسون الذي وضع بعضاً منه على كفه واستنشقه وعطس فوراً، ضحكت العجوز وأخذت بعض التبغ ووضعت القليل في كل فتحة من أنفها ثم مسحته بمنديل أحمر.

تحدثا عن الطقس قليلاً، واتفقا على أن هذا الجزء من البلد حظي بصيف ممتاز، ما أفاد التبن وكان الجميع مشغولين في جمعه لدرجة أنهم لم يهتموا بشيء آخر. سألت عن أخبار ريكيافيك وخصوصاً عن الفعل المشين: أي عن النسوة المحليات اللواتي كن يرافقن الجنود، واستفسرت منه إن كان الأمر شائعاً وكيف كان هذا ممكناً ولماذا لم تتدخل الحكومة. أخبرها ثورسون أنه على الرغم من العدد المتزايد من العلاقات بين الجنود والنسوة الآيسلنديات، إلا أنها لم تكن مؤذية ولكن بالطبع كانت هناك بعض الاستثناءات وقد أنشئت لجنة أخلاق لمراقبة الفتيات القاصرات. استهجنت العجوز هذا، وتذمّرت منه كثيراً وقالت إنها سمعت عن حالات مشينة وبالطبع كان الوضع سيزداد سوءاً لأن البلد كان مليئاً بالجنود الأميركيين.

استنشقت بعض التبغ، ولاحظ ثورسون غليوناً في منفضة بالقرب منها، واعتقد أنه كان لها أيضاً. كانت لثتاها خاليتين من الأسنان تقريباً، وكانت تصفر عندما تتحدث. أما شعرها الرمادي الطويل فكان مضفوراً وكان يعانق كتفيها من الجهتين، أما جلدها فكان مجعّداً وكأنه ورقة. لقد كان مظهرها الكلي، من أصابعها إلى ظهرها المحني، يحمل أثر السنوات الطويلة الشاقة وكان يدل على أنها تعبت كثيراً في حياتها.

سألت: «ماذا عن فيرا؟ هل تمارس الفعل الشنيع؟».

لم يرد ثورسون أن ينشر الثرثرة فاكتفى بأن يقول إن صديقها الحميم قد توفي حديثاً.

«بما أنك تتحدث عنها... أود القول إن فيرا كانت متعبة دائماً، أقصد بمتعبة بسبب الرجال. لديها بالطبع مفاتن كثيرة لا شك في هذا، وكانت بارعة في إظهارها. تعوّد الرجال المحليون أن يحوموا حولها في كل مكان كالذباب. لقد كانت تسيرهم على رؤوس أصابعها، وكانت هناك مشكلة حول شيء حدث...»

«أحقاً هذا؟».

«... وأعتقد أن هذا هو سبب انتقالها».

36

سعلت برينهيلدور هولم، وطلبت كوباً من الماء، فتوجه فلوفينت إلى الباب، وطلب من الحراس أن يحضروا لها كوباً وعاد ليجلس قبالتها، وأكمل من حيث انتهى. طلب منها أن توضح ما قالته عن فيلكس: أي ما قصدته بقولها إنه يشبه هانس لاندين أكثر من أبيه من ناحية القساوة. رفضت برينهيلدور أن توضح أكثر، وكان باستطاعة فلوفينت أن يفسر كلماتها حسب أهوائه. عاد الحراس مع إناء من المياه وكوبين.

قال فلوفينت وهو يدفع الأوراق أمامها: «حسناً، أخبريني عن بحث رودولف، ما الذي كان يدرسه بالضبط؟».

نظرت برينهيلدور إلى الأوراق التي كانت أمامها: «إذا أخبرتك ما أعرفه هل تستطيع مساعدة فيلكس؟ لعلني أخطأت حين قلت إنه قاسٍ لأن قلبي معه كما تعرف، فيلكس في مأزق، وهو خائف ومحاصر من كل الجهات، وأخشى أن يفعل شيئاً غبياً إذا طال الأمر، أخشى أنه سيفعل شيئاً غبياً للغاية».

قال فلوفينت: «لم أفهم ما طلبته مني، سأفعل ما بوسعي من أجل فيلكس بشكل تلقائي، ولكن عليه أن يسلّم نفسه».

«لا أعتقد أنه سيسلّم نفسه».

«هل تعتقدين حقاً أنه في خطر؟ إذا افترضنا أن إيفيندور لم يكن المقصود؟».

«إنه واثق من هذا، أريد مساعدته ولكنني لا أعرف كيف».

سأل فلوفينت وهو يشير إلى الأوراق: «هل تستطيعين أن تبدأي بشرح أهمية هذه الأوراق؟».

لبرهة، لم تقل برينهيلدور شيئاً، وكأنها كانت تزن خياراتها ولم تحبّذ أياً منها.

أخيراً قالت: «سأبدأ باهتمامهم بالمجرمين، عرف رودولف تماماً أن الحكومة لن تعطيه الإذن ليقوم بهذه الأبحاث، وكان هانس هو من حرّضه على أن يفعل هذا سراً. في تلك الأيام، كان إيبينسير ورودولف نازيين بامتياز، واعتقدا أنهما كانا سيفلتان بفعلتهما. لقد أقنعتني نظريتهما ولكن في الواقع...»

توقفت قليلاً لتشرب بعض الماء وقالت: «يا ليتني لم أكن مضطرة للتحدث بخصوص هذا الأمر. لم نتكلم عن الأمر مجدداً إلا بعد...»

«إلا بعد أن وصلت الرسالة؟».

أومأت برينهيلدور برأسها.

سأل فلوفينت وهو يشير إلى الأوراق: «ما هو موضوع الدراسة؟ ما كل هذا؟».

«لقد كان شقيق رودولف صاحب الفكرة؛ كان هانس يجري بعض الأبحاث في ألمانيا، وخلال عمله محاضراً في جينا نشر كتيباً صغيراً أورد فيه أفكاره، فاعتقد رودولف أنه بوسعه أن يطبق هذه الدراسة هنا. لم يكن على أحد أن يعرف بهذا، وكانت آيسلندا المكان المثالي أي في الشمال النائي. كانت مجتمعاً معزولاً. اتفق الشقيقان على هذا وكانا على وفاق في تلك الأيام».

«منعزل؟».

«نعم، لقد كانت النازية قوة متنامية في ألمانيا، وأسفرت عن نظريات كثيرة بما فيها نظرة أن النزعة الإجرامية تنتقل من جيل إلى جيل، وبتعبير

آخـر، إن الصفـات الإجراميـة متوارثة. أخبرني رودولف أن هذه الفكرة كانت تسـتحوذ علـى تفكيـر هانـس، وأنه كان على دراية بالدراسـات الموجودة عن المجـال المتوارث للنزعات الإنسـانية غيـر المحبذة كالإدمان على الكحول، والعنـف، وسـفاح القربـى وغيرها مـن الموبقات. ولكن الصفـات الإجرامية أثـارت اهتمامـه، لأنـه اعتقـد أن بوسـعه تخفيفها أو القضـاء عليها، من خلال طرق عدة كإخصاء المجرمين. اعتقد أن من الممكن تقليل أعدادهم من جيل إلى جيل، لقد كان هذا فحوى دراسة هانس».

«وماذا بعد؟».

«اقتنع رودولف، وأقنع إيبينسير على مشاركته، ولم يكن هذا أمراً صعباً، فهـو مـا كان يرفـض لـه طلبـاً، وكان يؤلـه كل شـيء يأتي مـن ألمانيا في ذلك الوقت، وأنا بنفسي... أقصد أنا ورودولف قررنا... إن الأمر وما فيه...»

«تابعي».

«بعد وفاة زوجته عينني لأساعده في أمور المنزل، كنت قد أنهيت تدريبي للتو وكنت أعمل ممرضة، وبمرور الوقت أصبحنا -كيف يمكنني أن أشـرح لك هذا؟ قريبين أحدنا من الآخر».

«أتقصدين أنكما كنتما على علاقة؟ لقد أنكرت الأمر عندما سألتك».

«لا... لا أفضّـل أن أناقـش... حياتنـا الخاصة. لقد كان في أمس الحاجة إليّ بعد الحادثة».

«ماذا حدث؟».

«لقد حصلت حادثة عندما كان يمتطي حصاناً في لوغارنس بوينت. فزع حصانه وهاج، شلّ رودولف من خصره وما دون، وشعر بالاكتئاب. يقول إنني أنقـذت حياتـه ولـو لـم أقف معه خلال ذلك الوقت الأليم ما كان لديه سـبب يدفع للمضي قدماً في حياته».

«حسناً، أخبريني عن الدراسة».

«كان إيبينسير ناظر مدرسة سمح له منصبه المتفرد أن يزود رودولف بمعلومات عن خلفيات طلابه، كان بوسعه أن يتحقّق من تاريخ عائلاتهم ليختار صبية من أجل الدراسة. إن إيبينسير عالم جينات شغوف واستطاع أن يتعقّب أسلاف العينات البشرية، ولأنني كنت ممرضة في المدرسة توليت أمر الاستجواب، وأخذت القياسات والعينات. كنا نبحث عن أهداف بإمكانها النمو بشكل سليم والإنجاب -من الناحية العقلية والجسدية- بالإضافة إلى الصفات النفسية. حضر رودولف الاختبارات، وأجرينا أبحاثنا بسرية تامة. كنت أعلمهم بفحوصات الصبية الاعتيادية، وزدت عدد مرات الفحص لأنه كان من الطبيعي أن أهتم بالصبية الذين كانوا يأتون من وضع منزلي صعب، أو من منازل مجرمين».

«صبية مثل إيفيندور؟».

أومأت برينهيلدور برأسها وقالت: «لا أعتقد أنهم لاحظوا ما كنا نفعله؛ كان رودولف يأتي إلى المدرسة من وقت إلى آخر كي يفحصهم، وكان يعاين البيانات التي كنا نزوده بها ثم يعرضها على أخيه. بدا هانس متحمساً بشأن عملنا فهو كان يجري مثل هذه الدراسات بنفسه. كان يتم توطيد النازية في ألمانيا تدريجاً وكان من المفترض أن يضع عملنا خطة أساسية لدراسة أكبر عن العرق الآري التي كان يحلم هانس بتطبيقها في هذه الدولة: البحث عن أصل الآيسلنديين، أي عن طبع الفايكنغ».

قال فلوفينت وهو ينقر على الأوراق: «وكما قلت، لقد طلبت من طبيب أن يلقي نظرة على هذه وقال لي إنها قياسات جسدية بالفعل كما أنها دقيقة للغاية، قياسات اليدين والأقدام وشكل الرأس وبنية العظام وحتى المسافة بين العينين، ما الذي كنتم تبحثون عنه بالضبط؟».

«كان الأخوان على دراية بنظريات تشيزري لومبروسو، ولكن رودولف

أراد أن يبحر أكثر في الموضوع. لا أعرف إن كنت... كان رودولف يريد دراسة الفرد وبيئته، وشعر أن نظريات لومبروسو عن الوراثة لم تكن كافية في ما يتعلق بالفردانية، أراد أن يفهم أثر العوامل البيئية على الوراثة».

«نظريات لومبروسو؟».

قالت برينهيلدور: «عن العلاقة بين الإجرام والصفات الجسدية، كانت نظرياته تعتمد على الجينات ولها علاقة بالصفات الجسدية وملامح الوجه التي كانت تميز المجرمين عن غيرهم. وعن طريق أخذ القياسات الدقيقة واعتماد الملاحظة المفصّلة اعتقد العلماء أنهم يستطيعون أن يعرفوا إن كان الشخص الذي خضع للدراسة سيصبح مجرماً في وقت لاحق من حياته».

«الصفات الجسدية؟».

«على سبيل المثال كان رودولف يبحث عن قوام طويل أو جذع قوي للغاية، وفي ما يخص علائم الوجه المميزة: موقع العينين وأبعاد الجمجمة وشكل الرأس المحدد، لقد حدد العلماء معظم هذه الصفات، وأراد رودولف أن يجري الدراسة على محور أبعد من المحور الجسدي ويختبر تأثير العوامل المحيطة على طبع المجرمين. أي أن يدرس تأثير التربية والبيئة التي يعيشون فيها، ولكن هذا النطاق كان محدوداً. وعلى الرغم من ذلك كان واثقاً من أن دراساتنا ستسفر عن نتائج جوهرية. إذا ترعرعنا في بيئة معينة وضمن ظروف محددة هل يمكن لهذا أن ينعكس ذلك على سلوكنا؟».

«أتقصدين أننا نتعلم مما أمامنا؟».

«نعم، تستطيع قول هذا، لقد أخذ رودولف هذه الأسئلة في عين الاعتبار بالإضافة إلى نظريات لومبروسو عن الشذوذ الجسدي، كان فيلكس... فيلكس، كان...»

«تابعي، ماذا بشأن فيلكس؟ هل كان شريكاً في كل هذا؟».

«نعم، أخشى أن...» لم تكمل برينهيلدور الجملة.

«ماذا فعل؟».

قالت برينهيلدور: «جعله رودولف يصادق بعض العينات البشرية»، وللمرة الأولى في هذه المحادثة بدت نادمة على ما اقترفته. «تعوّد فيلكس أن يعلم أباه بظروف حياتهم وبنية عائلاتهم والعلاقات بين أفراد العائلة المختلفين، كان يخبره بما يشعر به الأطفال مثل إيفيندور تجاه أهلهم ومستقبلهم وتصرفاتهم فيما يخص الجرائم والكحول وحتّى الجنس. كان بعضهم قد بدأوا فعلاً بالتدخين وشرب الكحول، لقد كانوا صبية في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة. كانوا خمسة عشر صبياً تقريباً».

قال فلوفينت: «لقد فهمنا أن إيفيندور كان يحب فيلكس؛ لم يكن لديه أصدقاء كُثر، لذا أعطى أهمية كبيرة لعلاقته به، ولم يفهم لماذا لم يعد فيلكس مهتماً به ويرفض التحدث إليه. لقد ظنّ أن صداقتهما لم تكن حقيقية وصادقة، وفي النهاية استنتج أن صداقة فيلكس له كانت مطية لأمور أخرى. وبناء على ما أخبرتني به للتو يبدو أن استنتاجه كان في محله: لقد كانت هذه الصداقة من طرف واحد؛ فقد كان فيلكس يستخدمه فعلاً ويستغل ثقته».

أخفضت برينهيلدور نظرها، ونظرت إلى الأوراق، وشعر فلوفينت أنها لا تريد التطرق للموضوع.

بعد دقيقة تابعت: «كما قلت لك، يمكن لفيلكس أن يكون قاسياً للغاية حين يريد ذلك. لم يجد صعوبة في مصادقة هؤلاء الصبية، لأنه كان متفوقاً عليهم من الناحية الذهنية. لقد كان يعرف أن والده اختارهم فئران تجارب لبحثه، لأنهم ينحدرون من منازل سيئة السمعة ثم كان يختار الأضعف من بينهم والأكثر حساسية، ولكنه استطاع أن يتفوق على الذين كانوا أقوى منه أيضاً».

«كيف؟».

«بطرق عدة، كان يسعى إلى اختبار قدراته ويرى السهولة التي يتأثر بها هؤلاء الصبية، ويتعرف إلى ردود أفعالهم تجاه تفوقه، وكيف بوسعه التلاعب بهم... كان رودولف... كان من المفترض أن فيلكس...»

«ماذا؟».

«لا يهم هذا».

«ماذا كنت تقولين عن رودولف وفيلكس؟ من وضع له هذا الهدف؟».

ترددت برينهيلدور.

سأل فلوفينت: «لم يبتدع فيلكس هذه الفكرة من تلقاء نفسه؟ هل كان رودولف هو مصمم كل هذا؟».

أومأت برينهيلدور برأسها وقالت: «وحين وصلوا إلى منتصف الدراسة، بدأ رودولف باعتبار دور فيلكس ضمن الصبية، أي دور القائد الفذ، وكانت هذه فكرة مشهورة في ألمانيا في ذلك الوقت. لاحظ رودولف أن فيلكس كان يأسر الصبية و... فشجّع ابنه وتآمر معه ولقنه الكلام، إن رودولف رجل يهتم بالتفاصيل».

«ماذا حدث؟».

«لقد انتهى الأمر بكارثة بالطبع».

«كيف؟ هل تقصدين بين رودولف وفيلكس؟».

«نعم، بينهما و... أُفضّل ألا أتكلّم عن الموضوع. تخلى رودولف عن الدراسة وأنهاها تماماً ومنعنا من ذكرها مجدداً».

«واعتقدتما أنكما نجحتما في طمرها ببساطة؟».

«نعم، إلى أن وصلت تلك الرسالة وأشعلت كل شيء».

«وهددت في أن تفضح دور فيلكس والتجارب إلى أن.. ماذا قلت؟ تتحقق الشروط؟ ما كانت تلك الشروط؟».

«أراد الكاتب مبلغاً مالياً محدداً ليلتزم الصمت، وكان مبلغاً طائلاً».

«وهل تعتقدان أن إيفيندور هو كاتب الرسالة؟».

«ربما، إن فيلكس...»

«نعم؟».

قالـت برينهيلـدور: «قـد يكـون فيلكس... قال شـيئاً فـي إحدى رحلاته. قـال إنـه كان ثمـلاً واعتـرف بعـدة أمور لم يكن عليـه أن يذكرها عن إيفيندور والتجارب. لقد أثارت غضب إيفيندور، أعتقد أن هذا منطقي».

37

قاد ثورسون لخمس دقائق ووصل إلى المنعطف الذي أخبرته عنه العجوز. وجد الطريق مغلقاً ببوابة، فخرج وفتحها وعبر من خلالها ثم أغلقها خلفه. رحّب به كلبان أسودان من فصيلة غير محددة عند البوابة وأحاطا به وحركا ذنبيهما دليلاً على أنهما متحمسان.

ركن سيارته أمام الحظيرة، وخلع سترته ووضعها في المقعد الخلفي. ارتفعت الحرارة في هذا الوقت وكان يتصبب عرقاً. كانت هذه الحظيرة محصورة بين منزل إسمنتي صغير ملاصق، وبناء خارجي حديث يتألف من زريبة للبقر وحظيرة كانت مليئة بالتبن الذي جُمِعَ حديثاً. عاين ثورسون المروج التي كانت تمتد لمسافات شاسعة، وبدا له أن جمع التبن قد توقف.

لم يكن هناك أحد في المنزل، ولكن ثورسون لاحظ دخاناً أزرق ينبعث من المبنى القديم. كان على وشك أن يتوجه إلى هناك حين لاحظ كلباً ثالثاً يجلس على بعد ياردات من الباب ويراقب تحركاته من دون أن يتزحزح من مكانه. كان كلباً ضخماً كبيراً، وقوي البنية، أحمر الشعر ومخططاً بلون داكن، وكان يحيط برقبته طوق بخلاف الكلبين الأسودين. حين اقترب ثورسون هدر الكلب وكشف عن أنياب خطرة، تفاجأ ثورسون من طريقة ترحيب الكلب به فتوقف أمامه ومد له يده، لكن الكلب كشّر مظهراً أنيابه مجدداً. راقب الكلبان هذا الموقف وكفا عن تحريك ذنبيهما، وكأن الكلب الثالث كان يحرس صاحبه ويحذر ثورسون من أن يقترب منه. أمام الجدار القديم كانت هناك جثة حمل، بدا أن الغربان قد أعملت مناقيرها فيها.

لم يكن ثورسون يُحب الكلاب. بحث في الجوار عن بعض المساعدة، ولكنه لم يرَ أي إنسان. لم يرد التخلف عن مهمته في هذه المرحلة، ولم يكن معه شيئاً يرشي به هذا الوحش. لذا قرر أن يرى ما سيحدث إذا انتظر قليلاً، ثم اقترب من الباب، سمح الكلب لثورسون أن يمر، ولكنه لم يكف عن الهدير والزمجرة، فتنفس ثورسون الصعداء وتساءل عما سيحدث إذا انقض الكلب عليه.

حين دخل شم رائحة الجدران والأرضية القديمة، ثم رائحة الدخان النفاذة وكأنها كانت منبعثة من حرق جثة. شعر وكأنه كان يسمع موسيقى كلاسيكية ترافقها قرقعة المعدن، وحين عبر الممشى وحاول أن يميز ما يرى تساءل إن كان في محل للحدادة. حصل على إجابة حين دخل الغرفة التي كانت غرفة معيشة، ورأى رجلاً يقف وسط الغرفة ويضرب على المنجل بواسطة مطرقة ثقيلة، ثم يبردها في دلو مياه، وهذا ما أنتج غمامة من البخار. كان هناك مصباح وحيد فوق رأس الرجل، وانبعثت الموسيقى من راديو كبير وُضِعَ على مقعد قديم، وكانت تتدلى من العوارض الخشبية شرائح سلمون وبقايا حمل مدخن وجلد طائر الغلموث.

كان الرجل الذي يوليه ظهر منغمساً في ما يقوم به، ولم يلحظ دخوله قبل أن يسعل ويلقي عليه التحية. لم يرد أن يخيفه، ولكن الحداد قفز واستدار، ثم لاحظ ثورسون أنه كان يضع عصابة على عينه كما قالت العجوز.

قال ثورسون بسرعة: «أنا آسف، لم أرد أن أخيفك».

سأل الحداد وهو يوقف عمل الراديو: «من أنت؟».

«اسمي ثورسون ولقد أتيت من ريكيافيك. هل أستطيع التحدث إليك بشكل سريع؟ لن آخذ كثيراً من وقتك».

قال الرجل ذو العصابة: «ثورسون؟ ما هذا الاسم؟ هل قلت إنك أتيت من ريكيافيك لرؤيتي؟».

«نعم».

«هل أنت رجل سياسي؟ أو رجل ضرائب؟ إن كنت كذلك فغادر، ليس لديّ شيء لأقوله لك».

«لا، لست رجلاً سياسياً أو رجل ضرائب، أنا من الشرطة، من الشرطة العسكرية تحديداً».

نظر إليه الرجل بإحدى عينيه وبدا متفاجئاً، قالت العجوز لثورسون إنه كان رجلاً منعزلاً يعيش هنا مع كلابه وبعض الأبقار وقطيع من الأغنام، لقد كان مُجداً ولكنه لم يكن اجتماعياً ولم يهتم كثيراً في تحركات جيرانه، ناهيك عن وضع الحرب. وفقاً للعجوز أرادت كثيرات من فتيات المزارع أن يتزوجنه، ولكن من دون جدوى، والجميع ألقوا باللوم على فيرا. كان بوسعك أن تعتقد أنها ألقت تعويذة على هذا الرجل المسكين.

اعتذر ثورسون مجدداً، وأخبر الحداد عن نفسه -القصة المعتادة عن أنه من عائلة آيسلندية هاجرت إلى كندا ولذلك كان يتحدث اللغة بطلاقة، كان يعمل مع الشرطة الآيسلندية في ما يتعلق بواقعة حديثة في ريكيافيك، لا بد أن الحداد سمع بها عبر الراديو.

قال الرجل محتاراً من سبب الزيارة المفاجئة: «لا أسمع إلا الموسيقى، لا أسمع الأخبار كثيراً».

أخبره ثورسون أنه عثر على جثة في إحدى شقق ريكيافيك، وأخبره أن الشرطة تعتقد أن الرصاصة التي أطلقت على رأس القتيل أطلقت من مسدس يحمله الجنود الأميركيون، كان اسم الضحية إيفينيدور وكان يعيش مع امرأة تنحدر من هنا، ولكنها انتقلت إلى المدينة، ورغم ذلك فهم ثورسون أن الحداد كان يعرفها حقّ المعرفة في فترة من الفترات.

قوبل شرح ثورسون بصمت طويل. وقف الرجل هناك وهو يراقبه ويمسك بالمطرقة الثقيلة بيده وعلى الرغم من أن السؤال كان يطوف في

الجو ولكنه لن يطرحه وكأنه كان خائفاً من الجواب. انتظر ثورسون، وبعد فترة أبعد الرجل المطرقة وسوى عصابته، وأنزلها أكثر على عينه.

أخيراً سأله: «ما اسمها؟». مع أن ثورسون لاحظ أنه يعرف الاسم ويتوقعه.

«اسمها فيرا».

عاين الرجل زائره ولم يقل شيئاً. اعتقد ثورسون أنه لمح مزيجاً من الحقد والمفاجأة في تصرفاته، لقد أتى رجل غريب تماماً من ريكيافيك وظهر من اللامكان، وكان يقف هنا ويخبره عن جريمة في العاصمة، وذكر له اسماً لم يتوقع الحداد أن يسمعه مجدداً، وهذا يبرر لماذا كان عاجزاً عن الكلام. فكّر ثورسون في أنه كان سيتصرف مثله لو كان في الموقف نفسه.

«لماذا... ماذا تريد مني؟ لِمَ أنت هنا؟».

«أفهم أنك كنت تعرف فيرا أيضاً».

سأل الحداد بعد برهة: «هل هي متورطة في ما حصل؟ لذلك... لذلك...»

قال ثورسون: «أتقصد إيفيندور؟ ليس مستبعداً».

«لِمَ تريد أن تتحدث إليّ؟».

قال ثورسون: «لأعرف مزيداً عنها، كنت أتكلم مع بعض السكان المحليين ونصحوني بالتحدث إليك. قالوا إنك كنت تعرفها حق المعرفة، ولكنك لن تتحدث عنها بخير على الأرجح، هل ما قالوه صحيح؟».

قال الرجل وقد أمسك بمطرقته مجدداً: «من الأجدر بك أن تذهب، لا أعرف شيئاً لأقوله لك».

سأل ثورسون: «هل بإمكانك التفكير في الأمر على الأقل؟ سأكون ممتناً إن كان بوسعي أن أطرح عليك بعض الأسئلة».

«يجب ألا تستمع لما يقوله الناس هنا، يعتقدون أنهم يعرفون أكثر مما يعرفون فعلاً، أتمنى لك يوماً طيباً».

«هل صحيح أنها...؟»

قال الرجل بنبرة تهديد: «غادر الآن، لا أريد التحدث إليك، لا أريد أن أسمع كلمة أخرى عن تلك... المرأة، اتركني وشأني، أتسمع هذا؟ اتركني وشأني!».

قال ثورسون: «حسناً، فهمت عليك، ولن آخذ مزيداً من وقتك. هناك شيء أخير أريد أن أقوله لك قبل أن أغادر؛ إنها مع جندي الآن وهو رقيب بريطاني تحديداً. لا أعرف إن كنت تعرف بذلك. لقد بدأت بمواعدة هذا الجندي في الوقت الذي كانت تعيش فيه مع القتيل. هل فاجأك هذا؟ لقد كانت تخونه؟».

صرخ الرجل وهو يشد على العصا: «اخرج من هنا! لا أريد أن أسمع شيئاً عن الأمر، اغرب عن وجهي، غادر!».

تراجع ثورسون إلى الممشى وخرج إلى الهواء الطلق، لحق به الرجل ووقف عند عتبة الباب ونظر إليه بعينه الوحيدة. كان ذا جسد ضخم وقوي، وكان شعره أسود ولحيته سوداء كثيفة، وكان يرتدي سترة عمل لها رباطان مهترئان والسخام يُلطخ وجهه.

عندما خرج ثورسون رأى الكلب أحمر الشعر ذا الخطوط الداكنة على ظهره، زمجر في وجهه فشق ثورسون الطريق بترنح إلى سيارته، أما الكلبان اللذان سبق لهما أن ركضا حوله فوقفا بعيداً عنه وراقباه وبدوا مترقبين، ولكنهما نبحا فجأة بشكل هستيري. وحين لم يتبق له سوى بعض الياردات ليصل إلى سيارته انقض عليه الكلب المتوحش -وكانت الرغوة تتراكم عند فمه وقد تحولت زمجرته إلى نباح أرعن- وأسقطه أرضاً. وحين تلوى ثورسون في التراب وهو يبعد الكلب المتوحش قبل أن يعض رقبته، فكّر في مسدسه في صندوق التابلوه وأنه لم يكن ليتوانى عن استخدامه لو كان معه. شعر بأنياب الكلب تنغرس في ذراعه فلكم أنفه ولكنه كان قوياً للغاية. صرخ ثورسون من الألم وأمسك حجراً كي يضرب رأس الكلب به، ولكن جسداً

أسود وقف أمامه، أفلت الكلب وطار في الهواء ونبح، ثم حط على ظهره على بعد عدة ياردات. جلس مطأطئ الرأس قرب الحظيرة ووضع ذنبه بين ساقيه.

سمع الرجل وهو يسأل: «هل أنت على ما يرام؟» وشعر بذراعين قويين يساعدانه على النهوض. «إنه عجوز وعنيد، لقد كنت أؤجل قتله، إنه يهاجم أي شيء يعترض طريقه، لا تأخذ الأمر بشكل شخصي».

بالرغم مما تفوّه به الحداد، لم يشعر ثورسون بأنه كان آسفاً لما أقدم عليه الكلب. همّ ثورسون بالتوجّه إلى سيارته ولكن الدم كان يسيل من ذراعه حيث عضه الكلب، فطلب منه الحداد أن ينتظر قليلاً، فهو لا يستطيع المغادرة وهو على هذه الحال.

قال الحداد: «دعني أضمّدْ الجرح، من غير المرجّح أن تصاب بعدوى ولكن من يعرف، لديّ مطهر في المنزل، وأستطيع أن أعيرك سترة أخرى إن كنت تريد».

عاين ثورسون علامات الأنياب ولاحظ أنه من المنطقي أن يقبل مساعدة الرجل، لقد مزّق الكلب كمه.

سأل ثورسون وهو يشير إلى الجثة قرب الحظيرة: «هل هو من فعل ذلك؟».

قال الرجل: «أعتقد هذا»، ولاحظ ثورسون أن العدوانية قد اختفت من نبرته تقريباً: «هناك ثعالب هنا أيضاً، ولكن أعتقد أن الكلب هو الجاني، كنت على وشك أن أدفن الجثة حين وصلت». أضاف معتذراً: «في العادة يكون المكان أكثر ترتيباً».

تبعه ثورسون ودخل المنزل الإسمنتي الحديث، فقدم له الحداد كرسياً في المطبخ، ثم أخذ يبحث في الخزائن والأدراج عن شيء ليستخدمه كضماد، عثر على بعض الضمادات والمرهم المطهر ومزق بعض الخرق ثم نظّف الجرح بالماء.

قال وهو يعاين علامات الأسنان: «يمكنني أن أخيط لك الجرح، إذا سمحت لي، ولكن ليس لديّ شيء لأستخدمه كمطهر باستثناء البرينيفين».

«لا داعي لذلك، أحكم التضميد وسأرى ما سأفعل عندما أصل إلى المدينة».

«نستطيع أن نوقف النزيف على الأقل، آسف بشأن الكلب، إنه عجوز ولكن قلبي لم يطاوعني على قتله. أنا حساس للغاية، كان كلباً جيداً للغاية في شبابه».

علق ثورسون: «نسمع الكثير من القصص عن وفاء الكلاب، ولكن يبدو أن الأمر فيه شيء من المبالغة، هذه هي المرة الأولى التي يهاجمني فيها كلب بهذه الطريقة وأتمنى أن تكون الأخيرة».

«نعم، لقد كان وفياً معي للغاية».

قال ثورسون: «هل كان أكثر وفاء من البقية؟».

نظر إليه الرجل بعينه السليمة وكأنه يريد أن يرى ثورسون بشكل أفضل، وقال: «لا أريد أن أسمع عنها شيئاً، آمل أن تفهمني، لا أهتم بما تفعله في ريكيافيك، لا أكترث أبداً».

قال ثورسون: «حسناً، سأستسلم. أردت أن أعرف من هي فحسب، وفي حال كان لديها تاريخ في إثارة المتاعب سيتوجب عليّ أن أتقصى عن الموضوع من أحد آخر، سأتفهم إن لم ترد التحدث عنها، ولكن من العار أن تفلت بفعلتها لأنك تحميها».

توقف الحداد. كان ينظف الجرح على ذراع ثورسون ويضمده بقطعة قماش نظيفة وكان يثبتها بواسطة إبرتين جلبهما من غرفة نومه، كما جلب قميصاً نظيفاً لثورسون. لقد حل المساء وأصبحت أشعة الشمس وردية اللون على جدران المطبخ، فاحت رائحة القهوة في المكان بالإضافة إلى رائحة المطهر واليدين العاملتين. ورغم هجوم الكلب وذراعه المتألمة شعر ثورسون

بارتياح تام. أصبحت تصرفات الرجل مختلفة تماماً، وبدا قلقاً للغاية على ثورسون وخائب الأمل من كلبه، وبدا متحمساً على أن يعوض الاستقبال العدواني الذي تلقاه هذا الزائر الكندي على المزرعة الآيسلندية.

قال: «أحميها؟ أنا لا أحميها».

«سأتمكن من الضغط عليها أكثر إذا أخبرتني بما حصل بينكما، لا أعرف كثيراً المعلومات لأستند إليها. في الواقع، لا أعرف شيئاً عنها وليس هناك كثير من الناس لأسألهم عنها، كل ما أعرفه أن جيرانها في ريكيافيك لم يحبوها».

«لا يمكنني مساعدتك».

سأل ثورسون: «ماذا حصل بينكما؟».

قال الرجل: «لا شيء سوى أنني خسرت عيناً» وشعر ثورسون أن الحداد أوشك أن يثور مجدداً.

«حسناً، لم أرد أن...»

أنهى الرجل تضميد ذراعه وقال: «ربما... أعتقد أحياناً أن هذا كان عقاباً منصفاً لأنني تغاضيت عن طبعها الحقيقي، أعميت عينيّ عن طبيعتها الحقيقية».

«كيف كانت في الحقيقة؟».

«ظننت أنني أعرفها، ولكن تبيّن لي العكس».

«هل ترعرعت معها؟».

«تقريباً، في الحقيقة أنا لست من هنا، لقد أرسلت إلى هنا بعد موت أمي، وترعرعت في هذه المزرعة من قبل قريبين بعيدين، كانا زوجاً لطيفاً ولكنهما توفيا. حاولت أن أوطد علاقاتي مع السكان المحليين ولكن لعلني كنت... نعم، ولأجيب عن سؤالك: كنت أعرفها منذ فترة طويلة».

«ماذا حصل؟».

«بدأت تأتي إلى هنا...»

«و؟»

«أفضّل ألا أتكلم عن الأمر».

«حسناً، أتفهمك».

راقـب الرجـل غروب الشـمس على جدران المطبـخ، وأخيراً قال: «لقد حدث الأمر ذات مساء في شهر آب، وبعد صيف جيد لم أشك...»

«بماذا؟».

«بهدفها... الحقيقي، لقد خدعتني وجعلتني أبدو مغفلاً. إن الجميع هنا يعرفون بما حصل، لقد تبين أنها كانت... بوجهين...»

38

تذكّر المرة الأولى التي زارته فيها وحدها، كان هذا بعد أن سمع عن خطبتهما. لطالما كانت تأتي سابقاً مع صديقها الحميم، ولكنها هذه المرأة كانت تمشي بمفردها. كان منهمكاً في أعمال الحدادة لذا غسل يديه، وحاول أن يزيل معظم السخام عن وجهه قبل أن تصل إلى بابه. حفّزه اهتمامه القديم بأعمال الحديد والمعدن بأن يفتتح دكان الحدادة حديثاً، فأقام ورشته في الحظيرة القديمة حيث كان يقوم بأعمال النجارة أيضاً وهي مهارة اكتسبها من عمله في ورشة أثناء إقامته في ريكيافيك.

سألها عن خطيبها فقالت له إنه ذهب إلى القرية المجاورة ولن يعود قبل وقت متأخر. كان الثلاثة يعرفون بعضهم حق المعرفة لأنهم ترعرعوا في هذه المنطقة، ولكنه لم يأتِ إلى هنا إلا عندما بلغ التاسعة من عمره. في الحقيقة كان ينظر إليها بإعجاب أحياناً، ولكن هذا كل ما في الأمر. كان خجولاً للغاية مع النساء، ولم يحلم أن تكون له فرصة مع فيرا، فهي لم تُظهر اهتماماً به. إنها مخطوبة الآن ويعرف أنها ستتزوج قريباً، وقد ذاع صيتها بأنها فتاة لعوب ولكن خطوبتها وضعت حداً كل تلك الشائعات. كان خطيبها يعمل بالزراعة في المزرعة المجاورة وكان صديقاً له.

سألت وهي تقف عند الباب وتبتسم ابتسامة حزينة: «ألن تدعوني للدخول؟».

«بالطبع، هل كل شيء على ما يرام؟».

قالت: «لقد أردت أن أمشي وحسب، أنا ضجرة».

جلست بالقرب من طاولة المطبخ، وكانت بشرتها مسمرة من شمس الصيف بشكل مثير للغاية. استعد لتحضير القهوة وحاول أن يركز على المحادثة، ولكنه شعر أنها مشوشة. لم تسمعه وهو يتحدث عن الطقس وجمع التبن، وكيف أوصل كابلاً كهربائياً من المولد إلى ورشته الجديدة في الحظيرة كي يسمع الراديو ويحظى ببعض الإنارة.

قالت عندما أنهى كلامه: «لا يريد أن ينتقل»، وكانت تمرر يدها المسمرة على غطاء الطاولة. كانت يداها جميلتين، وكانت أصابعها نحيلة ورقيقة وكان خاتم يطوق إحداها.

«ينتقل؟».

«لقد وعدني ولكنه بدأ يختلق الأعذار؛ إنه لا يجني كثيراً من المزرعة، وهو لا يعرف كيف يجني المال بطريقة أخرى، ويقول لي الآن إنه بدّل رأيه ولن يغادر. إنه يحلم بتوسيع المزارع، وتجفيف المستنقعات وإنشاء مبان خارجية جديدة، وأشك في أنه سيفعل شيئاً من هذا. لقد وعدني أننا سنغادر وننتقل إلى ريكيافيك».

بدت حزينة وهي تتحدث عن ريكيافيك منبهرة بتلك المدينة. وقالت إنها لم ترد أن تذبل في الريف. وأضافت أن خطيبها لم يعارض الفكرة أيضاً. وأنه سيبيعه المزرعة إذا أعطاه مبلغاً جيداً».

بعد أن بقي الحداد صامتاً لفترة قال: «لعلكِ تستطيعين أن تقنعيه بتغيير رأيه».

«أشك في هذا، حتى أنني...»

«ماذا؟».

«لقد هدّدته بأنني سأفسخ خطوبتنا وأذهب بمفردي إلى ريكيافيك».

«وهل تقبّل الأمر؟».

«لم يتقبّله. قال إنني سأتخطى الأمر، وأرى أنه مُحق، أي أننا شعب ريفي

والمدينة ليست لأمثالنا، هل تستطيع... هل سمعت شيئاً يحول دون ذهابنا إلى المدينة؟ لم يتعود أن يتكلم هكذا، أعتقد... أشعر وكأنه خانني، والآن سيجبرني على حياة لا أريدها، لطالما وددت أن أذهب جنوباً إلى المدينة».

ترقرقت عيناها بالدمع، ولم يعرف ماذا يفعل، في النهاية جلس بالقرب منها وحاول أن يواسيها. أخذت يده وطوّقت عنقه بذراعيها، وبكت على كتفه. لقد شعر بنهديها يلامسان جسده، ثم أفلتته فجأة وقالت إن عليها أن تغادر. شكرته، وقبل أن يستوعب الأمر كانت قد اختفت في الغسق.

بعد عدة أيام رآها تمشي على ذلك الطريق مجدّداً، وخرج ليقابلها في الساحة وخشي أن يراها أحد وهي تزوره بمفردها في المساء، فدعاها بسرعة إلى المنزل. لم يفعل شيئاً منذ أن زارته سوى التفكير فيها، وفكّر بعلاقتها مع خطيبها التي لم تخلُ من المشاكل وبيديها المسمرتين الجميلتين وبصدرها الناهد. لعله شعر بالذنب بسبب تلك الأفكار ولكنها كانت شهوانية ومثيرة.

بدلاً من أن تدخل المنزل طلبت منه أن يريها ورشته، فأخذها إلى الحظيرة القديمة، وأنار المصباح الذي كان يتدلى من السقف، ولكنها أطفأته مباشرة، ووقفا في الظلام وتحدثا برفق. وقتها لم يلحظ وقاحتها وتصميمها على هدفها. كانت ترتدي سترة صوفية فوق ثوبها وكانت عارية الساقين. قالت إنها أرادت أن تشكره على تلك الأمسية، وعندما قال لها لا داعي للشكر لأنه لم يفعل شيئاً، ابتسمت وسألته إن فكر فيها يوماً. قالت له إنها فكرت فيه في بعض الأحيان، وفاجأه هذا، واعترف أنه فكّر فيها منذ تلك الليلة. سألته: «وقبل تلك الليلة؟» فاكتفى بالصمت. اقتربت منه ولكنه لم يتحرك، ثم ألصقت نفسها به وقبّلت شفتيه برفق، سمح لها بهذا ولم يلحظ قبل تلك اللحظة أنه كان يتوق لتلك القبلة ويتوق أن تلمس شفتاها شفتيه، ولعله كان يرغب فيها منذ وقت طويل، أطول مما ظن. قبّلته مجدّداً وقبّلها ووضع ذراعيه حولها وألصقها به. وضع يديه تحت ثوبها، واكتشف أنها كانت عارية وشعر

برجفة تتملّك جسده. قبّلته بحرارة وجذبته نحوها واستندت إلى طاولة العمل القديمة. حملها وشعر بالرغبة والحرارة والشهوة تتملكه بينما فكت بنطاله واقتربت منه وكانت أصابعها الرقيقة السمراء ترشده إليها.

تقابلا مرتين بعدها في ورشة الحدادة، وفي كلتا المرتين جذبته إليها وجلست على المقعد حيث داعبته ومتّعته.

ذات ليلة لاحظ أن ورشة الحدادة مُنارة، وهو لم يرَ فيرا منذ عدة أيام ولم يلحظها وهي تمشي إلى المزرعة. ركض وعبر الساحة، أراد أن يخبرها أنه لم يعد يريد أن يقابلها في الخفاء مجدداً وعليهما أن يتكلما إلى خطيبها ويكشفا الأمر. كان بوسعها أن تفسخ خطبتها كي يكونا معاً. فكر في الموضوع وكان مستعداً لترك المزرعة والانتقال إلى ريكيافيك معها، كما كان بوسعه أن يعثر على عمل في المدينة. كان سيعطيها الحرية التامة لتفعل ما تشاء. لم يستطع أن ينتظر كي يرى ردّ فعلها حين اجتاز الممشى القديم ومشى باتجاه الضوء في ورشة الحدادة.

شهق حين رأى خطيبها ينحني فوق الموقد ويحرك النيران بالمذكى.

سأله الرجل بعد أن نهض: «هل فعلتماها هنا؟». تفاجأ ولم يستطع التحدث. «ليس على الأرض بالطبع، أين إذاً؟ أين؟ على طاولة العمل؟».

«أنا... أنا...»

أدرك أنه لا داعي لإنكار ما حصل، لذا حاول أن يقول له إنهما أرادا إخباره: لم تكن سعيدة وأرادت هجره وأنهما يفكران في الانتقال إلى ريكيافيك. كان سيشرح كل هذا ليوضح الأمور، ولكن الكلمات لم تخرج من فمه.

قال خطيبها: «لقد حظيت بما تتمناه. لا يمكنني أن أعيش مع امرأة مثلها. سأفسخ الخطبة ولن أفكر فيها، خصوصاً بعد أن أتت إلى هنا وضاجعتك».

«لم أقصد... كنا سنتحدث إليك».

«أنتما؟».

«نعم».

ضحك الرجل وقال: «هل تظنها مهتمة بك؟».

«إننا...»

صرخ خطيب فيرا بصوت رجل تعرض للخيانة: «متى ستستيقظ؟ لقد استخدمتك لتنال مني، كانت تعرف ما تفعله تماماً، واعتقدتُ أنك كنت تعرف أيضاً. لا شك في أنك استمتعت في التفكير بي وأنت تضاجعها. اعتقدت أننا صديقان...»

«كيف... كيف عرفت...؟».

«كنا نتشاجر كالعادة ولطالما افتعلت شجاراً معي، وأخبرتني عنك، وعن... عن عش حبكما، وقالت إنها ضاجعتك هنا، لقد قالتها بوقاحة، قالت إنك دخلت بها في ورشة الحدادة!»

كان غضب الرجل يتصاعد مع كل كلمة إلى أن أعماه، فانتشل المذكى الحامي من النار وضرب الحداد على وجهه، فأصابت النهاية الحامية عينه تماماً وختمت على بؤبؤها.

في الوقت الذي استمع فيه ثورسون إلى القصة غابت الشمس وطالت الظلال وأصبحت داكنة. عدّل الحداد عصابة عينه لاإرادياً وهو يروي قصتها واكتشف ثورسون أن الحداد لا يزال يعاني.

«صرخت بأسى شديد، ومشيت مترنحاً إلى الرواق. خرجت إلى الساحة ودخلت المطبخ حيث حاولت تبريد الجرح بالماء، كان الألم لا يحتمل وعرفت... عرفت تماماً أنني فقدت النظر بعيني إلى الأبد. لم يكن من المحتمل أن تتخطّى شيئاً مؤلماً كهذا دون أن تتأذى».

سأل ثورسون بعد برهة: «هل كان خطيبها محقاً؟ هل استخدمتك لتنال منه؟».

«لـم تتحـدث إليّ مجدداً، سـمعت أنها فسـخت خطوبتهـا، وانتقلت إلى ريكيافيك، ولم أدرك إلا مؤخراً أنني كنت الضحية، ولا بد أنها كانت تعرف ذلك. لقد كانت تعرف أنه من السهل إغرائي، استخدمتني لتعاقبه، ثم ألقتني وكأنني قمامة».

«ولم ترَها منذ ذلك الحين؟».

«لا، تعتقـد أن أصعـب مـا أصابنـي هـو فقـدان عينـي، ولكـن أصعب ما أصابني هو شعوري بالاستغباء. كان هذا الجزء هو الأقسى في الواقع، أقصد أن خدعتها انطلت عليّ».

أظهرت كلماته عمق معاناته، وشعر ثورسون بالشفقة عليه.

«هل وقعت في مأزق في ريكيافيك؟».

قـال ثورسـون: «لا نعـرف هـذا، لم تسـتغرق وقتاً طويـلاً كي تتعرف إلى رجـل جديـد فـي المدينـة وانتقلت للعيش معه. لقد قُتـل كما أخبرتك، ولكن بحلول هذا الوقت كانت تواعد جندياً بريطانياً بالفعل».

«وهل تعتقد أن لها يداً في الحادثة؟».

رفع ثورسون كتفيه وقال: «من المستحيل الجزم في ذلك».

حدّق الحداد من نافذة المطبخ إلى غروب الشـمس وكأنه يفكر إن كان يفترض به أن يضيف شيئاً آخر، انتظر ثورسون بصبر وبعد برهة تنحنح الرجل.

سأل ثورسون: «هل هناك من مزيد؟».

«لا، إنه شيء قالته وعليك أن تعرفه. لقد تذكّرته الآن. لم أكترث للأمر من قبل، لأنها كانت تعبث بي بالطبع، لا أعرف إن كان عليّ أن أخبرك بالأمر، لأنك ستأخذه على محمل الجد وتضع له أبعاداً لا تُعد ولا تُحصى».

«ماذا قالت؟».

«كانت هناك حادثة غرق رجل في بحيرة فيها سمك سلمون في الأرض البور القريبة من هنا. قالت إن بوسعي أن أذهب لاصطياد السمك مع خطيبها

وأعود بمفردي وأن الحوادث أمر شائع. ثم ضحكت وتظاهرت بالمزاح، لا أعتقد أنها عنت شيئاً بهذا ولكن...»

«والآن تتساءل إن كان هناك بعض الحقيقة في كلامها؟».

«لا، كما قلت لك، لم أكترث للأمر وقتها».

«ولكن الآن عثر على صديقها الحميم في ريكيافيك مقتولاً».

«أردت أن تعرف هذا التفصيل ليس إلا، أنا متأكد من أنها لم تقصد شيئاً».

بعد وقت قليل رافق الحداد ثورسون إلى سيارته الجيب، ولم يكن هناك أثر للكلاب. عرض ثورسون عليه سترته الجلدية لقاء القميص لأنهما كانا بالطول نفسه تقريباً، ولكن الرجل رفض رفضاً تاماً أن يأخذ شيئاً منه.

قال الرجل أثناء الوداع: «هناك شيء بخصوصها، شيء يجذب الرجال إليها، ولكنني لا أعرف ما هو. شيء يشبه التعويذة التي تجبرك أن تفعل أي شيء تريده، لن أثق بكلمة تقولها، ولكن إن كانت ستتمادى بهذا الشكل...»

قال ثورسون: «حسناً، سنرى».

تصافحا.

قال الحداد: «لقد اختفت، أرادت المغادرة بأسرع وقت. أعتقد أنها هربت في منتصف الليل ولم تودّع أحداً».

صعد ثورسون إلى الجيب.

«الغريب في الموضوع... لا بد أن كلامي سيبدو غير منطقي ولكن...»

«نعم؟».

قال الرجل وهو ينظر إلى ورشة الحدادة: «أتوق إلى تلك الليالي. لقد كانت... لا أزال أفكر فيها في بعض الأوقات رغم كل شيء».

39

أوقف فلوفينت التحقيق، وسأل برينهيلدور هولم إذا كانت تريد الاستعانة بمحامٍ، فأجابت بأنها لم ترتكب أي جريمة. شعر أن استعانتها بمحامٍ ستبدو بالنسبة إليها وكأنها اعتراف بالذنب. حاول أن يقنعها بأن تغير رأيها، فقالت إنها ستفكر بالأمر، وسألت إن كانت ستطول إقامتها في السجن. لم يستطع فلوفينت الإجابة عن هذا السؤال، ولكنه أكد عليها أن تعلمه في حال أرادت تعيين محامٍ ليكون معها في هذه التحقيقات، وأنه سيتكفل بالأمر. قالت إنها تريد أن تنهي الأمر في أسرع وقت ممكن، وبدت مرتاحة الضمير. كان على فلوفينت أن يفهم حقيقة أنه ليس هناك داع لحجزها في السجن.

قال فلوفينت حين أخذا مكانهما في غرفة التحقيق: «أخبر فيلكس إيفيندور بأمر التجارب في المدرسة، وأخبره عن الدور الذي أداه في كل هذا، وبعد ذلك كتب إيفيندور رسالة أراد فيها أن يبتزكما».

قالت برينهيلدور: «لقد استفز فيلكس للغاية في تلك الرحلات. حاول فيلكس أن يبقيه على مسافة بعيدة، ولكن إيفيندور أحاط به من كل الجهات بسبب الطريقة التي عامله بها فيلكس في الماضي. لا بد أنه كان حاقداً عليه، ولم يتركه وشأنه، وأراد أن يعرف لماذا كان يذهب إلى مناطق لم يذهب إليها أحد، ولم يكفّ عن إلقاء التعليقات اللاذعة بخصوص أصله الألماني، وشرع يقول إن النازيين يجب أن يُجلدوا، وأن فيلكس عليه أن يعود إلى ألمانيا. وفي يوم ما كان فيلكس ثملاً وضاق ذرعاً بالوضع، فقال له إنهما لم يكونا صديقين يوماً، وإنه لم يكن سوى فأر تجارب أو شيئاً من هذا القبيل. لقد تعمّد إهانته،

ولم يوفر أي شيء. قال إنهم أثبتوا أنه لم يكن أفضل من أبيه المخادع، ولا بد أنه قال أشياء كثيرة لأن إيفيندور بدأ البحث و...»

«كيف؟ مع من تواصل؟».

«لقد تحدث إلى إيبينسير، وقال لنا إن إيفيندور اتصل به، ثم ظهر في المدرسة ذات يوم، وطلب أن يعرف ما جرى خلال سنته الأخيرة، وبالاستناد إلى السؤال الذي طرحه لا بد أن فيلكس أعطاه فكرة مفصّلة عن عملنا، وربما تحدث مع صبية آخرين من المدرسة أيضاً».

«أخبر إيفيندور صديقته الحميمة أنه سيؤمن بعض المال، ولكنها لم تأخذه على محمل الجد، وقالت إنه لطالما كان يخطّط لأمور لم تسفر عن شيء، أين رسالة الابتزاز الآن؟».

«لقد استشاط رودولف غضباً وأعتقد أنه أحرقها، أراد أن ينسى هذا الأمر تماماً. لم يستطع تحمل أي شيء بخصوص هذا الموضوع».

«تعتقدين أن الرسالة أُحرقت؟».

«نعم، كانت مكتوبة بطريقة ساذجة للغاية، وكانت تتضمّن تهجّماً لفظياً علينا. لقد نعتنا بالنازيين، وهدّدنا أنه سيفضح أمرنا، وقال إن علينا أن نتعذب. كما تحدث عن المال الذي كان على رودولف دفعه وأين كان عليه أن يضعه».

«وأين كان هذا؟».

«قرب إحدى بوابات المقبرة في سودورغاتا».

«هل ناقش رودولف الرسالة مع فيلكس؟».

«لا، ليس على حد علمي. ولكنني أعتقد أنه عندما لم تسفر الرسالة عن شيء فلا بد أن إيفيندور تواصل مع فيلكس -على الرغم من أن فيلكس لم يعترف بالأمر- وحاول إجباره على الدفع أو الضغط على أبيه، أعتقد أن إيفيندور كان في شقة فيلكس لهذا السبب».

«وماذا حصل بعدها؟».

«انتهى الأمر بكارثة، ولسبب ما ترك فيلكس إيفيندور في الحالة التي عثرت عليه فيها. لم أكفّ عن سؤاله عما جرى، ولكنه لم يغيّر قصته: كان إيفيندور ميتاً بالفعل حين عثر عليه، ولم يكن يستطيع تحديد من قتله أو السبب وراء ذلك، ولكن فيلكس يعود دائماً إلى فرضية أن القاتل أخطأ بينه وبين إيفيندور، أي أنه كان هو المقصود».

«وهذا يعيدنا إلى السؤال ذاته: لماذا أراد أحدهم أن يقتل فيلكس؟».

«لديه بعض الأفكار عن الأمر ولكنه لم يشاركها معي».

«هل لها علاقة بالتجسّس؟».

«لا أعرف».

«أو بالتجارب؟ أي بسبب ما فعله وهو صبي؟».

«رفض أن يناقش الأمر».

«إن كان بوسعنا أن نصدقه فلا بد أن الاستنتاج المنطقي هو أن الشخص الذي قتل إيفيندور لا يعرف شكل فيلكس إذا كان قد قتل إيفيندور عن طريق الخطأ فعلاً أليس كذلك؟».

«نعم، وهذا ما يجعل فيلكس أكثر تصميماً على أنه المقصود، أي احتمال استعانة من أراد قتله بطرف غريب لينجز العمل. كانت هذه كلماته، ولا أعرف ما الذي قصده بذلك».

«هل هو يناقض نفسه؟ قلت لي سابقاً إن إيفيندور كان الضحية المقصودة».

«أعتقد أنه حاول أن يفهم ما يجري، لم يعرف فيلكس بما يفكر وهذا ينطبق عليّ. لا أعرف ما أُصدق فأنا محتارة للغاية».

«هذه التجارب... هل تعلمين ما حل بعيّناتكم؟ هل ثبتت توقّعاتكم؟ هل تبيّن أنهم مجرمون؟».

«حاولت أن أكتشف الأمر بشكل تلقائي لا بشكل منهجي. أتذكّر معظم الأسماء وحاولت أن أواكب ما حدث للصبية حين تتاح لي الفرصة».

«و؟»

قالـت برينهيلـدور: «أعتقـد أن معظمهم أصبحـوا جيدين. أصبح أحدهم أسـتاذاً ولكن اثنين منهم في حالة مؤسـفة، وليسـا أفضل من المتشـردين. كما قضى اثنان منهم وقتاً في السجن بسبب السرقة أو الاعتداء».

سأل فلوفينت وهو يشير إلى أحد الصبية الذين يقفون قرب إيفيندور في الصورة: «ماذا عن هذا؟ لم تجيبيني من قبل».

«قلت لك إنني لم أتعرف إلى الصبيين قرب إيفيندور وفيلكس».

«فهمنا أنه كان صديقاً آخر لفيلكس».

«ربما هذا».

«أتقصدين أن فيلكس قد صادقه وأخذ معلومات عن عائلته؟».

«لا أستطيع الجزم في هذا الأمر».

«أتقصديـن أنـكِ لا تعرفيـن إن كان جـزءاً من الدراسـة؟ أعتقد أنكِ قلتِ إنك تتذكرين كل أسماء الصبية أليس كذلك؟ وعرفتِ ما حلّ بمعظمهم؟»

نظرت برينهيلدور إلى الصورة وقالت: «يمكن أن يكون اسـمه يوسـيب، وإن لم أكن مخطئة كان اسمه: يوسيب إنغفارسون».

«ما الذي يفعله الآن؟».

قالت برينهيلدور: «إنه مشرد، رأيته يتسكّع في هافنارستريتي بالقرب من وسط المدينة، كان أبوه يزج دائماً في السجن، فقد كان في غاية العدوانية».

«هل تظنين أن يوسيب هو من كتب الرسالة؟».

«يعتقد فيلكس أن المرسل كان إيفيندور».

جمع فلوفينت الأوراق عن الطاولة، وقرر الاكتفاء بهذا الحدّ من التحقيق.

«تقولين إنك تريدين مساعدته، إذا كان في خطر حقاً كما يقول نستطيع مساعدته».

التزمت برينهيلدور الصمت.

«فكّري في فيلكس وفي الخطر الذي يعتقد أنه يُحيق به. خياراتك محدودة ولا بد أنك تعرفين ذلك، كما أنك متورطة في هذه المشكلة أيضاً وسيتحسن وضعك إذا كنت صريحة معنا، عليك...».

فجأة، قالت برينهيلدور: «لقد كان يؤلّه عمه، فيلكس نازي متعصب، كان سيذهب إلى ألمانيا ويتطوع في الجيش ما لم يقنعه هانس أنه سيكون أكثر نفعاً هنا في دياره».

«كوني أكثر تحديداً، سيكون أكثر نفعاً بأي منحى؟».

«عندما يحتل الألمان البلد، ولكن عندما لم يحصل ذلك...»

«نعم؟».

«يمكنه أن يكون عميلاً ألمانياً في الواقع؛ أعتقد أن إيفيندور قتل خطأً».

«حسناً، دعينا نعد إلى هانس لاندين، ما الذي يفعله تماماً؟».

«أتى إلى هنا قبيل الحرب وكانت لديه خطط كثيرة لآيسلندا بعد الاحتلال الألماني. أراد من أخيه أن يدير برنامج بحث يُعنى بالأنثروبولوجيا يعتمد على بحثه السابق، ولكن بحلول ذلك الوقت كان رودولف قد تخلى عن النازية، غضب هانس وغادر من دون أن يودّع رودولف، ولا أعتقد أنهما تواصلا منذ ذلك الوقت. اعتقد هانس أن على النازيين أخذ آيسلندا مثالاً لأنها كانت موطن عرق فريد من نوعه وهو العرق الشمالي الأصلي الذي كان متفوقاً على سائر الأعراق».

شربت برينهيلدور جرعة ماء أخرى، وشرحت أن هانس كان معجباً بالملاحم نظراً لما ورد فيها من وصف للمحاربين والبطولات التي تنم عن الشجاعة. لقد انغمس في نصوص الدولة التي تعود للعصور الوسطى بما فيها أشعار الإيدا وأساطيرها الإسكندنافية وحكايا الماضي الألماني العريق. وبالنسبة إليه كانت حكايا بطولات أسلاف آيسلندا تضاهي الرجال الخارقين في زمننا الحالي، وحَلِم بإعادة تجسيدها. لقد أجرى أبحاثاً أنثروبولوجية

بخصوص تفوّق العرق الشمالي في مؤسّسة أنشأها هيملر في برلين كجزء من مجموعة تراث الأجداد، وكان هذا سبب مجيئه إلى آيسلندا في العام 1939. كان واثقاً من احتلال الألمان آيسلندا عند اندلاع الحرب وهذا ما سيتيح دراسات أنثروبولوجية وجينية جدية عن سكان آيسلندا وعن تراثهم الألماني العريق ودم الفايكنغ؛ أي أصل الآيسلنديين، كان ينوي إدارة المشروع بنفسه: وكان سيجعل رودولف ذراعه اليمنى.

قال فلوفينت: «ولكن ألمانيا لم تحتل آيسلندا».

«ولابد أن هذا شكّل خيبة أمل كبيرة بالنسبة إلى هانس».

لقد استنتج رودولف حالاً أن أفكار هانس والمفكرين النازيين الآخرين حيال آيسلندا كانت ذات أساس خاطئ، وهذا تماماً ما قاله ويرنير جيرلاش لهانس خلال لقائهما في القنصلية. بنظرهما لم يكن الآيسلنديون سوى رعاع ولم يمتوا للفايكنغ المحاربين بصلة، وقد حصل اختلاط للأعراق على الجزيرة منذ الاستيطان المبكر في القرن التاسع. وليدعم هذا المفهوم سلّط رودولف الضوء على الاستنتاجات التي توصّل إليها خلال دراسته، واقترح أن نتائجه يمكن أن تضع حجر الأساس لبحث مفصل عن انحطاط العرق الشمالي الأصلي. لقد وضحا أن أحفاد الفايكنغ لم يمتوا للعرق الآري النبيل بصلة، ولكن هانس لاندين لم يصغِ لهما، وانتهى هذا الأمر بنزاع عميق، ثم احتل البريطانيون الجزيرة ولم تسفر خططهم عن أي شيء ذي قيمة.

سأل فلوفينت: «هل تعرفين أين هو هانس لاندين الآن؟».

«إن آخر شيء سمعه رودولف أنه تخلى عن المشروع الشمالي، وانتقل لإجراء الأبحاث الجينية على السجناء، أي على المجرمين».

قال فلوفينت وهو يشير إلى الملفات: «ما تقولينه أن كل هذا حصل منذ زمن بعيد أي بعد أن شارك رودولف في بحثهما السري في المدرسة، وأن هذه الأوراق تعود إلى تلك الفترة».

قالت برينهيلدور: «هذا صحيح، لقد كانت أهداف الأبحاث التي أقيمت في المدرسة مختلفة تماماً، ولكنها أدت دوراً مفصلياً في إيقاظ اهتمام هانس لاندين بآيسلندا».

«هل تعتقدين أن هانس جعل فيلكس عميلاً للألمان؟».

«نعم، وأعتقد أن إيفيندور قُتل بدلاً من فيلكس».



40

أمضى ثورسون الليلة في ثكنات محطة الدفاع الجوي الملكي في سيلفوس. لقد وصل إلى القرية بعد منتصف الليل، ولم يجرؤ على متابعة الطريق إلى ريكيافيك لأنه كان منهكاً من القيادة وهجوم الكلب، ومن تنقله من مزرعة إلى أخرى بحثاً عن المعلومات. لقد حاول أن يتحدث مع خطيب فيرا السابق، ولكنه مسافر في شمال البلاد. أغمض ثورسون عينيه مرتين وهو يمسك بالمقود وخاف أن يقود على الطريق الجبلي فوق هيتليسهيتي في الظلام وهو يشعر بالتعب والنعاس، فقرر أن يُجرب حظه، ويسأل إن كان بوسعه النوم في المخيم البريطاني. كان الضابط المسؤول مستيقظاً وكان يدخن أمام مكان منامته وبدا مسروراً في أن يلبي طلب ثورسون، لقد تحدثا لبعض الوقت ثم أرشد ثورسون إلى سرير فارغ، فنام في اللحظة التي لامس رأسه الوسادة.

في صباح اليوم التالي، تناول طعام الفطور مع الطيارين وشكرهم على استضافتهم له ومضى في طريقه، فوصل إلى ريكيافيك بحلول الظهر. بدأ حالاً في جمع المعلومات بشكل سري عن بيلي ويغينز، وبعد أن أجرى بعض الاتصالات اكتشف أن ويغينز تشاجر الأسبوع الماضي مع جندي من فوج المدفعية البريطانية. بدا أنه كان ثملاً للغاية لدرجة أنه أُجبر على أن ينام في مخيم الاحتجاز في كيركيوساندور. لم يعتبر الشجار حاداً للغاية إلى درجة أن تُوجّه الاتهامات، ولكن لم يذكر سبب هذا الشجار في سجل الشرطة العسكرية.

عندما رنّ الهاتف، كان ثورسون على وشك الذهاب ليتكلم مع الجندي

المذكور. قال له المتصل إن الرائد غراهام يريد رؤيته فوراً في مستشفى ليبير، فأدرك ثورسون أنه نسي أن يضع غراهام بأجواء التحقيق وهذا يعني أنه خالف أوامره. لقد أخبر قائده الكولونيل ويبستير مرتين على الهاتف بأجواء التحقيق وعن الرابط المحتمل بين الجريمة في شقة فيلكس لاندين وتهمة التجسّس، أخذ الكولونيل ويبستير هذه المعلومات على محمل الجد، وأمره أن يتواصل مع وحدة مكافحة التجسّس حالاً، ولكن ثورسون كان يعاني في تخطي كرهه للرائد غراهام.

بعد عدة اتصالات استطاع التواصل مع فلوفينت في السجن، فأخبره بآخر ما توصل إليه في تحقيقه مع برينهيلدور هولم واقتناعه بأن فيلكس كان يتجسّس على العمليات العسكرية في آيسلندا بسبب تحريض عمه هانس لاندين. بدوره أعطاه ثورسون ملخصاً عن رحلته إلى الشرق إلى مجتمع المزارع القروية حيث ترعرعت فيرا وعن القصص التي تُحكى عنها بين جيرانها السابقين وعن المُزارع التي أغرته والعنف الذي تعرض له.

سأل فلوفينت حين أنهى ثورسون كلامه: «هل تقول إنها فعلت هذا لتفسخ خطوبتها فحسب، وتنال من خطيبها؟».

«هذا ما يبدو عليه الأمر».

«لقد أثارت النزاع بين الرجلين؟».

«ولم تهتمّ لأمر أي منهما».

«هل تظن أنها اتّبعت الطريقة نفسها لتتخلص من إيفيندور إلى الأبد؟».

«هذا مُحتمل، سأحقق مع بيلي ويغينز، وأعاين علاقتهما عن كثب، وسأخبرك بما أتوصل إليه».

قال فلوفينت: «ممتاز، علينا أن نلتقي، عليّ أن أعلمك بتفاصيل ما اعترفت به برينهيلدور عن التجارب التي كانت تقيمها مع رودولف وتأثيراتها، سأراك قريباً».

لـم يكـن هنـاك أثـر للرائد بالانتاين حين اسـتقبل غراهام في مكتبه الذي يقع في المستشـفى القديم ثورسـون، وشـرع حالاً في توبيخه لأنه لم يُطلعه علـى آخـر المسـتجدات. حـاول ثورسـون أن يبرر فعلته بقولـه إنه انهمك في التحقيق وغادر المدينة ليلحق بدليل، ولكن غراهام كان يستشيط غضباً، ولم يهدأ إلى أن ذكّره ثورسون بأن قائده كان الكولونيل فرانكلن ويبستير وإذا كان لديه شكوى ضده فعليه مناقشتها مع الكولونيل.

سـأل غراهام بانزعاج واضح: «هل نتعامل مع جواسـيس؟ هل تسـتطيع أن تبت لي في هذا؟».

«لا نسـتطيع الجزم بأن الجريمة لها علاقة بالتجسّـس، ولكننا عثرنا على إثبات يرجّح أن فيلكس لاندين الذي كان يستأجر الشقة التي عثر على الجثة فيها كان عميلاً للعدو، نعتقد أنه كان يسافر إلى مناطق ذات أهمية استراتيجية تحت ستار تاجر جوال، ولكن ليس لدينا دليل قاطع على هذا. عمّه الطبيب الذي يعيش في ألمانيا عيّنه جاسوسـاً إن كان بوسـعنا أن نعتمد على شـهادة صديقة للعائلة».

«وهل لا يزال فيلكس هذا هارباً من العدالة؟».

«كان يختبـئ فـي عيـادة أبيه القديمة، لقد تبعه المحقق الآيسـلندي الذي أعمل معه إلى هناك، ولكنه تملص منه. سنقبض عليه قريباً، أنا واثق من هذا، لأن لا مكان لديه ليختبئ فيه».

قـال غراهـام: «فـي الواقـع، أنا لا أكترث لما أنـت واثق به، وبناء على ما أراه لن تنجز الشـرطة الآيسـلندية شـيئاً، وكما سـبق لي أن أبلغت علينا تولي الأمر إن كانوا عاجزين عن إيجاد حل لقضية بسيطة مثل هذه».

«ليست القضية بالأمر السهل يا سيدي، إن الضحية آيسلندية و...»

قال غراهام: «نعم، ولكن هذا لا يهمني، هل عثرتم على أي أوراق تعود لفيلكـس هـذا؟ هـل تعرفون إلى أين ذهب؟ ومع من يقيم علاقات؟ ومن هم

زملاؤه؟ هل عثرتم على شيء مفيد بخصوص هذا الرجل؟ أي كيف يرسل المعلومات إلى خارج البلاد؟ أو ما هي طبيعة المعلومات التي كان يجمعها؟».

قال ثورسون: «لقد توصلنا إلى كثير من المعلومات، ولكنها ليست على صلة بكونه عميلاً بل بعلاقات عائلته و...»

تنهّد غراهام وقال: «حسناً، بتعبير آخر لم تتوصلوا إلى شيء»، لم يستطع ثورسون أن يفهم لمَ كان منزعجاً من تعاونه مع فلوفينت. تابع غراهام: «سأقترح على الكولونيل ويبستير أن تتولى الاستخبارات هذه القضية، سنعلمك بآخر الأخبار، هذا كل شيء، طاب يومك».

«ولكن ليس هناك دليل...»

«طاب يومك».

كان الجندي الذي تشاجر مع بيلي ويغينز يدعى بورنز، وكانت لديه مناوبة مع رجلين آخرين في محطة مراقبة في شبه جزيرة سلتيارنارنس غرب ريكيافيك. كانت المحطة تطل على خليج فاكسافلوي من كيفلافيك والمنارة في غاردسكاغي على شبه الجزيرة الجنوبية إلى هفالفيوردور في الشمال وشبه الجزيرة الجبلية سنيفيلنيس في الشمال الغربي. حين عرّف ثورسون عن نفسه وطلب التحدث إلى الجندي بورنز تقدم شاب نحيل وأشقر لم يتجاوز عمره العشرين عاماً وبدا من تعابير وجهه أنه متفاجئ بقدوم جندي من الشرطة العسكرية الأميركية.

تنحى به ثورسون جانباً، وشرح له أنه يريد معرفة تفاصيل شجاره مع بيلي ويغينز وهل اختار فعلاً ألا يشتكي عليه. أومأ بورنز برأسه، وقد تدلّت بندقية من كتفه ومنظار كبير عن رقبته يُستخدم لمراقبة سفن العدو. قال له إن هذا صحيح فالشجار كان بسيطاً، كان ويغينز أعلى رتبة منه وأراد بورنز أن يتناسى الأمر. في الواقع، نسي أمر الشجار إلى أن أتى ثورسون، وأصرّ على ذكر الأمر مجدّداً.

سأل ثورسون: «ماذا حصل بالضبط؟».

قال الجندي اليافع: «لا بد أنني أهنته بطريقة ما يا سيدي. لا أعرف ما فعلته تماماً، وعذراً منك، ولكنه بدا هائجاً وبدا أن الغيرة تعميه، ولكنني لم أعرف هذا في ذلك الوقت».

«الغيرة؟».

قال بورنز بعد أن أحضر علبة سجائر وولاعة: «غيرته على تلك المرأة التي تعمل في الغسيل».

«أي امرأة؟».

«تلك التي افتتحت مكاناً للغسيل قرب مخيم نوكس، إنها تعمل لقوات الحامية العسكرية ولكنني لا أتذكر اسمها... ولكن الشباب قالوا لي إن بيلي ويغينز ساعدها في تجهيز عملها، واستثمر علاقاته كي تحظى بمزيد من العمل، إنه صديقها الحميم».

«هل اسم تلك المرأة فيرا؟».

«صحيح».

«ماذا بها؟ ماذا حصل؟».

«لم يحصل شيء مهم، ولم أعرف أنها صديقة ويغينز. لقد انهال عليّ بالضرب، بينما كنت أتحدث وزملائي عن الجنود الأميركيين، وكيف أنهم يهيمنون على المكان ويطوفون فيه وكأنه لهم... آسف يا سيدي».

«لا تقلق بهذا الشأن أيها الجندي فأنا كندي».

«آه، على أي حال لقد صادفنا ويغينز خارج فندق آيسلند، كان ثملاً ومتعكر المزاج، كان يعرف رجلين من مخيم تريبولي وكانا معنا، كنا نضحك ونقول إننا كنا قلقين لأن العصافير المحلية تحب الأميركيين أكثر منا. كنا نعبث فقط، ولكن هذه هي الحقيقة، فمنذ أن وصلوا... كما تعرف... إنهم أكثر شعبية منا».

«ماذا حصل؟ لم يُعجب ويغينز بما سمع؟».

«لا، لقد هاجمني لأنني قلت إن المرأة الشقراء التي تدير مكان الغسيل قرب مخيم نوكس أمّنت لنفسها راعي بقر في الحال. في بعض الأحيان، كنت أتحدث عنها أنا وزملائي، إنها... فاتنة للغاية، لم أكن أعرف أن ويغينز عشيقها وإلا ما كنت لأقول شيئاً».

«المرأة الشقراء التي تدير مكان الغسيل؟ أمّنت لنفسها راعي بقر في الحال؟».

«نعم، فقد ويغينز صوابه فوراً، وسألني عمّا أقصده بكلامي، فاعترفت أنني رأيتها مع جندي أميركي، عندها جن جنونه، وأخذ ينعتني بالكاذب، وقبل أن أدرك الأمر، وجدت نفسي ممدّداً على الأرض والوغد ينهال عليّ بالضرب».

«هل رأيت فيرا مع جندي أميركي؟».

«نعم، في بعض الأحيان نمّر بالقرب من منزلها، وذات صباح رأينا راعي بقر قريباً منه، بدا جلياً أنه كان على وشك المغادرة. لم أجرؤ على قول هذا لويغينز وإلا كان سيقتلني، لذا حاولت أن أقول له إنني كنت مخطئاً. ولكن بحلول ذلك الوقت كانت الشرطة قد وصلت وفقد صوابه وحاول ضرب الجميع. لقد خرج عن طوره، يا لذلك المسكين. لذا أخذوه بعيداً».

سأل ثورسون: «هل أنت متأكد أنها كانت هي؟ أي أنها كانت فيرا؟».

«طبعاً، كنا نتحدث عنها وعن مفاتنها، ولكنني لم أعرف عن علاقتها بويغينز، قال لي الرجال في مخيم تريبولي إنه كان مهووساً بها، ولم يكن يبرح جانبها، وكان ينفذ طلباتها ويرتب كل أمورها».

«ولكنك رأيتها مع جندي أميركي؟».

أشعل الجندي سيجارة، وأومأ برأسه ثم قال: «لقد كان أكثر وسامة من بيلي ويغينز، وهذا أمر مؤكد».

41

حظي يوسيب باهتمام الشرطة لأكثر من مرة بتهمٍ طفيفة بما فيها التسول، والثمالة، والتصرف غير اللائق، وسرقة المتاجر، والصيد غير المشروع لطير العيدر الشائع. لم يعرف فلوفينت كم مرة احتجز لأن كثيراً من التهم الطفيفة لم تكن تُسجل، وكان هناك سجلان مختصران باسمه لدى الشرطة أحدهما حديث، رأى فلوفينت أن يوسيب أعطى عنوان شقيقته حين سُئل عن عنوانه الحالي. ذهب فلوفينت إلى هناك، واكتشف أن يوسيب لم يعش معها يوماً وفي الواقع لم يلتقِ الشقيقان كثيراً. ولكن شقيقته التي تُدعى ألبينا قالت له إن يوسيب كان يمكث أحياناً في نزل سيتاديل الذي تديره جمعية جيش الخلاص، وبسبب فضولها عما تريده الشرطة من شقيقها أصرّت بأدب أن يدخل فلوفينت إلى منزلها وقبل أن يستوعب الأمر رأى نفسه يقبل دعوتها لاحتساء القهوة. ومع أن الوقت كان بعد الظهر إلا أن زوجها لم يكن قد عاد بعد، كان يعمل في مكاتب إيمسكيب وهي شركة بواخر آيسلندا وكان يعيش في قلقٍ دائم حيال مستقبل بواخر الشركة في هذه الأوقات الصعبة.

سألت ألبينا بتعابير تنم عن قلقها: «ماذا فعل يوسيب؟». شرح لها فلوفينت عن هويته وطمأنها: «لم يفعل شيئاً على حدّ علمي، وأعتقد أن بوسعه مساعدتي. أحاول أن أعثر على رجل يُحتمل أنه يعرفه أو كان يعرفه في وقت من الأوقات، ولعل ما سأطرحه عليك هو سؤال غريب، ولكن هل سبق له أن تحدث عن أيامه في المدرسة؟».

«في الحقيقة، نحن لسنا على تواصل ولم نكن يوماً مُقربين، في الواقع

لم يعرف أحدنا الآخر حق المعرفة».

«ألم تكبرا معاً؟».

«لا، أنا أكبر من يوسيب بخمسة أعوام. اعتنى بي زوجان من أكوريري عندما كنت في الثالثة من عمري وتبنياني لاحقاً».

«هل تمانعين أن أسألك لِمَ ترعرعتِ في منزل آخر؟».

«لم يكن الأمر سرياً أبداً».

ما كانت ألبينا تخجل من مناقشة وضعها العائلي. فقد أُخذت من أبويها لأنهما كانا غير صالحين للاعتناء بها: لقد كانا سكيرين وهي لا تتذكرهما كثيراً، وحين كبرت حدّثها والداها بالتبني عنهما: لم يخفيا أي شيء عنها، ولكن لم يكن لديهما أي اتصال مع والديها في ريكيافيك. قالا لها إن الاتصال بهما ليس خياراً حكيماً، وإن من الأفضل أن تقطع كل الأواصر بينهما لذا لم تعرف بوجود شقيقها إلا بعد أن انتقلت جنوباً مع زوجها قبيل الحرب بسنوات قليلة. قررت أن تبحث عن والديها الحقيقيين، وعندها اكتشفت أنهما توفيا. كان يوسيب ابنهما الوحيد بالإضافة إليها، لقد حظي بطفولة صعبة على أقل تقدير.

قالت: «كنت بالغة حين قابلته للمرة الأولى. لقد تقصيت أمره، وانفطر قلبي حين رأيت الحال التي كان عليها. لقد استسلم للكحول وعاش والداي في مزبلة»، وتابعت بعد برهة: «أعتقد أنني كنت محظوظة. بينما كانت حياته بائسة ولا أملك فكرة إن كان قد جنى على نفسه إلى حد ما، ولكنني لا أعتقد أنه حظي بأي مساعدة من والدينا فسلك الدرب الذي سارا عليه، أليست هذه هي العادة؟».

أجاب فلوفينت: «أعتقد هذا».

قالت ألبينا: «ذكرت أنك كنت تبحث عن بعض أصدقائه في المدرسة، هل فعلوا شيئاً؟».

قـال فلوفينـت وشـعر برغبـة في التحدث إليها بصراحـة: «لا نعرف بعد. كان في مدرسـة مع فتى اسـمه إيفيندور، عُثر عليه مقتولاً في المدينة، لعلك سمعت بهذا الأمر؟».

«الرجل الذي أُطلقت عليه رصاصة؟».

«صحيح، كان ليوسـيب زميل آخر في المدرسـة يُدعى فيلكس لاندين، نحـن نبحـث عنـه لنتبيـن علاقته بالجريمة، ليس لأننا نتهمه، بل لأنه يمكن أن يساعدنا في التحقيق، هل ذكر أخوك أياً من الرجلين؟».

سـألت المـرأة بتشـكك: «أنـت لا تعتقـد أن يوسـيب متورط فـي هذه... الجريمة، أليس كذلك؟».

«لا، ليس لدينا سبب لنعتقد أنه متورط».

«من الغريب أنك سألت عن هذا الأمر، لقد أتى يوسيب إلى هنا منذ عدة أسـابيع وقدّمـت لـه وجبـة وبعض ثياب زوجي القديمة. قـال إن أموره كانت مستتبة ولم يتذمر ولكن من الواضح أنه يعاقر الخمر. أعتقد أنه يشرب طوال الوقت، يا له من مسـكين»، رمقت فلوفينت بنظرة حادة، ولا بد أنها شـعرت فجأة بأنّ عليها أن تدافع عن شقيقها: «أؤكد لك أن يوسيب رجل جيد، ولكنه مرّ بأوقات صعبة للغاية، إنه طيب فعلاً».

قال فلوفينت: «لا أشكك في هذا».

«قال لي إنه قابل أحد زملائه في المدرسة حديثاً، لا أعتقد أنه ذكر اسمه، وإلا كنت سـأتذكره. ولكنه قال لي إنه كان يسـتذكر الأيام الخوالي والأشـياء التي تناساها».

«هل ذكر شيئاً على وجه الخصوص».

«نعـم، ذكـر شـيئاً بخصوص بعض التجـارب الطبية، تحدث عن ممرضة -كانت كنيتها هولم أو هولمز- كانت تعتني بهم».

«برينهيلدور هولم؟».

«ربما هذا هو اسمها، لقد سماها السيدة هولم، يبدو أنها كانت تعتني بصحة الأولاد إلى حدّ كبير وخصوصاً أولئك الذين كانوا ينحدرون من بيئة متواضعة وكانوا مُهملين مثله. تعوّدت أن تطرح كثيراً من الأسئلة وكان يرافقها أحياناً رجل يرتدي معطفاً أبيض وتعوّد أن يعاينهم ويقرصهم وينظر إلى رقابهم وكأنهم قطيع غنم، لقد وضع آلة قياس فوق رأس يوسيب أيضاً».

«هل يحتمل أن يكون اسم هذا الرجل رودولف؟».

«لم يذكر يوسيب اسمه، ولكنه تذكّر شيئاً مريباً حيال الموضوع. هذا ما قاله له زميله القديم. أي أنهم كانوا جزءاً من تجربة غير قانونية، وأعتقد أن الطبيب المسؤول كان ألمانياً. هل يمكن أن يكون هذا صحيحاً؟ هل يُحتمل أن يكون تابعاً للنازيين؟ هل هناك شيء صحيح في ما قاله؟».

سأل فلوفينت: «هل كانت هذه المرة الأولى التي يسمع بهذا؟».

«نعم، لم يفكر يوسيب بالأمر، ونسيه تماماً. كان للطبيب -الرجل ذي المعطف الأبيض- ابن وكان هذا طرفاً في هذه التجارب ولم يذكره يوسيب بالخير. كان يجلس هنا إلى طاولتي ويعيد إحياء الماضي، ولكنني لم أستطع أن أتابع معه بالحديث تماماً».

«هل كان اسم الابن فيلكس؟».

«نعم، فيلكس، هذا صحيح، قال يوسيب إنه كان ماكراً أو شيئاً من هذا القبيل. وفي جميع الأحوال كان يوسيب يكرهه ويكره كل هذا الأمر. لقد انفعل كثيراً حين استذكر تلك الأيام، ثم غادر ولم أسمع خبراً عنه منذ ذلك الوقت».

تبيّن أن المتطوعين في سيتايدل كانوا يعرفون يوسيب حق المعرفة، ولكنهم لم يروه منذ مدة. قالوا إنه يأتي من وقت إلى آخر وخصوصاً في الشتاء لتناول وجبة، وليدفئ نفسه، وليعلم أن الله كان رحيماً بكل عباده، وأن رحمة الله كانت تطاله أيضاً. أراد فلوفينت القول إن الله لم يكن منصفاً مع

يوسـيب وفقاً للحال التي كان فيها ولكنه كبح نفسـه. اعترفوا أن يوسـيب لم يحبذ أن يشـارك مع الجوقة إلا بأغنية إلى الأمام، أيها الجند المسـيحيون. لم يروه كثيراً في الربيع والصيف حين كان ينام في الهواء الطلق داخل الحدائق أو في أكواخ القوارب أو مستودعات الشباك كما قال لهم.

شـكرهم فلوفينت وحين غادر التقى بمتشـرد وفكّر في أن يسـأله إن كان يعرف يوسيب. انبعثت رائحة نتنة من نَفَسه وبذل فلوفينت جهداً كبيراً كي لا يغطي أنفه ويسيء بذلك للرجل، ولكنه لم يبدُ من النوع الذي تسهل إهانته.

سأل المتشرد بصوته الأجش: «يوسيب؟ لمَ تسأل عنه؟».

أجاب فلوفينت: «أحتاج لأن أتكلم إليه، هل تعرف أين أسـتطيع العثور عليه؟».

«هل أنت شقيقه؟».

«لا».

رمقه المتشـرد بارتياب. كان شـعره أشـعث ومتسـخاً ويعتمر قبعة مهترئة وكانت يداه سوداوين من الغبار والقذارة.

سأل: «هل يمكن أن تعطيني خمس ليرات؟».

تنـاول فلوفينـت ثـلاث ليـرات مـن جيبـه فأخذهـا الرجـل ووضعها بين ملابسه.

قال: «لا أعرف شيئاً عن يوسيب» وتابع طريقه إلى سيتايدل.

«ولكن...؟»

«تستطيع أن تذهب إلى الساحة وراء مكان موندا في غارداستريتي حيث يكون لديها قليل من البقايا».

لـم تكـن المسـافة بعيـدة بين نزل جيـش الخلاص وغارداسـتريتي. عند الناصية انعطف فلوفينت إلى الشارع الذي افتتحت فيه امرأة اسمها إنغيموندا وتُعـرف بمونـدا فـي بدايـة الحرب مطبخـاً صغيراً يُدعى بالنُـزل الصغير، كان

طبقهـا اليومـي المعتاد هو سـمك القـد المقلي والمغطى بفتات الخبز وكرات اللحم بالصلصة على الطريقة الدنماركية وكان عملها مزدهراً للغاية. إنها امرأة صغيرة الحجم ونحيلة، ومع أنها تجاوزت سن الشباب إلا أن حركتها لا تزال رشيقة. لم تستطع أن تمنح فلوفينت وقتاً طويلاً، قالت إن يوسيب يأتي أحياناً إلـى مطبخهـا ويطلـب البقايا، وكانـت تعطيه بعضها لأنها تتعاطف مع من هم في مثل حاله، فقد سبق لها أن مرت بأوقات صعبة ولكن عملها يشهد ازدهاراً بسبب الحرب.

قالت وهي تُشـكّل كرات اللحم الدنماركية لوجبة العشـاء: «لقد أتى إلى هنـا منـذ يوميـن وقال إنه ينام في أحد المسـتودعات في غراندي. كما قال إنه سـيحصل قريباً على بعض المال وعندها سـيكون بوسـعه أن يُسدد ما يدين به لي. لقد كان ذلك الشـاب المسـكين مشوشـاً للغاية، وقلت له إنه لا يدين لي بشيء، ولا بقشة».

42

ذهب ثورسـون إلى مكان الغسـيل، كانت الشراشف البيضاء تتطاير على الحبال خلف المنزل، وكان هناك دلو فارغ على العشـب. خرج من سـيارته، ومشـى باتجـاه الغسـيل وراقـب المنظـر الـذي يطـل على خليج فاكسـافلوي وسُـحب الصيـف البيضـاء التـي كانت تتكاثف فوق البحر. تذكّر كيف سُـحر بالمناظر والضوء حين أتى إلى آيسلندا للمرة الأولى ولكن الصمت والهدوء هما ما جذباه في الواقع، فالمرء يشـعر بهما بمجرد أن يغادر المدينة، وحتى هنا في الضواحي حيث تطايرت الشراشف في السماء الصافية.

لـم يبـدُ أن هنـاك حركة في المنـزل. طرق الباب ثم دخل وناداها، ولكن أحـداً لـم يـرد علـى ندائه. وقف هناك في حيرة من أمره وعاين أكوام الغسـيل المتسـخ وفكّـر أن فيـرا قصّـرت مؤخراً في عملهـا. وعندما ظن أنها لن تتأخر في المجيء، سمع ضجة في الأعلى، فرآها تنزل الدرج وتوقفت في منتصف الطريق لتنظر إليه.

«أنت مجدّداً؟».

قال: «عذراً، هل أتيت في وقت غير مناسب؟».

«نعم... لا. شعرت فجأة بالتعب فصعدت إلى الأعلى لأخذ قيلولة».

«أنا آسف، لم أقصد...»

قالت: «لا عليك»، ثم نظرت إلى العلّية قبل أن تكمل طريقها إلى الأسفل، «ماذا تريد؟ اعتقدت أنني أجبت على كل أسـئلتكما، لا أعرف شـيئاً عما حل بإيفيندور لذا فلا فائدة من سؤالي».

قال ثورسون: «أعرف هذا، أتيت لأخبرك أنك تستطيعين التخطيط للجنازة إذا كنت تريدين. لقد انتهى الطبيب من فحصه، أعرف أنك هجرته ولكن...»

«آه، فهمت، لا أعرف... لعل عمه بوسعه أن...»

«نعم، أعتقد أنه سيتّصل بك».

«نعم».

سأل ثورسون وهو يعاين مكان الغسيل: «هل سمعت شيئاً عن صديقك بيلي ويغينز؟».

«بيلي؟ لماذا؟ ما خطبه؟».

«هل لي أن أسأل إن كنتما متقاربين؟».

«متقاربين؟».

«هل سيكون صحيحاً إن وصفتكما بالمخطوبين اللذين يخططان للزواج؟».

نظرت إليه فيرا مطولاً وكأنها تريد معرفة السبب الحقيقي لزيارته وهدفه من السؤال عن علاقتها ببيلي.

قالت: «أنا وبيلي متقاربان للغاية، لا أعرف ماذا تريد مني أن أقول، لم نتناقش بخصوص الزواج، هل هذا ما تريد أن تعرفه؟ حسناً، لماذا تسألني عنه؟».

«لم يمضِ وقت طويل على تعرفكما إلى بعض، ربما عدة أشهر، وهذا يبرر أنكما لم تناقشا موضوع الزواج».

تناولت فيرا علبة سجائر من بين أكوام الغسيل وأشعلت سيجارة ونفثت الدخان، كانت سجائر أميركية ولكن هذا التفصيل لم يكن ذا قيمة بالضرورة.

قالت: «لم لا تدخل في صلب الموضوع؟ لماذا أتيت؟ لقد أخبرتك بكل ما أعرفه».

«هل أخبرتني بكل ما تعرفينه؟».

حدّقت فيرا إلى ثورسون وهي تدخن سيجارتها ولم تنبس ببنت شفة.

سأل: «هل كنت تعرفين أن بيلي أُرسل إلى هفالفيوردور لعدة أيام؟».

عرف ثورسون أن وحدة بيلي أُرسلت برفقة وحدتين أخريين للعمل على بناء الثكنات ومنشآت الميناء في القاعدة البحرية في هفالفيوردور. ولم يقرر بعد هل سيطلب التحقيق مع الرقيب ويغينز أم لا.

أجابت فيرا: «نعم، أخبرني أنه ذاهب».

«هل أخبرك أيضاً أنه تشاجر بسببك مع أحدهم في فندق آيسلند؟».

«بسببي؟! لم يسبق له أن أخبرني، ماذا حصل؟».

«قابل بعض الجنود الشبان -واعتاد اثنان منهما أن يمرا أمام منزلك كل يوم وتحدثا عنك بالسوء. قالا إنك على علاقة مع جندي أميركي».

قالـت فيـرا: «هـذا افتـراء، لا يكف الناس عن الحديث، ولكن لا يفترض بالشخص العاقل أن يصغي للنميمة والشائعات، لا أعرف أي جندي أميركي. في هذه المدينة، لا يكف الناس عن إطلاق الشائعات على مدار الساعة. أنت لا تخبرني أنك صدقت الشائعات؟».

«لم أصدق، ولكن إيفيندور قُتل بسـلاح أميركي، يمكن لأي شـخص أن يمتلك سلاحاً كهذا بالطبع إن سعى إلى ذلك، هناك سوق سوداء لهذه الأشياء بالقـرب مـن ثكنـات قـوات الدفاع، فـي الواقع أردت أن أطرح عليك سـؤالاً محدّداً: هل أنت على علاقة بالجنود؟».

وبعد قليل أضاف: «أردت أن أسألك إن كان هذا صحيحاً؛ أي هل أقمتِ علاقة مع القادمين الجدد فعلاً».

أجابت فيرا: «ما هذا الهراء، بالطبع لا».

بعد برهة، لاحظ أنها فهمت ما كان يُلمّح إليه. بدا ردّ فعلها صادقاً ولكنه توجّه إلى الشرق حيث مسرح جريمتها السابق، واكتشفت أن الصدق لم يكن إحدى صفاتها.

تبادلا النظرات وعرف أنها فهمت ما يريده.

«مهلاً... أنت لا تشك في أن إيفيندور قُتل على يد أميركي يفترض بي أن أكون على علاقة معه أليس كذلك؟».

لم يجبها ثورسون، بل فكّر في الحداد ولقاءاتها به في ورشة الحدادة. وعلى الرغم من أن اهتماماته لم تصب في هذا المجال فقد استطاع أن يفهم لِمَ وقع الرجل في غرامها وكيف استطاعت التلاعب ببيلي ولماذا لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً قبل أن توقع الجندي الأميركي في شباكها لحظة نزوله عن سطح السفينة، إن كانت خطّطت فعلاً لذلك. لقد فعلت كل شيء حسب شروطها، ولكن السؤال الذي يفكر فيه ثورسون ما هو المدى الذي يمكن أن تبلغه كي تنال ما تصبو إليه.

أخيراً سألها: «أليس هذا ما حدث؟».

ردّت فيرا: «هل أصابك خطب ما؟ هل فقدت صوابك؟».

«ماذا عن إيفيندور؟».

«ما به؟».

«ألم يكن يكبح جماحك؟».

قالت فيرا: «لقد هجرته، لم يكن يكبحني، ولا أعرف ما تقصده بعبارة يكبح جماحك. مللت منه، هذا كل ما في الأمر. لقد هجرته وليس لديّ شيء لأضيفه».

قال ثورسون: «هجرته مثل اللصوص في منتصف الليل، ولم تقولي له شيئاً. لقد صادقتِ جندياً بريطانياً وقابلته في الأوقات التي كان إيفيندور يسافر فيها. هل تظنين أنك كنت تتصرفين بنبل؟».

«لا شك في هذا، لم أستطع الاستمرار معه،... لا أعرف ما يجدر بي أن أقول، برأيك ما الذي كان يفترض بي أن أقوله له؟ لم يرغب في تطوير نفسه، وأنا لم أفهم ذلك إلا بعد مضي وقت طويل. وإذا كنت تعتبر علاقتي

بـه خطـأ، فأنـا أُقـر بالخطأ، وبالفعل ندمت على تلـك العلاقة منذ اليوم الأول الذي انتقلت فيه للعيش معه. ما كان إيفيندور سيتحمل الحقيقة لذا لم أخبره».

«ولكنه تبعك في جميع الأحوال؟».

«نعم».

«وأتى ليراك هنا؟».

«لم يتقبّل الحقيقة، مع أنه كان يعرف أن العلاقة انتهت. فأنا أخبرته أنها لم تكن ذات أرضية راسخة منذ البداية».

«وماذا فعل بعدها؟ هل تركك وشأنك؟».

«ماذا تقصد؟».

«أردتِ التخلّص منه».

«التخلّص منه؟ لا، فأنا تخلّصت منه عندما هجرته».

«أخبريني عن ردّ فعل وينغز على الأمر؟».

«أيّ أمر؟».

«مجيء إيفيندور إلى هنا؟ ومضايقتك؟ وتوسلك العودة إليه؟».

«لم يعرف».

قال ثورسون: «لعلها كانت فكرة بيلي».

«أي فكرة؟».

«هل أقنعت بيلي ويغينز بفكرة ردع إيفيندور؟».

«ما الذي ترمي إليه؟».

«أم توصّل إلى الفكرة بمفرده؟ سمعت أنه غيور وعصبي، ماذا أخبرته عن إيفيندور؟ كيـف وصفـتِ علاقتكما؟ هل أخبرتـه أن إيفيندور لا يريد التخلي عنك؟ وهل طلبتِ منه أن يتخلص منه أولاً قبل أن ترتبطي وإياه بعلاقة؟».

«بالله عليك، من تحسبني؟ أين سمعت هذا الهراء؟ مع من كنت تتحدث؟ منـذ لحظـة قُلـت إنني طلبت من جندي أميركي أن يطلـق النار عليه! لماذا لا

تستقر على رأي؟ أنت جريء للغاية بما أنك أتيت إلى هنا واتهمتني تهماً باطلة».

قال ثورسون: «أعرف رجلاً تعذّب بسببك، يعيش في الريف وحيداً مع كلابه. لقد حذّرني منك وأخبرني أنك تستطيعين التلاعب بالرجال، وحذّرني أن أصدقكِ».

حدّقت فيرا إلى ثورسون وسألته: «من هو هذا الرجل؟».

«أظنك تعرفينه بالقدر نفسه الذي تعرفين فيه ورشة الحدادة التي يمتلكها».

بدت مندهشة وهي تسأله: «هل ذهبت وقابلت ذلك الرجل؟».

قال ثورسون: «يقول إنه لم يكفّ عن التفكير فيك بالرغم مما حصل».

43

فجأة بدت فيرا مثل حيوان محاصر. أدهشها كلام ثورسون عن الحداد، فأمسكت بدلو من الثياب النظيفة وخرجت مسرعة وكأنها ما عادت تطيق صبراً أن تبقى محاصرة. تبعها ثورسون ورأى أنها بدأت بنفض الثياب الرطبة. بدأت الشمس تسلّط بساطاً من الأشعة الذهبية على الأرض في الغرب.

سألته: «كيف حاله؟».

قال ثورسون: «ليس بخير مطلقاً».

«ماذا... ماذا قال لك؟».

«لم يذكركِ بالخير».

«ماذا قال؟ أخبرني فقط ما قاله».

«أخبرني عن الطريقة التي استخدمته بها، وعن حلمك بالهروب إلى المدينة، وأنه لم يكن سوى الوسيلة التي تبررين من خلالها غايتك. لقد أغريته ولم يكتشف ما كان يدور في ذهنك إلا بعد فوات الأوان، لديك سمعة سيئة هناك و...»

قاطعته وقالت: «من يكترث بهذا؟ من يكترث برأي أولئك الرعاع؟».

«لماذا تتحدثين عنهم بهذه الطريقة؟».

«لأنهم لا يكفّون عن الحديث عني بالباطل».

قال ثورسون: «هذا غريب، إن كنت سأحسن وصف شعورهم تجاهك أستطيع القول إنهم يشفقون عليك».

سألت فيرا: «هل تعرف لماذا قررت المغادرة؟ كنت أشعر بالحبل يطوق

رقبتي، لم أرد يوماً أن أكون زوجة مزارع، ولم أرد أن أمضي حياتي في خبز الفطائر وحلب الأبقار، وإذا كان هذا كل ما ستقدمه هذه الحياة فهي حياة غير مُنصفة. هذه الحياة لا تتيح للنساء سوى العمل مثل الدواب، وانتظار رجالهن البُلهاء، وإنجاب الأطفال، وعدم الجرأة على الحلم بأي شيء آخر».

«ولكنكِ مع ذلك أعلنت خطوبتك على ذلك المزارع؟».

«في البدء أوهمني أنه مثلي، يريد المغادرة ولم نتحدث في شيء آخر سوى ذلك، ولكن تبيّن لي أنه لا يعتزم المغادرة، وظل يماطل ويختلق الأعذار حتى لا يبيع المزرعة. كنا نتشاجر دائماً، وعندما تأكدت من مماطلته هددته بالهجر فقال لي: بالتوفيق، ولكنني لن أسمح لك بالذهاب إلى أي مكان وكأنّ لديه الحق بأن يملي عليّ ما أفعله!»

«لذا قررت أن تفعلي شيئاً حيال هذا الموضوع؟».

«لقد... أردت...»

«أن تريه أنك تستطيعين اتخاذ قراراتك بنفسك؟».

أسقطت فيرا القميص الذي كانت تمسك به في الدلو، ثم واجهت ثورسون الذي كان يقف قرب باب مكان الغسيل.

قالت: «لا أعرف ماذا قال لك، ولكنني لم أتعمّد أن أؤذيه. أعرف ما حصل وأعرف الطريقة التي يفكر فيها بشأني -الطريقة التي يفكرون بها بالأحرى- ولكنني لم أرد أن يسفر الأمر عن هذا، لا أستحق كل اللوم، لقد كان طرفاً مساهماً في هذا، أي مثلي تماماً».

«قال إنك تلاعبتِ به وتلاعبتِ بمشاعره واستخدمتِه لتنالي من خطيبك ثم رميته كالقمامة».

«هل هذه كلماته؟».

«قال إنك خدعته».

قالت فيرا: «أليس هذا لأنه أراد أن يُخدع؟ وعندما لم تكن النهاية بحسب

مـا يريـد أصبحت أنا المخطئـة الوحيدة؟ والملامة الوحيدة؟ عرف أنني كنت مع رجل آخر وعرف أنني أخونه ولم يردعه هذا، لا أقول إن فعلتي لا تستحق العقاب ولكنني لست... كنت غاضبة، أردت النيل من خطيبي وأعترف بهذا، أعتـرف أن نوايـاي لـم تكـن واضحـة تماماً، وكان بوسـعي التصـرف بطريقة مختلفـة، ولكـن مـن الذي خُدع؟ لمـاذا كل هذا الكلام عن الخداع؟ لقد كان يعرف ما يفعله. كيف تعرف أنه لم يكن راغباً بأن يُخدع؟ أو أنه لم يكن يسعى وراء غاية؟ أراهن أنك لم تطرح عليه مثل هذا السؤال».

وقفت فيرا أمامه، وحدّقت إليه بحزم وعندما نظر إلى عينيها لم يَرَ سوى عزيمة لا تلين. تساءل إن كانت هذه القوة هي ما جذبت الحداد إليها، ولاحظ ثورسون أيضاً غضباً متصاعداً وموجهاً إليه ولكن لم يخطر في باله أن يواسيها.

قال: «يعتقد إنك هربت من هذه الفوضى لأن هذا ما كنتِ تخطّطين له منذ البداية، وعندما نفذتِ خطّتك ذهبت دون سابق إنذار، مثلما هجرت إيفيندور ومثلما ستهجرين بيلي ويغينز».

اكتفت فيرا من هذا الكلام، وضاقت ذرعاً وانتهى مفعول رباطة الجأش التي كانت تحافظ عليها، فبصقت في وجه ثورسون.

وقالت مزمجرة: «اصمت».

عرف ثورسون أنه استفزها، ولكنه لم يتوقع أن يقابل برد الفعل العنيف هذا، مسح وجهه بكمه.

هسهست وقالت: «أتظنني لا أعرف؟».

«ما الذي لا تعرفينه؟».

«ما تحاول فعله؟ وما تحاول تحقيقه؟ هل تظنني عمياء؟».

«ماذا؟ ما الذي أحاول أن أحقّقه؟».

«يجدر بك أن تتركني وشأني».

«أو ماذا؟».

«أنا لم أرتكب أي خطأ».

سأل ثورسون: «ماذا قلتِ لويغينز؟ هل اشتكيتِ له من أن إيفيندور يُشكّل عائقاً أمام علاقتكما؟ وأنه لم يتقبل قرارك، ولم يتركك وشأنك؟ ماذا قلتِ له؟ هل قلت لها أن يأخذه لاصطياد السمك ويعود بمفرده؟ وأن الحوادث كانت شائعة؟ هل دار هذا الحوار بينكما؟».

أشاحت فيرا بوجهها وقالت: «لم يكبح صديقي نفسه أليس كذلك؟».

قال ثورسون: «لا، لم يمدحك كثيراً».

قالت: «ما تقوله لا يعدو كونه هراءً لعيناً».

تابع ثورسون دون رحمة: «هل كان ويغينز سعيداً بمساعدتك؟ هل جلستما هنا وتباحثتما في الطريقة المثلى لقتل إيفيندور؟ هل كانت فكرتكِ أم فكرته؟ هل أخبرك بخطته؟ أم تصرف من تلقاء نفسه؟ ولم يكن عليك سوى أن تفردي بطاقاتك على الطاولة ليتكفل هو بالباقي؟».

ضحكت فيرا بخبث وقالت: «أنت تتصرف بسخافة الآن».

«حقاً؟».

«هل تعتقد أنني لا أعرف حقيقتك؟ هل تعتقد أنني لن أتعرف إليك؟».

لم يفهم ثورسون قصدها في الحال.

قالت وابتسمت ابتسامتها الخبيثة: «إن النساء أمثالي... يمكننا أن نشتم الأمر على بعد أميال، نشعر به حالاً، أنا محقة أليس كذلك؟».

«ماذا؟».

«بخصوصك، بخصوص هويتك، أنت لا تهتم بالنساء، أليس كذلك؟ لم يثرن إعجابك يوماً، أليس كذلك؟».

بدا الارتباك على ملامح وجه ثورسون.

قالت وهي تتقدم خطوة: «هل هذا كل ما في الأمر؟ هل أثارك في ورشة الحدادة؟ ليس قبيحاً بالنسبة إلى شاب مثلك».

أدرك ثورسون أخيراً ما الذي كانت تُلمّح إليه. رأته يرتعش مع أنه حاول أن يخفي هذا وعرفت أنها لمست موضوعاً حساساً.

قال: «لقد لمّحت له أليس كذلك؟ لمّحت إلى أنه يستطيع التخلص من خطيبك إذا غادرا معاً لاصطياد السمك؟».

سألت: «لمَ لا تجيبني أولاً؟ لا تريد التحدث؟ هل أنت محرج؟».

قال ثورسون: «لا تجلب النساء اللواتي مثلك سوى المتاعب. أفهم أنك أردت الهرب من الريف، وأنك تحبين الجنود لأنهم يبدون وكأنهم تذكرة للهرب من الفقر والشقاء. أفهم أنك أردت أن تكوني مستقلة حيث ينتاب نساءً كثيراتٍ هذا الشعور، ولكنهن لا يتعاملن مع الموضوع وفقاً لطريقتك، فمعظمهنّ لا يحتجن أن يحبكن حيلاً صغيرة، فهن لا يحتجن سوى أن يكنّ على سجيتهنّ، إن النساء أمثالك...»

لم ينهِ ثورسون الجملة لأنه قال ما أراد قوله، لم يكن من حقه أن يحكم عليها فهو ندم فعلاً على ما قاله ولكنه تعمّد استفزازها في المقام الأول، لقد أتى إلى هنا ليفهمها أكثر وليكتشف ما كانت قادرة عليه وحصل على ما يكفيه من أجوبة.

«إذا كانت لك ولبيلي ويغينز يد في مقتل إيفيندور فسنكتشف هذا».

«اطمئن، ليس لنا علاقة، ألا يمكن لعقلك المنغلق أن يفهم هذا؟ لا تتجرأ وتحاول أن تلصق التهمة بي، لا تتجرأ على هذا».

قال ثورسون: «حسناً، سأرى ما سيقوله ويغينز، وبعدها سأتحدث إليك».

قالت بغضب: «اغرب عن وجهي»، وأولته ظهرها وشرعت تنفض الغسيل اللعين مجدّداً.

44

تعرّف دانييل، وهو أحد العمال في ورشة لتصليح السفن، إلى يوسيب، رفع الرجل نظارته عن أنفه، وأخبر فلوفينت أن يوسيب يأتي أحياناً إلى الورشة ليحتسي بعض القهوة، ولطالما كان مهذباً، وقليل الكلام. لقد سُرّ العامل بأخذ استراحة، وأخبر فلوفينت بكل ما يعرفه عن يوسيب وقال، إنه حزين لرؤية شاب بهذا العمر في الدرك الأسفل. كان مخلوقاً غير مؤذٍ وتعوّد أن يمر عليهم في طريقه إلى المدينة. كان محور حياته التسكع على غير هدى. بعدها أنزل الرجل نظارته وتابع عمله.

لم يستطع العمال في الورشة الجديدة أن يواكبوا تهافت طلبات الترميم والإصلاح. تأمل فلوفينت المركبات البحرية رمادية اللون البريطانية والأميركية التي كانت تركن في الميناء الخارجي، وكانت ترافقها البوارج الآيسلندية وقوارب الصيد، صغيرها وكبيرها. لم ينجُ الأسطول الآيسلندي من تحركاته في المحيط في وقت الحرب. في تلك الأيام، كانت هجمات الغواصات أمراً شائعاً وفي ذلك الربيع على وجه الخصوص فقد كثير من البحارة الآيسلنديين حياتهم حين قُصفت السفن واحدة تلو الأخرى، ومؤخراً نُسفت الناقلة هيكلا جنوبي غرينلاند وهي في طريقها إلى أميركا وأخذت معها أرواح أربعة عشر رجلاً، وكلما أبحرت سفينة كان الناس يعرفون أن الرحلة ستنتهي بمأساة، لقد قرأ فلوفينت بعد غرق هيكلا أن الطواقم الآيسلندية كانت تصر على أن تسيّر كل الرحلات بحماية قوافل الحلفاء.

في الوقت الذي مشى فيه قرب ورشة تصليح السفن باتجاه غراندي

مرت قربه وحدة دراجات نارية بريطانية وتعالى صوت هدير قوي، واختفت باتجاه وسط المدينة. وعلى مسافة أبعد رأى مستودعاً قديماً حيث كان هناك شاب ملتح ويرتدي معطفاً شتوياً، ولكن من دون قبعة وكان ينحني فوق غطاء مهترئ، ويحاول أن ينفض الغبار عنه عن طريق ضربه بجدار المستودع. سأله ثورسون إن كان هو يوسيب، فتفاجأ الرجل وبدا متمنعاً عن الإفصاح عن هويته. بدا مرتاباً من التحدث إلى فلوفينت، ولعله ظنه مالك المستودع، لكنه استرخى قليلاً عندما اكتشف أنه مُخطئ. شرح فلوفينت أنه يود التحدث إليه فحسب فتكلما قليلاً عن السفن في الميناء وعن مخاطر الإبحار في هذه الأيام، ثم تحول الحديث إلى ورشة دانييل وقال يوسيب إنه كان لديه بعض الأصدقاء هناك، فسأله فلوفينت إن كان يود أن يعمل في الورشة ولكن يوسيب قال إنه لم يفكر ملياً في الأمر.

وعندما لاحظ أن فلوفينت يخاطبه باسمه سأله: «ولكن... كيف تعرف من أكون؟».

قال فلوفينت بشكل مختصر قدر الإمكان إنه من الشرطة وأتى ليتحدث إلى يوسيب كجزء من تحقيقه حول مقتل رجل اسمه إيفيندور وربما استطاع يوسيب أن يتذكره من أيام المدرسة. لاحظ فلوفينت تنبه المتشرد عندما سمع كلمة شرطة فسارع إلى طمأنته، لقد أراد أن يسأل يوسيب إن كان بوسعه المساعدة في البحث عن قاتل إيفيندور.

قال يوسيب: «لا، هذا مستحيل، لا أعرف شيئاً عن الموضوع، إطلاقاً».

«تعرف أنه قُتل أليس كذلك؟».

«نعم، نعم، ولكنني لا أعرف شيئاً عن الموضوع حقاً».

«متى كانت المرة الأخيرة التي رأيت فيها إيفيندور؟ هل رأيته منذ فترة قريبة؟».

قال يوسيب: «لا أتذكر ولا يمكنني مساعدتك، لا يمكنني مساعدتك

أبـداً، لـم لا تتركنـي وشـأني؟ أنام هنا أحياناً ولكننـي لا أعترض طريق أحد و...»

قال فلوفينت عندما رأى مقدار توتر الرجل: «لا تقلق يا يوسـيب، لسـت هنا لاعتقالك، لا أريد سوى التحدث إليك. لستَ في مأزق، ولا يُفترض بك أن تخاف. كل ما في الأمر أنني تحدثت إلى موندا التي تقدم لك الطعام بين الحيـن والآخـر، وقالـت لي إنك كنت تخطط لأن تـرد لها الجميل قريباً على كل فضائلها. هل تستطيع أن تخبرني كيف كنت سترد لها الجميل؟ هل أصبح لديك عمل؟ من أين كنت ستحصل على المال لتدفع لموندا؟».

«هل هذا ما قالته موندا؟».

«نعم».

قال يوسـيب بحزم: «لا أملك مالاً، ولـم يسـبق لي أن امتلكته، لا أعرف ما تقصده، أرجوك يا صديقي، اتركني وشأني».

قال فلوفينت: «قال إيفيندور إنه سيحصل قريباً على بعض المال، ولكن أحداً لا يعرف من أين كان سـيحصل عليه، هل تسـتطيع أن تخبرني شـيئاً عن الموضوع؟».

«لا، لا أستطيع مساعدتك».

«في آخر لقاء لك مع إيفيندور هل أخبرك شيئاً عن التجارب التي خضعتما لها في المدرسة؟ هل تتذكر هذا؟».

«لا، لا أتذكّر».

«هل تتذكّر التجارب؟».

أجاب يوسيب بحزم: «كلا».

«هل أنت متأكد؟».

«نعم».

«ألا تعرف التجارب التي أتحدث عنها؟».

«لا أستطيع أن أتذكر أيّ... تجارب، لا أتذكر».

عندما رأى فلوفينت أنه لن يصل إلى أي مكان بهذه الطريقة قرر أن يغير اتجاهه، على الرغم من صعوبة هذه الطريقة، فهو لا يريد من يوسيب سوى أن يتعاون معه.

قال: «أنت لا تسهّل الأمر عليّ يا يوسيب أليس كذلك؟ اعتقدت أننا سنجري محادثة قصيرة بمفردنا، ولكن عليّ الآن أن آخذك معي إلى بوسثوستريتي وأضعك في زنزانة وأرى إن كنت ستتعاون معي».

لم يبدِ يوسيب أيّ ردّ فعل.

«يبدو أن إيفيندور سمع عن هذه التجارب من أحد زملائه في المدرسة، من فيلكس لاندين، هل تتذكره؟».

لكن يوسيب رفض التعاون بعد أن هدّده بزجه في السجن.

«كان والده رودولف لاندين هو المسؤول عن التجارب، وكانت هناك ممرضة متورطة في هذا الأمر أيضاً ولعلك تتذكرها، إنها تدعى برينهيلدور هولم، كما كان الناظر إيبينسير متورطاً في الأمر أيضاً، هل أخبرك إيفيندور بكل هذا؟».

أشاح يوسيب بوجهه.

«لقد استمر إيفيندور في طرح الأسئلة عما جرى، يبدو أنه اكتشف الأمر».

أشاح يوسيب بوجهه مجدّداً.

سأل فلوفينت وهو يتناول من جيبه الصورة التي التقطت منذ زمن طويل في المدرسة: «ماذا فعل والدك؟».

نظر يوسيب إلى الأسفل.

«لقد تحققت بسرعة من ماضيك؛ كان كلّ من والدك ووالد إيفيندور يعرف الآخر أليس كذلك؟ لقد سجنا معاً أليس كذلك يا يوسيب؟».

تمتم يوسيب بصوت ضعيف لدرجة أن فلوفينت بالكاد سمعه: «نعم».

«لـم تكـن تلـك المـرة الوحيـدة التي يمكـث فيها خلف القضبـان أليس كذلك؟».

همس يوسيب قائلاً: «لا، لقد كان... وغداً».

«هـل أخبـرك إيفيندور أن فيلكس ورودولف لاندين ارتكبا جريمة وأنك كنت إحدى ضحاياها؟ وأنّ بوسعكما أن تبتزاهما؟».

أشاح يوسيب بوجهه.

«هذا الأمر غاية في الأهمية يا يوسيب».

بدا أن الأسئلة أقضت مضجع يوسيب، ولكن لم يكن لدى فلوفينت من خيار سوى متابعة الضغط.

«هل كتبت رسالة لرودولف تهدّده فيها أنك ستفضحه ما لم يدفع فدية؟ هل أخبرته أن يترك المال قرب بوابة المقبرة في سودورغاتا؟».

«لا... لم يكن...»

«هل كتبت الرسالة يا يوسيب أم لم تكتبها؟».

همـس يوسـيب: «طلـب منـي إيفينـدور أن أفعل هذا لأنـه لم يجرؤ على القيام بذلك. كان جباناً، وقال إن عليّ كتابة الرسالة وأخذ المال وأفعل الباقي، لقـد فعلـت مـا طلبه مني، ووعدنـي أن يعطيني نصف المبلغ، ولكن المال لم يأتِ، ثم... ثم قُتل، ولكن لا علاقة لي بمقتله».

«ماذا قال يا يوسيب؟ ماذا قال لك إيفيندور؟».

أجـاب يوسـيب وهـو ينظـر إلـى الأرض: «كان يحتاج إلى المال بسـبب تلك... المرأة. حين هجرته اعتقدَ أنه سيكسـب ودّها مجدّداً إذا حصل على بعض المال. قال إنه يستطيع الحصول على المال من أولئك الناس. لقد أملى عليّ ما أكتبه وهذا ما فعلته ولكن... لم يحدث شيئاً».

«علـى حـدّ علمـك هل أراد التحدث إلى فيلكـس؟ كان بحوزة إيفيندور مفتاح شقة فيلكس، هل تعرف كيف حصل عليه؟».

«سرقه في إقليم المضايق عندما كان فيلكس ثملاً».

«ما الذي أراد أن يفعله بالمفتاح؟».

«يقتحم شقته و...»، لم يكمل يوسيب.

«ماذا؟».

«ظن أن فيلكس يحتفظ بالمال في شقته».

«ما الذي جعله يظن ذلك؟».

«لأنه كان يعمل لصالح الألمان. هذا ما اعتقده إيفيندور، لقد ذهب ليجد إثباتاً».

«وهل كان سيبتز فيليكس أو يفضحه؟».

«لا أعرف، كان واثقاً بأن فيليكس جاسوس، كان يتجسّس علينا، وأصبح الآن يتجسّس لصالح النازيين. وصفه إيفيندور بالنازي اللعين».

«وهل أراد إيفيندور أن يثبت كل هذا عن طريق اقتحام شقته؟».

«نعم».

«ماذا قال لك عن التجارب؟».

«وصفها بأنها غير قانونية وبأنها جرت في السرّ، وأنهم لم يريدوا أن يعرف أحد بفعلتهم هذه، ولكن فيلكس كشف المستور. قال إيفيندور إن فيلكس تعوّد التجسّس علينا عندما كنا صغاراً، وكان يخبر والده بكل شيء. ادّعى أنه صديقنا لكنه كان جاسوساً في الحقيقة، لذلك لم يجد ضيراً في جعلهم يدفعون ثمن ما اقترفوه. لقد كانوا يدينون لنا بكثير من المال وخصوصاً...»

«خصوصاً ماذا؟».

«خصوصاً والدة ريكي؛ طلب مني إيفيندور أن أذكر ريكي تحديداً في الرسالة».

«ريكي؟ من هو ريكي؟».

مجدّداً، التزم يوسيب الصمت فانتظره فلوفينت ولكنه لم يتابع. قرّب

صورة المدرسـة وسـأله إن كان يتعرّف إلى الأشـخاص فيها. في البداية، ظل يوسـيب ينظـر بعيـداً، وعندمـا وضع فلوفينت الكتيب في يـده نظر إليه أخيراً. وسرعان ما أشاح بوجهه مجدّداً، وبدا أنه يحاول استجماع قوته مجدّداً فعاينه عن كثب.

«ماذا حدث لريكي يا يوسيب؟».

تـردّد يوسـيب للحظـة، ثـم وضـع إصبعـه على صـورة الفتـى الرابع في الصورة.

قـال: «هـذا هـو ريكـي. لطالما تنمّر عليـه فيلكس وقال إنـه نحيل ولديه رأس صغيـر وأنـه غبـي... ليـس هـذا كلاماً جديداً، فهـو كان يقول ذلك على الدوام عنا».

«ينتقد غباءكم؟».

أومـأ يوسـيب وقـال: «حـاول فيلكـس أن يحظـى بإعجـاب والـده. لقد تحدثـتُ وإيفينـدور عـن هـذا بعد أن اكتشـف أمر التجارب وكيـف كان يأمر رودولـف فيلكـس بـأن يتصـرف هكذا، لأنه أراد أن يرى ما يمكن لفيلكس أن يملي علينا فعله».

«ماذا طلب منكم أن تفعلوا؟».

«قدّم فيلكس حبة دواء لريكي قال إنها من الطبيب، وقال له إنها آخر تطور علمـي، وأنهـا تُتيـح للناس الطيران وخصوصاً الأطفـال النحلاء، مثل ريكي، الذين لم يكن وزنهم ثقيلاً».

«ماذا حصل؟».

«صدّقه ريكي».

45

نقر بيلي ويغينز بأصابعه على الطاولة أمامه، وهو يدخن بشكل لا مبالٍ؛ لقد قرر ثورسون أن يطلبه من هفالفيوردور حيث كان يعمل في بناء القاعدة البحرية في هفايتنز. لم يُبدِ الرقيب مقاومة، ولكنه تفاجأ، وأراد أن يعرف لماذا استدعي إلى ريكيافيك، طلب شرطيان منه أن يتحلى بالصبر، لأن كل شيء سيُشرح له في أوانه. لذا، رافق الشرطيين العسكريين إلى سيارتهما بهدوء، وجلس بصمت طوال الطريق إلى المدينة.

وعندما وصل اقتيد إلى غرفة تحقيق كانت تحت إمرة الشرطة العسكرية في معسكر الاعتقال في كيركيوساندور، قَبِل كوب القهوة الذي قُدم له، وأعطاه أحدهم سيجارة لأنه أنهى سجائره في الطريق إلى ريكيافيك. كان يطفئ سيجارته عندما دخل ثورسون إلى الغرفة، وجلس على الكرسي المقابل، تعرف ويغينز إلى ثورسون من زيارته إلى مكان الغسيل، ولكنه لم يبدُ متفاجئاً برؤيته، واكتفى بالابتسام، ثم قوّم ظهره وأبعد سحابة من الدخان الأزرق.

قال: «عرفت أن هذا ما سيحصل، هل تستطيع أن تُخبرني عن السبب؟».

سأل ثورسون: «ما الذي عرفته بالضبط؟».

قال ويغينز: «إنني سأقابلك مجدّداً، هل كان جلبي من هفالفيوردور ضرورياً؟ هل كنت تحاول إحراجي فحسب؟ وإيقاعي في مشاكل؟ كنت بين مجموعة كبيرة من الناس عندما اقتادتني الشرطة».

قال ثورسون: «نعم، كان هذا ضرورياً؛ علينا أن ننهي هذا التحقيق ونحن نظن أننا على وشك أن نكتشف شيئاً مهماً، لقد ورد اسمك أكثر من مرة مع

اسم فيرا وإيفيندور وأردتُ التحدث إليك...»

قاطعه ويغينز سائلاً: «هل ستقبض عليّ؟ هل أنا رهن الاعتقال؟».

«لا، لست رهن الاعتقال، هل تستطيع أن تخبرني أكثر عن علاقتك مع فيرا؟ وما هي خطتكما للمستقبل؟ هل تناقشتما في الأمر؟».

«ليس لي علاقة بذلك الرجل، ولم ألمسه. أظنني وضّحت الأمر في المرة الأخيرة عندما التقينا. لم أعرفه ولم يسبق لي أن قابلته، لقد قررت فيرا أن تهجره من تلقاء نفسها. تحدث هذه الأمور في العادة، كل ما في الأمر أنني ساعدتها على الانتقال، ولا علاقة لنا بمقتله. كثيرون هم الأزواج الذين ينفصلون ولا يقتل أحدهم الآخر».

قال ثورسون: «بالطبع، ولكن تاريخ فيرا يثير الشكوك. هل أخبرتك عن خطيبها؟ عن الرجل الذي كانت معه قبل إيفيندور؟».

قال ويغينز: «لم تخبرني، وأنا لا أهتم بماضيها».

«هذا يعني أنك لا تعرف ما الذي فعلته؟ وكيف انتقمت من الرجل عندما تراجع عما وعدها به؟».

أشاح ويغينز رأسه ولم يبدُ مبالياً بسؤال ثورسون.

«هل تريد أن تعرف ما حصل؟».

أجاب ويغينز: «هذا ليس من شأني».

قال ثورسون: «لفيرا تاريخ بالتلاعب بالرجال، وخصوصاً أمثالك يا ويغينز».

«لا أشك في ذلك وخصوصاً إن كانت امرأة بمواصفاتها. لا بدّ أنهم كانوا يقفون بالصف طلباً لودّها». ابتسم ويغينز بخبث كاشفاً عن أسنانه.

«هل ترغب بمرافقتك إلى إنكلترا بعد انتهاء الحرب؟».

«ما هذا السؤال؟ لِمَ لا تدخل في صلب الموضوع؟ لا علاقة لك بما نفعله أو نخطّط له، لمَ لا تتركنا وشأننا؟».

«هل تستطيع أن تخبرني أكثر عن المرة التي...؟».

اقترب ويغينز من الطاولة وقال بعد أن انحنى: «لا تمتلك دليلاً يدينها أو يديننا، لذلك تطرح هذه الأسئلة الغبية. وجدتَ نفسك محاصراً في الزاوية لذا تحاول أن تشق طريقك لتتحرر منها، وأنا أؤكد لك أنك لن تستفيد منا بشيء. لذا أنصحك أن تتركنا وشأننا وتُركز على عملك».

تابع ثورسون من دون تردّد: «هل تستطيع أن تخبرني عن الشجار خارج فندق آيسلند؟ أعرف أنه لم يعجبك تعليق قاله بعض الجنود عن فيرا، هل تستطيع أن تخبرني ماذا قالوا؟».

قال ويغينز بغضب: «سأغادر، ليس لديّ وقت لهذه الترهات».

نهض وانتظر أن يقول له ثورسون شيئاً أو أن يحاول إيقافه، ولكن ثورسون ظل جالساً وراقبه. حرّك ويغينز رأسه بما يشير إلى اشمئزازه واتجه صوب الباب.

قال ثورسون: «ألم يكن شيئاً له علاقة بأنها علاقة بجندي أميركي؟ علمت أن ما سمعته لم يُعجبك».

توقف ويغينز عند الباب، ونظر إليه وقال: «هذه كذبة، كذبة لعينة».

قال ثورسون: «في حال كانت كذبة لماذا تبدو غاضباً، إلا إذا... كلا، لا بد أنها لا تكذب عليك أليس كذلك؟ لماذا لا تثق بها؟ هل أنت واثق من أنك لا تريد معرفة كيف انتهى الأمر مع خطيبها؟».

تردّد ويغينز عند الباب، وبدا أنه لا يعرف ما يريد، كان ثورسون يعرف أن ويغينز غيور لذا ألقى له طعماً، ولاحظ أنه التقط الطعم. أخيراً، عاد ويغينز، ووضع يديه على الطاولة وانحنى فوق ثورسون.

قال وهو يكز أسنانه: «لم يكن هناك أي جندي أميركي. أعرف ما تفعله تماماً، لم يكن هناك جندي أميركي، هل تسمعني؟».

قال ثورسون وهو يحاول أن يظهر أنه لم يتأثر بتهديد الرقيب البريطاني:

«لقد قُتل صديقها الحميم بمسدس كولت 0.45 وهو مسدس أميركي يستعمله جنود الجيش الأميركي، هل تعتقد أنها طلبت مساعدة شخص آخر؟ شخص قابلته حديثاً؟ ولعله كان جندياً أميركياً؟».

حدّق ويغينز إلى ثورسون بغضب وقد احمرّ وجهه وأصبح بلون الدم، زمجر وقال: «لم يكن هناك جندي أميركي».

قال ثورسون: «لا أظنك ستجد صعوبة في الحصول على مثل هذا المُسدس؟ ربما تملك مسدس كولت، لماذا لا تجلس؟».

قال ويغينز: «أنا لا أملك مسدس كولت 0.45».

«هل تقصد أنك لا تستطيع الحصول عليه إن رغبت في ذلك؟ أعرف أن قوات الدفاع لديهم سوق سوداء نشيطة».

قال ويغينز وهو يحاول أن يحلل الأمور: «لماذا أطلق النار على ذلك الرجل، خصوصاً بعد أن هجرته. لماذا أخاطر بحياتي من أجل شيء لا قيمة له؟».

«ربما أخبرتك أن إيفيندور لن يتركها وشأنها، وأنها لن تكون حرة تماماً فتَعقبته. اعتقدتَ أنه يعيش في شقة القبو لأنه فتح الباب بالمفتاح لذا انتهزت الفرصة، فدفعته وأرغمته على الركوع قبل أن تُطلق النار عليه، ولكنه لم يكن يعيش هناك. كان يزور صديقاً قديماً له، وبالطبع لم تكن تعرف ذلك، ولكنك استفدت من فكرة أن الجريمة ألصقت بصديقه، وظننت أنك نفدت بجلدك».

جلس ويغينز على مقعده مجدّداً وقال: «ما الذي تقوله؟ أنا لم ألمس الرجل ولم أقتل أحداً. لقد قبلتْ فيرا به لأنها كانت تحتاج إلى مكان تعيش فيه عندما وصلت إلى المدينة، وكان هذا هو السبب الوحيد. هي لم تُحبه، وهذا ما قالته بنفسها. ثم قاد شيء إلى شيء آخر وانتقلت. لم يكونا مغرمين، لم يكن الأمر كما تعتقد».

«بالطبع لم ترتكب هذا الفعل القذر بنفسك، لذا حتى لو كانت لديك

حجة غياب -في الحقيقة نحن نتحقق من هذا- فنحن لن نعتد بها».

«ما الذي تريد الوصول إليه من تحليلك هذا؟».

«ربما كان لديك بعض الأصدقاء في الجيش الأميركي، وربما تعرف شخصاً يقبل أن يسدي لك معروفاً مقابل المال مثلاً، ولعل أحد أصدقائك البريطانيين كان يدين لك بخدمة. إن الاحتمالات لانهائية».

«لا أفهم لم لا تتركنا وشأننا، نحن لم نقترف شيئاً».

قال ثورسون: «سنرى».

«نحن لا نخفي أسراراً عن بعضنا. هذه هي الحقيقة، ولا تعجبني الطريقة التي تتحدث بها عنها. يجب أن تخجل من نفسك».

سأل ثورسون: «ماذا تقصد بأنكما لا تخفيان أسراراً عن بعضكما؟».

قال ويغينز: «أعلم بشأن خطيبها فهي من أخبرني لذا لا تتعب نفسك وتخبرني. أعرف لِمَ هجرته وكان لديها كل الحق في ذلك».

«حقاً؟».

قال ويغينز: «لقد كان يعاملها بطريقة سيئة، وتعوّد أن يضربها، وكان يحطّ من شأنها ويلحقها في كل مكان. لقد بذلت قصارى جهدها لتسعده، ولكنه ازداد سوءاً، لذا هجرته في النهاية وتوجّهت إلى ريكيافيك. أخبرتني كل القصة فنحن لا نخفي شيئاً عن بعضنا، لذا لا تحاول أن تخطئ بحقها لأن هذا لن ينفع، هل تسمعني؟».

«لماذا تعتقد أننا شككنا بأنها متورطة في مقتل إيفيندور؟ لماذا تعتقد أننا جلبناك من هفالفيوردور؟».

«لأنكم ترتكبون خطأ».

«لقد كانت مخطوبة وخانت خطيبها ثم اقترحت على عشيقها أن يأخذ خطيبها في رحلة لاصطياد السمك ويعود بمفرده، هل ترى لمَ نهتم بكما؟ هل فهمت سبب اهتمامنا بها؟».

قال ويغينز: «ولكن من الممكن تفهّم هذا ألا ترى ذلك؟».

«ماذا تقصد؟».

«لقـد كانـت تطلـب المسـاعدة، كان هذا نداء للمسـاعدة ولا أتفاجأ بهذا بسـبب الطريقـة التـي عاملها بها ذلك الرجل. لم أتفاجـأ أبداً وأتفهمها تماماً، فقد كنت سأفعل الشيء ذاته لو كنت مكانها».

46

كان حي بـولار حيّـاً للفقـراء في ضواحي المدينة جنوب سـنورابروت. شُـيدت مبانيـه بسـرعة خلال الحرب لإسـكان العائـلات المحتاجة، أما الآن فيعيش فيه أكثر من مئتي شخص في بؤس وفقر. ومع أن الكهرباء وصلت إلى المنـازل إلّا أن الميـاه لا تـزال غائبة، كانت المنازل سـيئة العزل وباردة للغاية في الشتاء. ضمّ هذا الحي أربعة صفوف من المباني، وكانت تحيط بفناء فيه مراحيـض. تعـوّد فلوفينـت زيـارة هذا الحي في أيام مناوباته في الشـرطة لأن الأحداث كانت تحتدم في الليل وفي العطل بسبب الشرب والعراك اللذين كانا يحدثان هناك، هذا الحيّ هو موطن يوسيب وريكي ووفق معلومات يوسيب لا تزال والدة ريكي تعيش هنا.

في الفناء دلّ شخص فلوفينت على امرأة تجلس أمام باب منزلها وتحيط بها سحابة من الريش، لأنها كانت تنتف دجاجة. لم تهتم لأمر فلوفينت عندما وقـف يراقبهـا وهـي تعمل بدقة وبراعة، وعندما قرر أن يقاطعها ويسـألها عن اسـمها نظرت إليه؛ كانت امرأة مكتنزة في الخمسـين من عمرها تنتعل حذاء مطاطياً وجورباً صوفياً وكانت تغطي رأسـها بوشـاح تربطه أسـفل ذقنها. كان فلوفينـت يقـف أمامهـا حاجباً عنها الشـمس التي توشـك علـى الغروب، فلم تسـتطع أن تتمعن ملامحه. رمشـت عينيها، وسـألته عن اسمه، وعاودت نتف دجاجتها، كانت التجاعيد تغطي وجهها، وكانت هناك فراغات بين أسنانها.

قال: «أراكِ مشـغولة يا سـيدتي، ولذا لن آخذ كثيراً من وقتك، لقد كنت فقط...»

قالـت المـرأة: «مـاذا؟ لا، لا، لا عليـك»، أضافت وهي تحاول شـرح ما كانت تفعله: «سأسـلق هذا المخلوق المتورد. لقد أعطاني إياها دوسـي لأن دجاجاتـه لا تتوقـف عـن التكاثر. هل تعرف دوسـي؟ يربـي كثيراً من الدجاج فوق نوثولسفيك ويبيع بيضاً للبريطانيين ويجني كثيراً من المال».

قال فلوفينت إنه لا يعرف دوسي، ولكنه تحدث إلى رجل اسمه يوسيب، وكان يرتاد المدرسة مع ابنها، وسألها إن كانت تتذكره؟

قالت: «يوسيب؟ أراه أحياناً وهو يجوب المكان، يا له من مسكين».

«قيـل لـي إنـه كان يعـرف ابنك ريكاردور، كان يعرف باسـم ريكي أليس كذلك؟».

قالـت المـرأة وهـي تنفـض بعـض الريش عن حضنها: «نعـم، كان وابني ريكـي صديقيـن»، ثـم أدارت دجاجتها في الاتجاه الآخر وتابعت عملها، ولم تكترث لوجود الغريب، قالت: «كان يبدو قذراً جداً في المرة الأخيرة التي رأيته فيها. تتدهور حاله يوماً بعد يوم، أليس كذلك؟ كان ذكياً جداً في الماضي».

قال فلوفينت: «كنا نتحدث عن ريكي وعن مدرستهما وعن زملاء ريكي».

«حقاً؟».

«لقد أخبرني بما حل بابنك في آخر سنة له في المدرسة».

توقفت المرأة عن عملها وقالت: «لماذا أخبرك عن ابني ريكي؟».

شـرح لهـا فلوفينـت أنـه أتى ليتحدث إليها لأنه عُثر علـى إيفيندور زميل ريكاردور مقتولاً في شـقة قبو في المدينة، وقد قُتل بعد أن أُطلقت رصاصة علـى رأسـه، وأخبرهـا أنه يحقق في جريمـة قتله. كما أخبرها أنه يتحدث إلى مجموعة من الأشخاص الذين كانوا على معرفة بإيفيندور في مراحل مختلفة من حياته بما فيها أيام المدرسة.

قالت: «هل أنت شرطي؟ وهل أتيتَ لتتحدث إليّ؟».

أومأ برأسه: «هل تتذكرين إيفيندور؟».

«لا، لا أعتقد ذلك، هل كان ذلك الرجل، الذي عُثر عليه مقتولاً، زميلاً لابني ريكي في المدرسة؟ كل ما أعرفه هو ما سمعته من الأخبار ككل الناس، هل لهذه الجريمة علاقة... بابني ريكي؟ لا أفهم كيف يحدث هذا».

قال فلوفينت: «لا، لا نعرف ما حدث تماماً».

سألت المرأة: «ماذا قال يوسيب؟ المسكين في حال يرثى لها، أليس كذلك؟ أعرف تماماً ماذا يفعل الكحول بالناس وكيف يلقي بهم إلى الهاوية. لاحظت أن الفوضى تسيطر على حياته، ولم يبدُ على ما يرام في المرة الأخيرة التي رأيته فيها. بدا متشرداً، ولكنه شاب لطيف جداً، فهو يلقي التحية دائماً، ويتوقف ليتحدث معي ولم يمتهن التسول يوماً»، بدت المرأة وكأنها تُفكر وشغلت يديها بالدجاجة مجدّداً، أخيراً قالت: «نعم، ابني ريكي المسكين».

«لا بد أن خسارتك له كانت صعبة».

لم تجب المرأة، بل تابعت عملها، ولكن عقلها كان في مكان آخر. سرعان ما برد الهواء حين غابت الشمس ولم يبدُ أنها لاحظت ذلك. زرر فلوفينت معطفه.

قالت: «لطالما تعرّض أطفال حي بولار للتنمر بالطبع لأنهم فقراء ويرتدون ثياباً رثة وتفوح منهم رائحة العفن، ولأن أهاليهم يعتبرون حثالة. لقد انتهى المطاف بكل الأطفال الذين ينحدرون من هنا في صفوف الأغبياء، أعرف بالطبع أننا... لا أتذكر أنني جهّزت له غداء ليأخذه إلى المدرسة. هذا أمر فظيع ومن الصعب تذكره. ولا أعتقد أن ثيابه كانت ملائمة، وإذا توافر أي مال في المنزل فكان يُصرف كله على الشراب. لقد اعتنت به أُخته أكثر مما اعتنيتُ به. لم يكن... منزلنا سعيداً، وكان ريكي حساساً للغاية. كان قلبه كبيراً... كم أفتقدك يا ريكي. هل لديك أي أطفال يا سيدي؟».

أجاب فلوفينت: «لا، ليس لديّ أطفال».

«لقد كان والده سكيراً لعيناً ولصاً، كان يسرق من دوسي ومن عدة أشخاص آخرين، ويقتحم المنازل الصيفية هنا وهناك وتورّط أيضاً في التهريب، وتعوّد أن يفرط في الشراب ودخل السجن، وكان لديه كثير من أصدقاء السوء». توقفت المرأة عن العمل وتابعت: «ولكن هذا لا يعني أنني كنت أفضل حالاً، في تلك الأيام كنت أعاقر الخمر أنا الأخرى...، وفي الواقع إن ذكرياتي مشوشة، لم أقلع عن معاقرة الخمر إلا عندما توفي ريكي، ومنذ ذلك الحين لم أشرب نقطة».

«هل تستطيعين أن تخبريني بما حدث؟ تذكّر يوسيب أجزاء من القصة ولكن اقترح عليّ أن أتحدث إليك».

«توقف ريكي عن الذهاب إلى المدرسة فجأة، ولم أكن أعرف شيئاً عن الأمر فهو لم يخبرني. كان يغادر المنزل كل يوم في الوقت نفسه ويتوجه إلى المدرسة، وذات يوم... ذات صباح، وعندما كنت أقف مكانك ظهر رجل، أرسلته المدرسة ليسأل عن ريكي لأنه مضت أسابيع على تغيبه. تبيّن أنه كان يتسكع في الأرجاء خلال ساعات المدرسة ويلعب على الشاطئ ليمضي الوقت من دون أن يخبر أحداً، لم يكن سعيداً في المدرسة وخصوصاً في السنة الأخيرة لذا قرر التغيب عنها».

«هل تعرفين السبب؟».

«بسبب ذلك الفتى... ابن الطبيب الذي تعوّد ريكي التسكع معه، هذا ما أخبرني به يوسيب وأصدقاؤه. لذا ذهبت إلى منزله، أي إلى المنزل الألماني كما كان يلقبه الفتيان. أردت التحدث للفتى لأسأله عن صحة ما أخبروني به، وأعرف سبب انقلابه على ابني، وبعد كثير من التوسل استطعت أن أتحدث إلى أبيه. ادّعى أنه لا يعرف شيئاً عن الموضوع، وأن ابنه ذهب إلى الدنمارك. أخبرني أنه يقضي العطل الصيفية هناك وأنه لن يعود في وقت قريب».

«هل أخبرت والده بما سمعته؟».

«نعـم، لقـد نقلـت لـه ما سـمعته، فبدا أنـه متفاجئ وأخذ يقـدم الأعذار، ولكنني لاحظت أنه يعرف تماماً ما الذي أتحدث عنه ويعرف مقدار وحشـية ابنـه، ولـم يحتـج إلـي كي أخبره بهذا. ولكن بحلـول ذلك الوقت كان الأوان قد فات، فقد مات ابني».

«قال لي يوسيب إنه قفز عن سطح مبنى في إيسكيهيلد».

«هذا صحيح».

«قال إن ابن الطبيب حمله على ذلك».

«أخبرونـي أنـه ظن نفسـه قـادراً على الطيران وأن الفتـى كان معه وقتها. قال لي يوسـيب وصديق آخر له كان هناك أيضاً إنهما سـمعاه يشـجعه ويحثه ويتحداه أن يقفز. لقد تنمّر عليه طوال فصل الشـتاء ولم يتركه وشـأنه، ونعته بأقبح الأسماء لدرجة أن ريكي لـم يجرؤ على ارتياد المدرسة مجدّداً. يا لهذا التصرف المشين، لا يمكن وصفه تصرفه بغير هذه الصفة. لا أعرف لماذا كان يكرهـه إلـى هـذا الحـدّ، ربمـا لأنه كان يعيش في حي بـولار، ولم يجرؤ على الدفاع عن نفسـه. كان الفتيان الآخرون ينعتونه بالغبي، ثم أتى الفقر والثياب الرثة ورائحة العفن لتضيف إلى الإهانة مذلة. ربما ظن ريكي أن المعاناة لن تنتهي. قالت الشـرطة إن هذا كان حادثاً ومجرد فتيان يتصرفون بشـقاوة. لم يستمعوا إلّي ولم يحركوا ساكناً».

جلست المرأة بصمت، وأهملت الدجاجة الميتة على حضنها وكأنها لم تعد تستطيع التعامل معها. لقد غابت الشمس تماماً وهبت رياح باردة وتسللت إلى حي بولار.

أضافت: «ولكنني سرعان ما عدت إلى رشدي واكتشفت أنني لست في موقف يتيح لي أن أتأفف من سـلوك أشـخاص آخرين، هل يحق لي أن ألوم أي شخص آخر؟ أدركتُ أنه لا يحق لي لوم أحد. لـم نقف إلى جانبه عندما كان يحتـاج إلينـا، ولـم يتلـقَ أي دعـم منا. لقد غضبت عندما سـمعت بالخبر

لأنني لم أعرف ما يحصل، كنت امرأة مثيرة للشفقة، لم يتلقَ منا سوى... يا لذلك الفتى المسكين».

رأى فلوفينت أن المرأة تعاني في حبس دموعها وكظم غيظها، نهضت من بؤسها وسقطت الدجاجة نصف المنتوفة عن حضنها. لم تنتبه إليها، ولكنها عبست في وجه فلوفينت وكانت عيناها مليئتين بالندم. كانتا تتهمانه لأنه أحزنها إلى هذا الحدّ، إذا كان عليه أن يفكر بما سيقوله ويتخذ اتجاهاً آخر. كان عليه أن يكون أكثر حذراً وتعاطفاً.

قالت بغضب: «لماذا تهتم بابني ريكي؟ لم يكترث به أحد حين كان على قيد الحياة، لماذا تسأل عنه الآن؟ لماذا تنبش الماضي الآن؟».

أراد فلوفينت أن يظهر تعاطفه ويشرح لها، ولكنها لوّحت بيدها وطلبت منه أن يغرب عن وجهها، فلم يعد لديها ما تقوله. تركها وشأنها في ظل الرياح الباردة، وحزنها الخانق، وعالم من الأسى يدور خلف عينيها المرهقتين.

47

في وقت متأخر من ذلك اليوم، عرف فلوفينت بشأن زجاج النافذة المحطم عندما اتصل بمركز الشرطة في بوسشوستريتي، ليتحقق إن كان هناك أي بلاغات عن حوادث غريبة في المدينة. قالوا له إن الشرطي الذي بُلغ عن الحادثة تبيّن له أنها لم تكن خطيرة؛ فقد ألقى أحدهم حجراً على النافذة، ولكنه لم يكن حادثاً يمكن وصفه بمحاولة اقتحام. لم تكن هذه المرة الأولى التي يُحطم فيها زجاج نافذة هناك، فمنذ شهرين وصل بلاغ مماثل لمركز الشرطة، وربما كان الفاعل بعض الأطفال الأشقياء. هذا ما كان يحدث حين كانت تترك المباني خالية لفترات طويلة فيستسهل الأطفال رمي الحجارة على نوافذها، وما كانت الشرطة لتتدخل ما لم تكن نافذة هذا المنزل بالتحديد هي التي حُطّمت.

أكد اتصال سريع مع المستشفى أن رودولف انتقل إلى منزله بواسطة سيارة إسعاف، لقد أصرّ على المغادرة ولم يكن لدى الأطباء سبب ليبقوه في المستشفى. فهم فلوفينت من الممرضة التي تحدث إليها أن خادمة رودولف ساعدته وكانت ستحرص على ألا ينقصه شيء، واعتقد أن الخادمة هي الفتاة التي تحدث إليها خارج المنزل.

اتصل فلوفينت بالسجن أيضاً في سكولافيوردوستيغور، فأخبروه أن برينهيلدور هولم حصلت على زيارتين منذ أن رآها آخر مرة، وكان المحامي هو الزائر في المرتين. يبدو أنها عملت بنصيحته وعينت محامياً.

كان الوقت متأخراً وفلوفينت بمفرده في مكاتب فريكيريكيوفيغور يُفكر

فـي زجـاج النافـذة المُحطـم حين سـمع صوتاً في الرواق. نهـض وكان على وشـك التحقـق مـن الأمـر حيـن ظهر رجل عنـد الباب، حدّق إليـه فعرف أنه زميلـه القديـم أرنيفينور. أخفى فلوفينت مفاجأته بالزيارة عندما كان يصافحه، فلم يسـبق لأرنيفينور، وهو رجل طويل ونحيل وقوي القبضة سـمّرت شـمس الصيف وجهه، أن أتى إلى قسم التحقيق الجنائي.

قال: «رأيت ضوءاً من نافذتك، لذا قررت التحقق من الأمر».

علـى الفـور، لاحـظ فلوفينـت أن أرنيفينـور يكـذب، ولكنه لـم يظهر له ذلك. لم يكن الكذب سهلاً على رجل مثل أرنيفينور، وتساءل لماذا لا يقول الحقيقة؟ إن عمله كان من النوع الذي يتطلب اجتماعاً سرياً بعد انتهاء الدوام. ظن أن للأمر علاقة بزيارة ونسـتون تشرشـل المحتملة. كان بوسـع أرنيفينور أن يتصل به، ولكن بدا أنه يعتبر النقاش في هذه الأمور على الهاتف مخاطرة كبيرة.

سأل أرنيفينور عندما جلس وجال بعينيه في أرجاء المكتب: «هل أحرزت تقدماً في تحقيقك؟».

قال فلوفينت: «نحن نلاحق الدلائل ونحقق بعض التقدم».

«سـمعتُ شـائعة مفادهـا أن الرجـل الذي تبحثون عنـه -المدعو فيلكس لاندين- قد يكون جاسوساً، هل في هذا الكلام شيء من الصحة؟».

«ربما».

«هل يزود الألمان بمعلومات عن قوات الدفاع؟ وعن القاعدة التي تُبنى في هفالفيوردور؟ وعن الملاحة الآيسلندية؟».

«لا يمكننـا أن نسـتبعد هـذا، ومـع أننـا لـم نجد جهاز الإرسـال بعد لكن يُحتمل أنه ينقل رسائل إلى الغواصات الألمانية عند الساحل، إن كل هذا جزء من التحقيق، ولكن أخبرني هل سيأتي تشرشل إلى هنا؟».

«لماذا لم تعتقلوا فيلكس بعد؟».

أجاب فلوفينت: «لأنه نجح في الإفلات منا حتى الآن». لم يُخبره أنه كاد يقبض عليه في عيادة رودولف لاندين.

«سمعت أنك تحتجز امرأة تقيم في منزل لاندين».

«نعـم، مدبـرة المنـزل، هذا صحيح. إننا نضغط عليها، ولكن يبدو أنها لا تعرف شيئاً عن نشاطات فيلكس لاندين. نعرف أنها ساعدته على الاختباء منذ ارتكاب الجريمة، وأعتقد أنها كانت تساعده من باب الولاء ولم تكن لها دوافع إجرامية. لقد أخفيا الأمر عن رودولف أيضاً أو هذا ما أخبرتني به».

قال أرنيفينور: «إذا حدثت الزيارة التي ذكرتها لي -وعليّ أن أؤكد أننا لا نعرف شيئاً عنها- هل سيُشكّل فيلكس لاندين تهديداً لسلامة الزائر؟».

«لا، لا أعتقـد هـذا. ليـس لدينـا دليـل علـى ذلك. هل أنتـم قلقون؟ هل سمعتم أي شائعات؟».

قـال أرنيفينـور بحـزم: «لا، أردت فقط أن أتحقق منك. هل تواصلت مع شـخص اسـمه الرائد غراهام من الاسـتخبارات الأميركية؟ أعتقد أنه سـيكون مسؤولاً عن الأمن إذا حصلت الزيارة».

«إن ثورسـون -الذي يعمل إلى جانبي باسـم الشـرطة العسـكرية- على تواصل مع رائد اسمه غراهام في مستشفى ليبير».

«حسناً، عليكم أن تعلموه بلحظة اعتقالكم لفيلكس، هل ستتذكر هذا؟».

«هل كانوا يضغطون عليك؟ أقصد غراهام ورجاله؟».

«أنت تعرف يا فلوفينت أننا دائماً ما نتعرّض للضغط».

نهض أرنيفينور: «إنهم متوترون للغاية، ويتلهفون لإلقاء القبض على هذا الرجل. وسمعت أنهم يعتزمون التدخل في أي لحظة».

«لا ضرورة لهذا على الإطلاق».

«ربما، ولكنهم يعتقدون أنكم لن تتوصلوا إلى شـيء. يريدون تولي أمر التحقيـق بأنفسـهم والتصـرف بسـرعة. يريدون البحث فـي كل منزل واعتقال

أشخاص آخرين والتحقيق معهم، ويريدون أيضاً تعقب أجهزة الإرسال واعتراض الاتصالات. بدأ صبرهم ينفد ويجب أن تضع هذا في اعتبارك. لا يعتقدون أن بوسعنا التعامل مع هذه القضية فهم يعتبروننا هواة وعديمي خبرة خصوصاً عندما يكون للأمر علاقة بالتحقيق في قضايا التجسّس».

«وأعتقد أن هذا من حسن حظنا».

«ربما، أظنهم متوترين بسبب الزيارة. إن آخر شيء يريدونه هو أن يسمع بها الألمان، فهم يخشون على سلامة الرجل. عليكم أن تبقوهم على اطلاع بكل تفصيل».

راقب فلوفينت أرنيفينور وهو يغادر، وكان على وشك أن يغادر إلى منزله حين رنّ الهاتف، إنه ثورسون الذي أراد أن يطلعه على محادثته مع فيرا وبيلي. لم يكن لديه أدلة تكفي لاحتجازهما فلم يكن هناك إثبات قاطع على أنهما خطّطا لقتل إيفيندور. بدوره أطلعه فلوفينت عن المعلومات التي حصل عليها بخصوص فتى يدعى ريكاردور كان زميلاً لفيلكس وأخبره أيضاً عن دور محتمل لفيلكس بخصوص الموت المأساوي للفتى ريكاردور.

كان فلوفينت على وشك إنهاء المكالمة حين تذكر النافذة التي حُطم زجاجها، لقد تناقشا بأمرها قليلاً ثم اتفقا أن يبحثا في الأمر وأن يلتقيا في مكان الحادثة.

بعد دقائق كانا يقفان أمام القنصلية الألمانية في تونغاتا، وينظران إلى النافذة المستديرة. لا يزال ثورسون يحتفظ بالمفاتيح منذ زيارتهما الأخيرة، كان لوح الزجاج المكسور في نافذة سرداب صغيرة وراء المبنى. بلَغ أشخاص يعيشون في المبنى المجاور عن الحادثة، وحالما أشعل فلوفينت وثورسون مصباحيهما لاحظا أن هذه الحادثة لم تكن فعلة أطفال أشقياء: لقد اقتحم أحدهم المكان.

قال فلوفينت: «يا لذلك الكسول، لا شك في أنه لم يتحقق في بادئ

الأمر». تفحّص الآثار قرب نافذة السرداب: كانت هناك آثار واضحة لخطوات أقدام وإشارات تدل على أن شخصاً قد أبعد اللوح المكسور ودخل من الفراغ.

«أتقصد الشرطي الذي أُرسل ليتحقق من الأمر؟».

قال فلوفينت وهو ينظر من النافذة: «هذا إن تكبّد فعلاً عناء المجيء إلى هنا في المقام الأول».

«هل ترى شيئاً؟».

«يبدو أن هذه غرفة تمديدات، هناك نفايات على الأرض».

ذهبا إلى مقدمة المبنى وفتح ثورسون الباب. دخلا الردهة واتجها فوراً إلى الدرج المؤدي إلى السرداب فوجدا باب غرفة التمديدات مفتوحاً. سُحب فراش إلى الداخل ووضع بالقرب من سخان يعمل على الفحم كما كان هناك غطاء مصنوع من علم النازية وبعض الستائر، رأيا بقايا خبز وبطاطا على الأرض، ولكنهما لم يجدا دليلاً على هوية الزائر الغامض الذي عاش في سرداب ويرنير جيرلاش.

سأل فلوفينت وهو يعاين الغرفة: «هل تظنه متشرداً؟ دخل لأنه لم يجد أحداً يحرس المكان».

أجاب ثورسون: «ربما، لا بد أن شخصاً أقام هنا منذ فترة واعتبر هذا المبنى منزله».

«إن كان يقيم هنا منذ فترة، ألم يكن يجدر بنا أن نلاحظ ذلك في آخر زيارة لنا إلى هنا؟».

«صحيح».

تابع فلوفينت: «وكان يُفترض بنا أن نعثر على بعض زجاجات برينيفين ملقاة هنا وهناك إذا كان متشرداً؟ أو مخدرات...؟».

«هل تقول إن الدخيل لا يفترض به أن يكون متشرداً...؟»

ركل فلوفينت العلم النازي بقدمه وقال: «يبدو أن هذا كان مخبأ أكثر من كونه مكاناً لإقامة متشرد، ألا توافقني الرأي؟»

«مخبأ؟ هل تقصد...؟».

«لا أعرف، ولكن هذا ممكن».

«هل تعتقد أن فيلكس لاندين هو من اقتحم المكان؟».

قال فلوفينت وهو يرفع العلم: «إنه ليس أسوأ مخبأ يمكن أن يلجأ إليه. لا بد أن فيلكس لا يملك أماكن كثيرة ليختبئ فيها، ولعله اعتقد أن هذا آخر مكان يمكن أن نبحث عنه فيه».

«هل تعتقد أنه لا يزال في المبنى؟».

«ربما علينا التحقق من هذا».

انطلقا في بحث ممنهج في أرجاء القنصلية، بدأا بالسرداب ثم بالطابق الأرضي وفتحا الأبواب واحداً تلو الآخر ونظرا في كل خزانة ومستودع. فعلا الشيء ذاته في السقيفة، ولكن بدا أن الزائر غير المدعو قد اكتفى بالسرداب؛ لم يجدا له أثراً في أي مكان آخر في المبنى.

بعد نصف ساعة تقريباً عادا إلى حيث بدأا أي وقفا مجدّداً قرب الفراش في غرفة التمديدات. سلّط ثورسون مصباحه على كل زاوية وعثر أخيراً على شيء خلف السخان، وحين ركع على ركبتيه مدّ يده وسحب أنبوباً من معجون الأسنان، وعندما نهض عرض الأنبوب على فلوفينت.

سأل ثورسون: «أليس هذا الصنف الذي كان يبيعه؟».

لقد كتب على الأنبوب الذي كان فارغاً: معجون كولينوس الطبي، فتح فلوفينت الغطاء وشمّه.

«هل تعتقد أنه كان يحمل أنبوباً معه؟».

قال ثورسون: «ليحظى بأسنان أكثر بياضاً وإشراقاً».

ابتسم فلوفينت.

تابع ثورسـون: «ومن عسـاه يكون؟ لا بد أن فيلكس هو من كان يختبئ هنا».

قـال فلوفينـت وهـو يعيد إغـلاق الأنبوب ويضعه في جيبـه: «بالطبع، لا يمكننا أن نستبعد هذا الاحتمال».

قال ثورسون: «أنت محق، ربما اعتقد أنه لن يخطر لنا أن نبحث عنه هنا في المقام الأول».

قـال فلوفينـت: «لعلـه وصل إلى أعلى مراحل اليأس ولم يسـتطع العثور سوى على هذا المكان».



48

لـم تسـتطع برينهيلـدور هولم أن تنام في الزنزانـة. وعندما فتح الحارس الباب ليصطحبها إلى غرفة التحقيق وجدها مستيقظة، فأخبرها أن لديها زواراً، وجدت في غرفة التحقيق فلوفينت وثورسون اللذين اعتذرا على إزعاجها في هذا الوقت المتأخر، ولكنهما قالا إن الأمر كان في غاية الأهمية ولم يستطيعا تأجيله. جلسـت برينهيلدور قبالتهما واعترى القلق وجهها حين أخبراها عن اقتحـام القنصليـة الألمانيـة، وعن اعتقادهمـا أن فيلكس كان يختبئ هناك منذ هروبه من عيادة أبيه، وقد عُيّن شرطي لحراسة القنصلية تحسباً لعودة فيلكس إليها. سألاها إن كانت تعرف أين يمكن أن يختبئ.

أجابت برينهيلدور: «لا أعرف».

تناول فلوفينت أنبوب معجون الأسنان من جيبه ووضعه أمامها: «هل كان يحمل هذا معه؟ هل تعرفين شيئاً عنه؟».

ردّت برينهيلدور: «ربما كان يحمله، لم أتحقق من جيوبه».

مدّت يدها لتعاين المعجون، ولكنّ فلوفينت سحب يده.

قالت ساخطة: «بالله عليك لماذا فعلت هذا؟ هل تظن أنني سآكله؟».

قال فلوفينت وهو يعيد معجون الأسنان إلى جيبه: «عثرنا عليه في القنصلية الألمانية. لقد كان يقسم في السرداب، أعيد وأكرر سؤالي: هل لديك فكرة إلى أين يمكن أن يذهب؟ هل لديك فكرة عن المكان الذي يمكن أن يختبئ فيه؟».

أجابـت برينهيلـدور: «لا يمكنني أن أسـاعدكما فـي هذا... لا أعرف أي مكان آخر سوى...»

«سوى ماذا؟».

«منذ سنوات عدة اشترى رودولف كوخاً على شاطئ ماسليشيشترند، وأراد أن يجعله بيتاً صيفياً. ثم تعرض للحادث، ولم يذهب إلى هناك مجدداً، ولم يفعل بالكوخ شيئاً منذ ذلك الحين، ربما يختبئ فيلكس هناك، ولكنني لستُ واثقة».

قال ثورسون: «أخبرني فلوفينت إنك كنت تعرفين أن فيلكس يعمل لصالح الألمان وأن عمه هانس لاندين هو من ساعده».

أومأت برينهيلدور وقالت: «كان فيلكس يؤلّه هانس، وأنا شبه متأكدة من أنهما تناقشا بشأن التجسّس، وأن هانس أمّن له علاقات في ألمانيا والدنمارك، وعندما سألت فيلكس رفض أن يؤكد أو ينفي هذا الأمر. لكنني واثقة من أنه كان متعصباً للنازية، مثل إيبينسير ورودولف».

سألها فلوفينت: «هل تخليا عن النازية؟».

«نعم، ولكن فيلكس لم يتخلَّ عنها بل على العكس تعمق فيها. وأعتقد أن هذا حصل عندما بدأت ألمانيا تحتل الدول، واحدة تلو الأخرى، ولكنه أبقى أفكاره طي الكتمان».

«هل تعتقدين أنه استخدم عمله تاجراً متجولاً ليخفي نشاطاته التجسّسية حول البلاد؟».

«ربما، ولكنني لست الشخص المناسب لأسأله عن تلك الأمور».

«ألم يقل لك أن هناك مكافأة لمن يعثر عليه؟».

«لا، أعتقد أن هذا بسبب نشاطاته».

«هل لمَح إلى هوية أولئك الناس؟».

«لا، لم يقل لي من هم».

«ولكنك قلت إن لديه نظريات حول الجريمة، ألم يقل لك شيئاً عن

صديقة إيفيندور الحميمة، ربما أرادت التخلّص منه لأنها كانت متورّطة في العمل المشين؟».

قالت برينهيلدور: «لم يستطع فيلكس استبعاد هذا الاحتمال. في الواقع، كان محتاراً مثلكما».

سأل ثورسون: «من عساه يريد أن يقتل فيلكس؟ إذا انطلقنا من فرضية أنه كان المستهدف، هل كشف نفسه؟ هل اكتشف أحد هنا أنه جاسوس؟».

«فكّر فيلكس في هذا الاحتمال، ولكنه رفض التحدث بشأنه، رفض الإفصاح عن هوية أولئك الناس الغامضين أو سبب ملاحقتهم له، ولكنني لا أستبعد أنهم لاحقوه لأن أحدهم اكتشف حقيقة نشاطاته. يعتقد أنهم لا يزالون يبحثون عنه ليقتلوه، ولا شك في ذلك. لهذا لم يُسلم نفسه ولا يزال مختبئاً».

قال فلوفينت: «ذكرت أنه تحدث عن طرف خارجي أليس كذلك؟».

قالت برينهيلدور: «نعم، ولكن للأسف لم أستطع الحصول منه على مزيد من المعلومات، لم أفهم قصده، ولكنني شعرت أنه كان خائفاً من شخص هنا في قوات الحامية، ربما كان شخصاً يتواصل معه ويزوده بالمعلومات. أعتقد أن هنالك شخصاً يزوده بالمعلومات ولكن فيلكس كان غامضاً للغاية، ولم يخبرني شيئاً. لقد تعمّد التهرب من أسئلتي وبدأ يتلعثم، ولكن هذا كان تحليلي بعد أن ضغطت عليه. كان خائفاً من شخص في قوات الدفاع».

«دعينا ننتقل إلى الرسالة التي تلقاها رودولف بخصوص التجارب، أقصد رسالة الابتزاز».

«ماذا بها؟».

«ألم تقولي إنك اعتقدت أن لها علاقة بمقتل إيفيندور؟ أي أنه ربما ذهب ليضغط على فيلكس، ولكن زيارته انتهت بكارثة؟».

أجابت برينهيلدور: «نعم، لقد تساءلت عن هذا الأمر».

«برأيك هل يُحتمل أن يكون فيلكس هو من أطلق النار عليه؟».

«نعم».

«برأيك هل يسعه القتل؟ أي أن يطلق النار على رأس شخص؟».

تـردّدت برينهيلـدور وقالت: «لسـت في موقـع يتيح لي أن أجزم في هذا الموضوع» ثم أجابت بعد لحظات: «من المستحيل أن أجيب عن سؤال كهذا».

سألها فلوفينت: «حقاً هذا؟ هل هذا مستحيل إلى هذه الدرجة؟ ألم تقولي إنه ورث صفة القساوة من أبيه؟ من هانس لاندين؟».

لم تجب برينهيلدور.

«هل تتذكرين فتى كان معه في المدرسـة إلى جانب إيفيندور ويوسـيب وكان يُدعى ريكي؟ لا بد أنك تتذكرينه فهو يظهر في الصورة»، تناول فلوفينت الكتيب ووضعه أمامها على الطاولة.

أمعنـت برينهيلـدور النظـر إلى فلوفينت لبرهة ثم نظرت إلى الصورة قبل أن تنظر إلى غطاء الطاولة.

سأل فلوفينت: «لمَ لا تمسكين به؟ وتعاينينه عن كثب؟».

«لقد رأيته بما يكفي».

«هل تتذكرين ما حصل لهذا الفتى؟».

مجدّداً، لم تجب برينهيلدور.

قـال فلوفينـت: «أعتقـد أن ذكرياتك مشوشـة. لقد كان أحد الفتيان الذين ركّـز عليهـم فيلكـس وصادقهـم لفترة، يا له من فتـى؛ ابن طبيب يتنازل ويزور فتـى مـن حـي بـولار حيث تعيـش حثالة المجتمـع. ذهـب لمعاينـة البيئة التي يعيش فيها، وحال أمه السـكيرة وأبيه العنيف الذي كان يضربها، وحال أخته التي عوملت أسوأ معاملة. كما ذهـب لمعاينة ريكي نفسه الذي فعل ما بوسعه ليرضي فيلكس».

أخفضت برينهيلدور نظرها أكثر.

قـال فلوفينـت وهـو يشـير إلى يوسـيب في الصـورة: «أخبرني عن ريكي

وعائلته، وقال لي إن فيلكس كان يأسر من حوله وخصوصاً الفتيان الذين تعرف إليهم. لقد فاقهم ذكاءً لأنه ترعرع في منزل مستقر، ولأن والده كان طبيباً. ولكن كان هنالك شيء آخر بخصوصه، شيء آسر وخطير وهذا شيء لم يصادفوه من قبل؛ امتلك جاذبية من نوع آخر، حتى بدا الفتيان مستعدين لإخباره بأي شيء أراد أن يعرفه وأطاعوه في كل ما أمرهم به. لم يخفوا عنه شيئاً، ولهذا عرف أسرارهم الخاصة: أفكارهم ومخاوفهم. واختبر سهولة أن يركعوا له. كان قائدهم وكانوا يلبون طلباته، حتى أن يوسيب سرق لأجله وقتل إيفيندور قطة صغيرة بضرب رأسها بحجر، لأن فيلكس أمره بذلك».

أخفضت برينهيلدور رأسها وانحنى فلوفينت على الطاولة كي يرى وجهها.

«وقفز ريكي لأن فيلكس أعطاه حبة أخذها من والده وقال له إنها ستساعده على الطيران».

لم تقل برينهيلدور كلمة طوال هذا الحديث.

«هل رودولف هو من أعطى فيلكس تلك الحبة؟ هل كان هذا جزءاً من التجارب؟».

لم تجبه برينهيلدور.

«ألم يكن هذا جزءاً من هذه التجارب؟ أقصد الإيمان الأعمى الذي كانوا يضعونه في قائدهم؟».

«لم يعتقد رودولف يوماً... اعتقد أن فيلكس كان سيوقف الفتى قبل أن يقفز».

«لم يعتقد يوماً...؟ ألم يخطر له أن يلعب القدر لعبته ليتبين أن الفتى الوحيد الخطير في كل تلك التجارب الغريبة هو ابنه فيلكس لاندين الصغير؟».

«ألقى فيلكس اللوم على ريكاردور... وعلى سذاجته وغبائه، ولم يتخطَ رودولف هذه الصدمة يوماً. بالطبع كان مسؤولاً فهذا كان قسماً من بحثه. لقد

حّفز ابنه وشجّعه، وكان فيلكس يخبره بكل شيء عن الفتيان وكان رودولف يوجّهه، ولم يدرك العواقب إلا بعد أن فات الأوان. لم تذكر الدراسة مجدّداً، لام فيلكس وأرسله ليعيش مع أقربائه في الدنمارك. لقد تجاهله في الحقيقة ولم تعد علاقاتهما إلى سابق عهدها. عندما عاد فيلكس بدا مضطرباً وأهمل دراسته ثم ترك الجامعة ولم يتقدم للامتحان... ذهب ليعيش مع عمه هانس في ألمانيا ورأى نهضة النازية الأولى وغمرته الحماسة بسبب كل شيء شهده وسمعه. لقد أيّد الحزب القومي هنا، ولكنه شعر أنهم لم يحرزوا التقدم المرغوب ولم يبلغوا الطموح المرجو. كان يدعوهم بجماعة من النكرات».

«هل كنت تعرفين أنه يرسل المعلومات إلى ألمانيا؟ هل ساعدته؟».

«لا، لم أُساعده».

«ولكنك لم تبلغي عنه؟».

«لا تحاول لومي... أنت...»، توقفت عن الكلام ولاحظا أنها توترت وأن عينيها تستشيطان غضباً بسبب الأسئلة والاتهامات وبسبب الطريقة التي كانت تعامل بها، والتي شعرت بأنها كانت ظالمة وغير مبررة. فجأة بدا أنها ضاقت ذرعاً بكل هذا، وقررت أخيراً أن تضع كل أوراقها على الطاولة.

قالت: «ألستما تتغاضيان عما هو بديهي؟».

أضافت: «فيلكس مقتنع أن البريطانيين يستخدمونه لنقل المعلومات التي أرادوا أن يعرفها العدو. لا أعرف كيف وصل إلى هذا الاستنتاج، ولكنه يعتقد أن أحداً ما قد كشفه، وأن هذا الشخص مقره في ألمانيا ومهم للغاية لبريطانيا، وهذا هو سبب ذعر فيلكس. لم يعتقد أن إيفيندور قد قتل برصاصة كانت موجهة إليه، ولذلك اختار الاختباء وخاف من تسليم نفسه».

سأل ثورسون: «يعتقد أن البريطانيين يلاحقونه؟».

أومأت برينهيلدور برأسها وقالت: «هذا ما قاله، لا يعرف عدد الناس المشتركين في هذا».

سأل فلوفينت: «وأنت تصدقينه؟».

أجابت برينهيلدور: «لا أعرف ما يفترض بي أن أُصدق. قال أشياء كثيرة، ولكنني لم أفهمها. إنه منعزل للغاية ومذعور، وأفكاره تزداد غرابة لأنه لا يعرف ما حصل، أو لماذا حصل، أو إلى أين سيلجأ، أو كيف انتهى به المطاف في هذه الفوضى. ولكن هناك شيء قاله أكثر من مرة ومنذ البداية وهو عن إيفيندور».

«إنه قُتل عن طريق الخطأ؟».

«نعم، تلقى إيفيندور رصاصة كانت موجّهة إليه، يريد حقاً أن يعلن أنه لم يكن الشخص الذي قتل إيفيندور، ويريد أن يعرف والده هذا».

سألها ثورسون مجدّداً: «هل تعرفين مكان فيلكس؟».

أجابت برينهيلدور: «لا، لا أعرف، تستطيعان سؤال رودولف، ولكنني لا أعرف إن كان هنالك معنى لهذا، لأن... علاقتهما شائكة كما سبق لي أن قلت. يكره فيلكس والده، ولكن الأمر أشبه بأنه يريد اعترافاً واهتماماً منه أكثر من أي شخص في العالم. صحيح أن رودولف أولى ظهره لابنه، ولكنه في الوقت نفسه لا يقلق على أحد كما يقلق عليه. هذا هو الاقتراح الوحيد الذي سأقدمه لكما ولا أستطيع مساعدتكما أكثر، عليكما أن تعثرا عليه بنفسيكما».

شعرا أنها صادقة وأنها لا تعرف مكانه.

أردفت بعد لحظة: «عليّ الاعتراف بأنني لا أعرف شعوري تجاه فيلكس، أنا أُشفق عليه وأريد تفهمه ومساعدته، اعتقدت أن بوسعي القيام بذلك عن طريق مساعدته على الاختباء فأنا رأيت مدى ذعره، وصدّقت أنه ضحية ظروف لا طاقة له على تحمّلها، ولكن في الوقت ذاته يمكنه أن يكون...»

«قاسياً؟».

«منذ طفولته تورّط فيلكس في صراعات مع والده سممت حياته؛ صراعات بهدف التفهم أو العاطفة أو الاعتراف. أشعر أنه سيفعل المستحيل

لينـال رضـاه، ولـم يتوانَ عن خداع النـاس أو خيانتهم ليحصل على ما يريده. أعتقد أن وظيفة التاجر الجوال كانت تناسب شخصيته، فهو يجيد إقناع الناس بأهميته، وليس هناك أحد أبرع منه في الترويج لنفسه».

قـال: «هـذا جيد للغايـة؛ أقصد خيالات فيلكس ومحاولاتك مسـاعدته. ولكننـي أعتقـد أن الأمـر أكثـر بسـاطة وأنت تعرفين هذا. أعتقد أن كل شـيء تقولينه هو محاولة مقصودة لتحرفي اهتمامنا عن حقيقة بسيطة: كان إيفيندور على وشك أن يكشف آل لاندين، لذا قرر فيلكس التخلص منه كخدمة يسديها إلى والده».

49

عندما خرجا من غرفة التحقيق قيل لثورسون إن شخصاً من مكتب مدير الشرطة اتصل به على الهاتف. كان المتصل زميلاً له في الشرطة العسكرية ونقل له أخباراً عن الرقيب بيلي ويغينز الذي أُطلق سراحه في وقت مبكر بعد أن قابله ثورسون. فخلال انتظار بيلي وسيلة نقل يعود بها إلى هفالفيوردور تورّط في شجار خارج فندق بورغ واعتقل بسبب ثمالته وتصرفه الأرعن. وحين هدأ لاحقاً ووعد أنه سيقلع عن هذه العادات أوصلته الشرطة إلى ثكنته في مخيم نوكس.

سأل ثورسون زميله: «هل كل شيء تحت السيطرة الآن؟ وإن كان كذلك فلماذا يتصل؟».

«لقد قالوا إنه ذكر اسمك حين فقد صوابه».

«اسمي؟».

«لم يتوقف عن القول إنه سيقتلك، ولكن الشبان لم يكترثوا لهذا الأمر لأنه كان ثملاً للغاية. كما نعتك بأبشع الصفات التي لن أكررها، ولكن من الواضح أنه هدد بقتلك. يشعر الشبان بالذنب لأنهم لم يرغموه على النوم الليلة في المركز. قالوا إنه كان جامحاً للغاية في البداية، وحين هدأ روعه أعادوه إلى الثكنة، أرادوا أن يعلموك بهذا فحسب».

قال ثورسون: «شكراً، مع من كان يتشاجر خارج فندق بورغ وبخصوص ماذا؟».

«مع بعض الجنود الأميركيين. لقد نعتهم بالشاذين فانقضوا عليه، وتدخل

بعض الجنود البريطانيين وأحضروه إلينا. من حسن الحظ أن الموضوع لم يتطور أكثر. يجب أن نكون جميعاً في الصف ذاته».

أخبر ثورسون فلوفينت بما سمعه لتوه، وسأله إن كانا سيفعلان شيئاً آخر بخصوص فيلكس هذه الليلة، فأجاب فلوفينت إنه لا يظن ذلك، ولكنه سيمر على منزل رودولف في طريقه إلى منزله ليتأكد إن كان كل شيء على حاله.

سأل فلوفينت: «ما خطب ويغينز؟».

قال ثورسون: «إنه مغفل لعين، ما رأيك بكل ما قالته لنا برينهيلدور؟ هل تحاول أن تكون صريحة معنا الآن؟».

«هذا ما تبدو عليه، إذا صدقت توقعاتها فقد أقحم فيلكس نفسه في فوضى عارمة، وربما كان هذا هو سبب اختفائه. لا أستطيع التمييز بين ما هو حقيقي وما هو كذب، أقصد في ما يخص أمور الجواسيس والقتلة المأجورين والخائنين. لسنا معتادين على هذه الأمور هنا، ولم يسبق لنا أن تعاملنا مع مثل هذا التحقيق».

قال ثورسون: «ناهيك عن التعامل مع التجسّس العالمي».

قال فلوفينت: «صحيح. لهذا السبب أعتقد أن فيلكس ورّط نفسه في كل هذه الفوضى، ليس لديه فكرة عما يفعله وقد فات الأوان عليه لينسحب منها».

«ربما كنت محقاً».

«هذا يتعلق بقسمك أكثر من تعلقه بقسمي يا ثورسون، يجدر بك أن تتحدث إليهم فوراً».

«بالطبع، سأتدبر الأمر».

«إذا كان ما قاله كل من فيلكس وبرينهيلدور صحيحاً -أي إذا كان يشكل فعلاً خطراً بالنسبة إلى قسمك- فيجدر بك أن تكون حذراً وتراقب كلامك وتنتبه إلى من تتحدث. من المستحيل أن تبقى هذه القضية قيد الكتمان، هذا

على فرض أنها ليست مجرد قصة خيالية، وأن هناك شخصاً حقيقياً يستخدم فيلكس ليعطي الألمان معلومات مغلوطة، سيكون هذا الأمر مسألة في غاية الأهمية بالنسبة إلى قسمك».

قال ثورسون: «بالطبع، ولكن للأسف فيلكس شخص غامض للغاية، لا أعرف إن كان بوسعنا أن نصدق أيّ كلمة يقولها».

افترقا وقرر ثورسون أن يتجه إلى مخيم نوكس قبل أن يخلد إلى النوم، ليتحقق إن كان كل شيء على ما يرام في كوخ بيلي ويغينز. لم يكن قلقاً بشأن تهديدات ويغينز لأنه أطلقها وهو ثمل. ومع أن ثورسون لم يحب ذلك الرجل، فلم يكن خائفاً منه. لقد طلب أن يتم التحقق من خلفيته ليرى إن كان قد انتهك القانون في بريطانيا أو إن كان مثيراً للمتاعب في الجيش، وتلهف ليعرف إن كان متزوجاً وهل لديه أطفال. لم يكن الجندي الوحيد الذي يقول لعشيقته الآيسلندية إنه أعزب وتكون الحقيقة بخلاف ذلك.

اصطفت أكواخ نيسين بسقوفها شبه الأسطوانية ونوافذها الصغيرة على الطرق الموحلة، عرف ثورسون في الحال أي كوخ كان لبيلي، وحين مرّ به رأى جنديين لم يسبق له أن رآهما يدخنان تحت ضوء مصباح خارج الباب، كان هذا القسم من المخيم مخصصاً للرقباء وكانت الأكواخ أكبر ومريحة أكثر من ثكنات العساكر. لم يرَ بيلي ويغينز في أي مكان، فركن سيارة الجيب وأوقف عمل المحرك وحيا الرجلين.

قال أحدهما عندما قفز ثورسون من الجيب ومشى باتجاههما: «لم يستغرق وصولك وقتاً طويلاً».

سأل ثورسون: «وقتاً؟» عندما لم يعرف ما الذي يقصدانه.

«لتأتي إلى هنا».

«آتي إلى هنا؟!».

قال الرجل وهو يدوس على السيجارة بحذائه: «لقد أغلقت الخط لتوي

مـع مركـز الشـرطة. لا أعـرف إلى أين ذهب ولكنه ثمـل جداً. لم يتوقف عن الشرب بعد أن أحضرتموه إلى هنا ولم يخلد إلى النوم، بل أخذ زجاجة كحول من الكوخ المجاور وبدأ يشتم الجنود الأميركيين. كان يستشيط غضباً عندما خرج».

سأل ثورسون الرجل وبدا محتاراً: «عمن تتحدث؟».

أجاب الجندي: «أتحدث عن بيلي، الرقيب ويغينز، لقد خرجت لأقضي حاجة حين رأيته ينطلق مثل البرق».

«بيلي ليس هنا؟».

«لا، هذا ما أحاول أن أخبرك إياه، لقد غادر، ما كنت لأزعجك لو أنني لم ألاحظ أنه مسـلح. لم أعثر على سـلاحه. لقد تحققت من هذا الأمر لأنه كان يتفـوه بـكل أنـواع التهديدات. أعـرف أين كان يخبئه في العادة ولـم أجده في هذا المكان. أخشى أن يُقدم على فعل غبي».

ركض ثورسـون إلى سـيارته، كان عليه أن يعثر على بيلي ويغينز قبل أن يبتعد كثيراً عن المخيم.

خاطب الجنديين: «هل لديكما فكرة عن وجهته؟»

«لا، لا أعـرف إن كان سـيعود إلـى المدينـة ليعثر على أولئك الأميركيين أو ليقابل امرأة أو...»

قفز ثورسون إلى الجيب وشغّل المحرك.

«امرأة؟»

«لا أعرف...»

صرخ ثورسون: «أيّ امرأة؟ عن أيّ امرأة كان يتحدث؟».

صرخ الجندي: «المرأة التي كان يواعدها، والتي تعمل في الغسيل. لقد كان يستشيط غضباً بسبب شيء فعلته، وأخذ يصيح مراراً وتكراراً ويقول إنه ضحّى بكل شيء من أجلها».

«هل تعرف ماذا فعلت؟».

«لا، ولكنه حانق وقد أعماه الغضب».

حرك ثورسون الجيب وتفحّص المخيم واتجه غرباً إلى منزل فيرا. كان هنالك ضوء خافت قادم من نافذة الطابق العلوي، وفي تلك اللحظة اعتراه شعور عارم وفظيع كان ينتابه في كوابيسه، وهو أنه سيكون متأخراً مهما يحاول الإسراع.

50

لم تكن هنالك أيّ أنوار منبعثة من المنزل الذي توجّه إليه فلوفينت، ظن أن رودولف نائم واحتار إن كان يجدر به أن يزعجه الآن أو ينتظر حتى الصباح، مشى بهدوء على الطريق المؤدي إلى المنزل، ولكنه لم يسمع أي خطوات خلفه، كان الشارع هادئاً، وبدا أن كل الجيران خلدوا إلى النوم، ولم تتحرك أي سيارة كي تكسر الصمت الرتيب. وجد فلوفينت الباب الأمامي موصداً، وعندما توجّه إلى جانب المنزل، لاحظ أن الباب الخلفي مفتوح تقريباً، ولم يكن هنالك أي أثر لاقتحام، فلم يرَ في ظلام الليل دليلاً على تخريب، بدا له أن شخصاً نسي أن يُحكم إغلاق الباب خلفه.

تردّد فلوفينت قبل أن يدفع الباب بحذر، فُتح ولم يُصدر صوتاً وأفضى إلى رواق صغير يؤدي إلى المطبخ. حاول أن يصغي عله يسمع صوتاً، ولكن الصمت كان يُخيّم على المنزل لذا صعد إلى مكتب رودولف واختلس النظر. كان هناك خيال شخص منعكس على إطار النافذة، فعرف فلوفينت أنه كرسي رودولف المتحرك.

قال بصوت خافت: «رودولف؟».

«من هناك؟».

حاول فلوفينت أن يبرر دخوله: «كان باب الحديقة مفتوحاً، بدت وكأنها محاولة للاقتحام، أنا فلوفينت من الشرطة».

أصدر الكرسي المتحرك صوت صرير، وتفاجأ فلوفينت حين نهض الرجل واقترب من المكتب وأنار مصباحاً، فعانق الضوء وجهه بشعاع دافئ.

لم يسبق لفلوفينت أن رآه سوى لثانية، ولكنه عرفه في الحال، لقد سبق لهما أن التقيا مرة في العيادة القديمة في هافنارستريتي.

«فيلكس».

قال فيلكس: «آمل أن تكون قد تعافيت بعد ما حصل في العيادة. لم أكن أعرفك، واعتقدتُ أن عليّ الدفاع عن نفسي، لذا أمسكت بأول شيء رأيته واختبأت في الخزانة».

«هل أنت مسلح؟».

قال فيلكس وهو يرفع يديه كإثبات: «لا، أنا لا أحمل سلاحاً، ولن أُثير أي متاعب. كنت أخطط لتسليم نفسي بعد أن تحدثت إلى أبي. لا تخشَ شيئاً، أنا من يجب عليه الخوف، ولكن كيف عرفت الشرطة أنني هنا؟».

اقترب فلوفينت من المكتب وقال: «لم نكن نعرف أنك هنا». لم يقاوم فيلكس حين فتشه المحقق بحثاً عن أيّ أسلحة. «أردت فقط أن أطمئن على رودولف، أين هو؟».

قال فيلكس: «نائم، كنت على وشك أن أدخل وأوقظه حين ظهرت، أردت أن أودّعه، فلا أعتقد أنني سأراه مجدّداً».

«أتقصد بعد محاكمتك؟».

«شيء من هذا القبيل».

«هل تعتقد حقاً أن هناك شخصاً يريد قتلك؟ قالت برينهيلدور...»

قال فيلكس: «لا أعتقد أنها في وضع يتيح لها أن تقول لك كل هذا».

تناقضت شخصيته الهادئة والمتماسكة مع الشخصية العصبية والمذعورة التي وصفتها برينهيلدور، وعزا فلوفينت السبب لقراره تسليم نفسه؛ ربما كان يعيش حالاً من السكون بعد أن قرر أن يصفي ذهنه. بدا شاحباً وهزيلاً تحت ضوء المصباح وكانت عيناه باهتتين وشعره أشعث، أما وجهه فكان طويلاً وعيناه صغيرتين وبارزتين إلى حدٍّ ما، وشفتاه سميكتين، وكانت تغطي فكه

لحية داكنة، وكان يرتدي ثياباً داكنة وسترة خفيفة تحت معطفه.

قال فلوفينت: «لقد أخبرتنا بكل شيء قدرت عليه عنك وعن نظرياتك عما حصل».

قال فيلكس: «صدقني، لست أنا من أطلق النار على إيفيندور».

«لماذا لم تأتِ إلينا وتخبرنا بدلاً من الاختباء؟».

«هل تعتقد أن الأمر بهذه البساطة؟ لا أعرف بمن عليّ أن أثق، ربما زرعوا دليلاً يدينني، لا أعرف ماذا أخبرتك برينهيلدور ولكننا تناقشنا في الأمر مطولاً. لقد قامت... بمساعدتي ولكنها لم ترتكب أي خطأ».

«من عساه يزرع دليلاً ضدك؟ عمن تتحدث؟».

قال فيلكس: «إنهم يعملون ضدي ويحاولون أن يجعلوا مني موضعاً للشبهات، عليك أن تفهم هذا».

«من؟».

«الناس الذين استغلوني طوال الوقت».

«من هم؟».

قال فيلكس بحسرة: «ظننت أن الحظ سيكون إلى جانبي. كان عليّ أن أكون أكثر حذراً، ولكنني لم ألحظ هذا إلا بعد فوات الأوان. لا بد أن هناك شخصاً كشفني، شخصاً كان يعرف ما كنت أفعله، شخصاً يقف معنا ظاهرياً، شخصاً في الاستخبارات الألمانية السرية».

«الاستخبارات...؟»

«ماذا أخبرتك برينهيلدور؟».

«برأيك من كشفك؟».

«لم يكن...»

«هل أتيت إلى هنا لتسأل رودولف عنه؟».

«لا،... إنه لا يعرف شيئاً عن الموضوع».

«هـل اكتشـف إيفينـدور أنـك لـم تكن مجـرد تاجر جوال بل شـيء آخر مختلـف تمامـاً؛ فيلكـس رودولفسـون. هل سـمعك وأنت تسـتخدم اسـمك المستعار؟ هل قتلته لهذا السبب؟».

«لم أقتل إيفيندور».

«هل قتلته لتنتقم منه؟».

قال فيلكس: «لم ألمسه، لستُ من قتله، أنا بريء تماماً».

تذكر فلوفينت فجأة حديثه مع أم ريكي: «ألم يكن هذا ما قلته حين مات ريكي؟».

«ريكي؟».

«ألا تتذكر ريكي؟».

«ما علاقته بهذا؟».

«عرفنا بالبحث الذي كان يقوم به والدك وراء الستار، وبأمر الفتيان الذين كان يراقبهم. وعرفنا دورك في كل هذا الأمر، بالنسبة إلى إيفيندور ويوسيب وريكي، وكيف عذبت أنت ووالدك ريكي حتى ألقى بنفسه عن السطح. لقد كنت تأسر أولئك الفتيان، بشكل أو بآخر، واستغللت نقاط ضعفهم وأوضاع عائلاتهم التعيسة قصداً لإهانتهم أو لتملقهم، حسب أهوائك».

«هل تحدثت إلى يوسيب؟».

«رأيه فيك ليس جيداً».

«ألا تعرف أن يوسـيب سـكير حاول أن يبتز والدي ليحصل على بعض المـال، واسـتعان بإيفينـدور؟ خـذ كل هـذا بعيـن الاعتبـار. لـم يطلب ريكي مساعدتي، لقد كان غبياً ليفعل كل هذا من تلقاء نفسه».

«قلت له إن بوسـعه أن يطير. وبحسـب ما قاله يوسـيب فقد دفعته قصداً. لـم يسـتطع أن يؤكـد هـذا، ولـم يكن يعرف إن كنت تريـد أن تتمادى في هذا الأمـر. فـي الحقيقـة أنـت كذبت على ريكـي وتحديته أن يقفـز، كما تحديت

الفتيان الآخرين أن يفعلوا ما تريده. لقد حثثته على القفز، ربما لم يستعن بك، ولكنك قدّمت له المساعدة».

لم تشِ تعابير فيلكس بشيء.

«هل كان رودولف وراء الأمر؟».

«ليس عليك أن...».

«لقد تخلى عن بحثه بعد هذه الحادثة مباشرة، وأرسلك إلى الدنمارك. رغب في إبعادك عن طريقه بأسرع وقت ممكن».

«هل برينهيلدور هي من أخبرتك؟».

«بعد سنوات، عندما التقيت إيفيندور في إحدى رحلاتك التجارية لم تستطع أن تقاوم. لعله استفزك، ولعلك كنت ثملاً، ولكنك لم تستطع أن تقاوم أليس كذلك؟ تحدثت عن التجارب وعن يوسيب وإيفيندور وريكي والفتيان الآخرين الذين وصفتهم بفئران تجارب والدك. لقد فضحت الأمر وكنت تسعى لإهانته بالطبع. أخبر إيفيندور يوسيب بالأمر، وتذكر ما حصل لريكي. لذا كتبا رسالة تهديد لوالدك أزعجته للغاية فأحرقها».

أشاح فيلكس بوجهه وقال: «كان الأمر سهلاً للغاية... لم يكن أي منهم بهذا الذكاء بالطبع، وسرعان ما اكتشفت أنه كان بوسعي أن أملي عليهم ما أريد. كان شعوراً فريداً أن تحظى بهذه السلطة على الناس».

«ماذا أعطيته؟ دواء هلوسة؟».

«لم أعتقد أنه سيقدم على هذا».

«هل كان...»

«من فضلك، لا أرغب في التحدث عن الأمر».

«هل كان هذا السبب وراء زيارة إيفيندور لك؟ هل دبّرت الموعد؟ نعرف أن إيفيندور كان يتفاخر بأنه سيحصل على بعض المال، فهل كنت ستدفع له؟ وهل كنت ستتكلم إلى والدك لتنهي الأمر؟».

قال فيلكس: «لقد كان إيفيندور في المكان الخطأ في الوقت الخطأ كعادته. لم يكن هو المستهدف، وقد أخطأ البريطانيون. لم يستطع الرجل الذي أرسلوه ليؤدي هذه المهمة أن يميز بيننا. إنهم غير محترفين. لقد كنت أتوقع الأفضل منهم».

قال فلوفينت: «لقد سمعنا هذا العذر أيضاً، تقول أي شيء لتبعد الشبهات، كما تملصت مما فعلته بريكي».

سأل فيلكس: «عذراً؟ ما الذي تتحدث عنه؟».

«لقد سمعنا بقصصك مع التجسّس، وأن عملك كتاجر جوال كان مجرد ستار، وأنك كنت ترسل للألمان تقارير دورية عن التنظيم العسكري هنا، وتبلغ عن الملاحة البحرية، وعدد القوات، ومواقع المنشآت العسكرية في البلاد، والتطورات في هفالفيوردور. وسمعنا أن عمك هانس لاندين أمّن لك اتصالاً مع الاستخبارات الألمانية، وأنك كنت تعمل لصالحهم».

سأل فيلكس: «هل سمعت هذا من برينهيلدور؟ هل صَدَقَتني؟».

أشاح فلوفينت وجهه وقال: «أعتقد أنها تحاول أن تساعدك. أخبرتنا أنها اكتشفت أنك لم تكن سوى بيدق ورجل خدمات، ولكنها تعرف أيضاً كم أنت مُخادع. لا تعرف الآن إن كان يجدر بها أن تصدقك، وإن صدقت برينهيلدور كل شيء تقوله فلمَ علينا نحن أن نصدقك بحق الجحيم؟».

في تلك اللحظة سمعا صوتاً من الردهة، وكأن أحداً يحاول بصعوبة أن يجر شيئاً ثقيلاً على الأرض، لم يتغير شيء على وجه فيلكس، ولكن فلوفينت ذهب ليتحقق من الأمر. تفاجأ عندما رأى رجلاً يرتدي ثوباً سميكاً يحاول أن يجر نفسه إلى المكتب على عكازين وبدا أنه يتألم. إنه رودولف لاندين.

51

عندما عرض فلوفينت على رودولف المساعدة طلب منه أن يبتعد. تفاجأ برؤية الشرطي في منزله وسأله عما يفعله هنا، فأجابه أنه كان يتحدث إلى ابنه. دفع رودولف نفسه إلى الأمام.

«ماذا قلت؟».

«ابنك فيلكس، إنه في المكتب، لقد أتى ليتحدث إليك».

حدق إليه رودولف وكأنه لم يستوعب ما سمعه، ثم أبعد فلوفينت مجدّداً وعانى في التوجه إلى مكتبه، ونظر إلى ابنه نظرة غضب وكان الشرر يتطاير من عينيه. وضع نفسه على كرسيه المتحرك وألقى عكازيه وأدار كرسيه ليواجه فيلكس الذي وقف خلف مكتب والده.

سأل رودولف بغضب شديد: «ماذا تفعل هنا؟ ماذا تريد بحق الجحيم؟».

قال فيلكس بهدوء وبدا معتاداً على نبرة والده ولم يعد يزعجه الأمر: «أتيت لأراك، أريد أن أقول لك...».

قاطعه رودولف وقال: «لا، ليس لديّ شيء لأقوله لك، لا شيء». نظر إلى فلوفينت وأمر فيلكس: «اذهب معه، اذهب وواجه تهمك، وحاول أن تتصرف كرجل ولو لمرة واحدة في حياتك».

قال فيلكس: «أردت أن أقول لك إنني لم أقتل إيفيندور، أردتك أن تعرف هذا مني شخصياً».

«ليس هناك جدوى من سماع أي كلمة تقولها، لم يكن هناك جدوى من الأساس. اخرج من هنا، اخرجا من هنا الآن».

هـم رودولـف ليجر كرسـيه المتحرك إلـى الردهة ولكن فيلكس اعترض طريقـه، ولـم يتحـرك فلوفينـت لأنه لـم يرد التدخل بينهمـا. رأى هاتفاً فتوجه صوبـه وفكّـر فـي أن يتصـل ليحظـى ببعض الدعـم. ركّز فيلكـس على والده وأمسك بذراعي الكرسي المتحرك وهزه بقوة فكاد أن يرتفع عن الأرض.

صرخ وقال: «اسمعني، اسمعني ولو لمرة في حياتك، ثم سينتهي الأمر».

فتح رودولف فمه ونظر إلى ابنه مذهولاً.

قـال فيلكـس: «لـم أقتل أحداً، يهمني أن تعرف هذا، سـيحاولون إلصاق التهمة بي وسيتفوهون بكل الأكاذيب التي ستدينني، ولكنني لم أقتل إيفيندور. أريدك أن تعرف هذا».

عبس رودولف في وجه فيلكس الآن وعاد الشرر يتطاير من عينيه، صرخ وقال: «اخرج».

ظل فيلكس ممسكاً بذراعي الكرسي ووقف وكأنه يُخيّم فوق والده.

«الرجل الذي أطلق النار على إيفيندور أرسلته الاستخبارات في مستشفى ليبيـر. لقـد أرسـلته قـوات الاحتلال وأنا مقتنع بهـذا. أراد أن يقتلني وهذا أمر بديهي. إنه يلاحقني لأنني تماديت كثيراً، أعرف أنني مخطئ وقد ارتكبت خطأ وضعني نصب عينيّ قاتل مأجور».

نجح فيلكس في أن يسكت والده.

«لقـد عملـت علـى إرسـال المعلومات للألمان منـذ أن عدت إلى الديار مـن الدنمـارك. كان علـيّ أن أفعـل ذلك، حين اقترح هانس عليّ هذا الأمر... لـم أتـوانَ عـن القيـام بـه، ولم يتطلب الأمر سـوى اقتراح عمـي هانس. كانوا يثقـون بـي تمامـاً وزودونـي بشـيفرة سـرية وجهـاز إرسـال صغير أخفـوه هنا قبيـل الحـرب. أرسـلت إليهـم أموراً محدودة عن تحـركات جيش الاحتلال، فنصحوني بأن أعمل تاجراً جوالاً كي أستطيع السفر لأجمع المعلومات من دون أن أثير الشـبهات. وذات مسـاء بعد أن أرسـلت إليهم تقريراً كانت هناك

رسـالة تنتظرني في المنزل، لـم تكن الرسـالة مختومة ويبدو أن أحدهم دفعها من تحت الباب. قيل لي أن أذهب إلى مكان معين في وقت محدّد وسيكون هنـاك رسـالة تنتظرنـي هنـاك. فعلت مـا أُملي عليّ وعثـرت على مغلف، كان يحـوي ورقـة مكتوبـة بآلة طباعة عن عملية بناء لميناء خاص بالسـفن الكبيرة في هفالفيوردور ووضع حدّ للغواصات. كان الأمر بهذه البساطة والوضوح. لقد نقلت هذه المعلومة، وكان عليّ العودة إلى الموقع نفسـه بشـكل دوري لأتحقـق إن كان هنالـك رسـائل جديـدة من المصدر. أحيانـاً كنت أجد مغلفاً وأحيانـاً لـم أجد شـيئاً. انتابني الفضول وشـرعت أراقـب المكان لأعرف من يضع تلك الرسائل. بالطبع، لم أخبر أحداً فالأمر كان في غاية السرية. وذات يوم رأيته وتبعته إلى مكان عمله. ذهب إلى مستشفى ليبير وهذا كان له معنى واحد: الاستخبارات البريطانية».

سأل فلوفينت: «هل كان يعمل لصالح البريطانيين؟».

«فكـرت فـي احتماليـن: إمـا أن يكون الألمان قـد زرعوه هناك أو أنه قرر أن يعتنق النازية»، وأرخى فيلكس قبضته عن الكرسـي المتحرك. «لا بد أنني أثرت أحداً حين تبعت مصدري، لأنني لم أعِ شيئاً بعدها سوى إيفيندور وهو يسبح في بركة من الدم في شـقتي. أدركت أنني ضيّعت مفتاحي، ولكنني لم أعرف أنه بحوزة إيفيندور إلا عندما رأيته ممدّداً في الشقة. لم أعرف ما الذي أراده مني، واعتقدتُ أن للأمر علاقة بتلك التجارب التي كنتَ تقوم بها. لعله ظـن أننـي أتصـرف بخبث، فقـد كان ينعتني بالنازي كلمـا التقيت به في إقليم المضايق، لقد أهنته، وأخبرته عن تلك التجارب، ربما كان يبحث عن دليل أو كان يخطط لسرقتي، لا أعرف، كل ما أعرفه أنه حُكم عليه بالموت لحظة فتحه باب شـقتي. هربت، لأنني أعرف أن إيفيندور لم يكن يعني لهم شـيئاً، وكِنت أعرف أنني المُستهدف. لقد تماديت كثيراً وكانت الرصاصة تستهدفني».

انحنـى فيلكـس فـوق والـده الـذي لا يزال يُحدق إليه مـن دون أن يتفوه

بأي حرف. أمسك فلوفينت بسماعة الهاتف واتصل برقم مركز الشرطة في بوسثوستريتي وانتظر أن يجيب عليه أحد.

تابع فيلكس: «كانت عادة إيفيندور أن يتورط بمثل هذه المواقف، لا أعرف... لقد سمعت أن صديقته الحميمة هجرته لصالح جندي بريطاني. ربما اعتقد إيفيندور أن بوسعه أن يكسب ودّها مجدّداً إذا حصل على بعض المال، ولعله أرسل لك تلك الرسالة واقتحم منزلي بهذا الدافع».

قاطعه رودولف بعد أن استجمع قواه: «من كان ذلك الرجل؟ الرجل الذي كان يزودك بالمعلومات».

أخيراً، أجاب أحدهم على الهاتف في مركز الشرطة، فطلب فلوفينت دعماً إلى منزل رودولف، وقال إن الوضع خطر وأمر الشرطي المناوب أن يسرع. بعد أن أغلق السماعة مشى إلى نهاية الغرفة وأغلق باب المكتب ووقف أمامه.

قال فيلكس: «هذا غير مهم».

«هل بدأت تشك في أنكما لم تكونا في الطرف ذاته؟».

لم يجب فيلكس.

سأل رودولف: «ماذا فعلت يا فيلكس؟».

«لا شيء».

«ماذا فعلت؟».

لم يجب فيلكس.

«أعرفك حق المعرفة، لم تستطع أن تقاوم ألا تتصل به أليس كذلك؟ ماذا قلت؟ ماذا قلت له؟ لماذا اضطر إلى أن يتخلص منك؟».

تنهد فيلكس وقال: «أعتقد أن كل قسم الاستخبارات كان وراء هذا الأمر.

أعتقد أنهم أرادوا أن يظهروا الأمر وكأنه مجرد إرسال رسالة إلى جواسيس آخرين بأن عليهم أن يتوقعوا المصير ذاته».

«أجبني ماذا قلت لذلك الرجل؟».

تردّد فيلكس وبدا أنه لا يعرف كيف يتابع الحديث. بدا وكأنه تشتت ولم يتابع ما كان يقوله، وكأن كل شيء سبق له أن قاله سيتعارض مع ما سيقوله لاحقاً. تردّد عندما طالبه والده بالإجابة على اتهاماته وأن يكف عن التمثيل والكذب والحقائق المنقوصة، وأنه اكتفى من الغمامة فوق عينيه.

صرخ رودولف في ابنه وقال: «ماذا قلت له؟ لماذا أجريت هذا الاتصال؟ لماذا أصررت أن تعرف من هو؟».

ردّ فيلكس بوجهه وقال: «لماذا أنت غاضب إلى هذه الدرجة؟ أخبرني، لم تكرهني إلى هذا الحدّ؟».

«ماذا قلت له يا فيلكس؟».

«لقد قمت بهذا بنفسك... هل نسيت أنك من علمني التلصّص... لقد حثثتني على أن أتجسّس على الفتيان الآخرين وأنقل الأخبار إليك وأن أتظاهر بأنني صديقهم لأخبرك بكل ما أعرفه... لقد كنت أنت من...»

«لا أتحمل مسؤولية ما فعلته».

قال فيلكس وهو يرفع صوته: «يا إلهي، لطالما كنت على حق أليس كذلك؟ لم أستطع أن أفعل أي شيء... لم أستطع أن أرضيك يوماً، مهما أفعل ومهما أبذل من جهد، لقد حاولت أن أكسب... رضاك... أخبرتك عن الفتيان وريكي وأنت... لن... أنا أثير اشمئزازك... ولكنك أنت من... استغلني... لقد استغللتني...»

تابع رودولف من دون رحمة: «لماذا أقمت هذا الاتصال يا فيلكس؟ هل كنت تريد استغلاله؟ هل هدّدته أنك ستفضحه؟ هل أردت المال أو أردت أن تظهر وكأنك شخص مهم؟».

رأى فلوفينت أنوار مصابيح السيارات حين عبرت الشرطة مرأب السيارات.

قال رودولف: «ما كان يجدر بك أن تقول شيئاً».

أشاح فيلكس بوجهه وقال: «لا تعتقد...»

همس رودولف وقال: «لم تقل شيئاً، أليس كذلك؟».

التزم فيلكس الصمت.

«لقد أدى اتصالك به إلى إثارة انتباهه، أليس كذلك؟ لا بد أنه شعر بالتهديد وخشي أن تكشفه، لذا أرسل رجلاً إلى شقتك وانتظرك كي يقتلك، ولكنه قتل إيفيندور بدلاً منك».

قال فيلكس: «لا أعرف... لقد جرى الأمر بشكل كارثي...»

قاطعهما فلوفينت وسأل: «من هو؟ من هو هذا المصدر؟».

قال فيلكس: «كان هذا تصرفاً طفولياً مني بالطبع، إن الأمر وما فيه... هو أنني شكّكت في أنه لم يكن... أقصد أنه كشف وكانت جماعة الاستخبارات تستخدمه لإرسال معلومات تعمدوا أن يكون بعضها غير صحيح. كذلك الأمر المتعلق بحاجز الغواصات في هفايتنز؛ لم يكن الحاجز في المكان الذي قالوا عنه تماماً، تحققت من ذلك، وكانت هناك أمثلة أخرى وأمور مغلوطة صغيرة يمكن أن تكون مهمة. لذا تساءلت عما يجري، وفكّرت في أنني كنت مجرد بيدق وكان يديرني، أي أننا كنا في الصف ذاته على الأقل. أردت أن أحذّره من الأمور المغلوطة فراقبته كي أرى إن كان بوسعي أن أصل إليه. لم يستغرق وقتاً طويلاً ليكتشف الأمر، فاعتقدت أنه كان سيقتلني. لقد كان غاضباً للغاية، وأدرك أن اللعبة انتهت، وأنني كنت أعرض حياتينا للخطر، كان علينا أن نوقف ما كنا نفعله».

توقف فيلكس وحدق إلى والده.

«في تلك اللحظة أدركت كم أسأت الفهم. بالطبع لم يكونوا يستخدمونه

هو كي يرسل أموراً مغلوطة بل أنا. لقد... اكتشفت ذلك فجأة، اكتشفت أنني توصلت إلى الحقيقة. لقد كنت غبياً لعيناً، ولذلك لم يسمحوا لي أن أتحرك كما أريد. إن آخر تقرير أرسلته كان عن تشرشل، وأنه لن يتوقف هنا، وهذا يعني أنه كان سيأتي في الواقع لأنهم كانوا يزودونني بالأكاذيب طوال هذا الوقت».

«فيلكس...»

«لا بد أنهم قرروا أن يتخلصوا مني قبل أن أرسل تقريري التالي وأُحذر الألمان من أن كل المعلومات التي كنت أرسلها لا قيمة لها، فكان ردهم سريعاً للغاية، و... عاجلاً للغاية. هذا هو التفسير الوحيد الذي استطعت التوصل إليه، ولم أجرؤ على التوجه إلى جهاز الإرسال لأنني واثق من أنهم يراقبونه...»

طرق أحدهم الباب الأمامي، وكان فلوفينت على وشك أن يذهب ويفتح الباب ولكنه توقف؛ لقد ركنت سيارة ثانية في الخارج.

«لا بد أن أحداً ما قد خانني لصالح البريطانيين وقرروا أن يستخدموني لإرسال المعلومات المغلوطة. لا بد أن الفاعل كان شخصاً من الاستخبارات الألمانية يعمل مع البريطانيين، وأنه قال لهم إنني كنت أتجسّس لصالح الألمان في آيسلندا. يخشى البريطانيون أن أكشف تنكره ولكن ليس لديّ فكرة عن هويته، كل ما أعرفه أنه موجود».

قال رودولف: «فيلكس، لا...»

«لن أدعهم يقبضون عليّ».

«لا تفعل شيئاً أحمق يا فيلكس، لا يمكنك الفرار، حاول أن تكون عقلانياً».

قال فيلكس: «سيرسلونني إلى بريطانيا وسيعدمونني، وسينتهي أمري».

نظر إلى والده بتوسل شديد ورأى فلوفينت أنه كان على وشك الانهيار.

كرر وقال: «أريدك أن تعرف أنني لم أقتل إيفيندور». انحنى ليهمس شيئاً لوالده أو لعله انحنى ليودعه، ولم يستطع فلوفينت أن يعرف ماذا قال. رفع رودولف ذراعيه في تمنع ووجهه يفضح غضبه وازدراءه، فاستقام فيلكس في الحال وقال شيئاً بصوت منخفض، لم يستطع فلوفينت أن يفهمه. أدار ظهره للأب والابن واتجه إلى الردهة ليتيح لزملائه الدخول، وكان اثنان منهم بالفعل قد توجّها إلى الباب الخلفي. كان على وشك أن يشير إليهما بالذهاب لفتح الباب الأمامي لباقي العناصر حين سمع صرخة أسى من رودولف.

«فيلكس! فيلكس! ماذا تفعل؟».

ظن فلوفينت أن فيلكس قد آذى والده فأسرع لنجدة رودولف ولكنه رأى حينها فيلكس وهو يهوي على الأرض.

صرخ رودولف: «ماء! اجلب ماء! بحق الله! اذهب واجلب الماء ودعه يشربه! فيلكس! فيلكس! ابصقها، أعطه الماء، فيلكس! لا تفعل هذا يا فيلكس!»

حاول أن ينهض عن كرسيه المتحرك، ولكنه سقط مجدّداً وراقب بعجز ابنه وهو يتلوى على الأرض.

صدرت حشرجة من فيلكس وظهرت رغوة على زاويتي فمه وسالت على وجنتيه. كان يصرخ من الألم وعيناه تلتفان، ورأسه يتحرك يميناً وشمالاً، وقفصه الصدري يتشنج بشكل عنيف. خفت التشنجات تدريجياً إلى أن تمدّد على الأرض من دون حراك وقد فارقت الروح جسده وتحولت صرخات الألم إلى صمت. تمدّد بهدوء على الأرض وهو ينظر إلى والده بعينيه اللامعتين.

52

انزلقت السيارة على الطريق الحصوي خارج مكان فيرا للغسيل وتوقفت في غمامة من الغبار قريباً من الجدار، فأمسك ثورسون بسلاحه وقفز خارجاً من السيارة. لم يسبق له أن استخدم سلاحه إلا في تمارين التصويب، ولطالما تساءل عن الوقت الذي سيضطر فيه أن يطلق النار في الحقيقة.

حمل سلاحه على جانبه وركض إلى الباب الخلفي، وحين دار حول المنزل رأى غسيلاً أبيض معلقاً على الحبال وكان يتطاير برفق في النسيم. كان باب مكان الغسيل مفتوحاً كعادته، وفي الضوء الخافت المتسرب لاحظ ثورسون أن الغسيل لم يكن نظيفاً بالكامل مع أنه قد عُلق كي يجف.

صرخ وهو يقف قرب الحبال: «فيرا! فيرا، هل أنتِ هنا؟».

لم يسمع جواباً.

صرخ: «بيلي! بيلي ويغينز!»

أحكم قبضته على سلاحه، وكان على وشك أن يشق طريقه إلى المنزل دون أن يتأكد مما كان ينتظره هناك، حين رأى صفوف الشراشف البيضاء المعلقة على الحبال. لم يكن هناك شك في الموضوع: كانت الشراشف ملطخة، إما لأن الغسالة فشلت في إزالة اللطخات وإما أن شيئاً اصطدم بالشراشف بعد أن عُلقت لتجف.

اقترب ثورسون أكثر وحين أمسك بأحد الشراشف رأى عليه لطخات داكنة. اندفع إلى الأمام بين صفوف الشراشف وتأكد من أن هناك شيئاً قد

ارتطم بها، وتوقع الأسوأ بالفعل بحلول الوقت الذي رأى فيه فيرا ممدّدة على الأرض.

أبعد الغسيل جانباً ورأى أنها سقطت على شرشف وأسقطته معها، وتمدّدت في كومة من القماش الأبيض الملطخ بالدم. كان الدم يسيل من رأسها، وبدا أن هناك جرحاً آخر في ذراعها وجرحاً ثالثاً في صدرها؛ من الواضح أنها حاولت الهرب ولكنها تعثرت بالغسيل إلى أن سقطت على الأرض وقد فارقت الروح جسدها.

سمع ثورسون صوتاً خلفه فاستدار ليرى بيلي ويغينز يخرج مترنحاً من مكان الغسيل ويحدق إليه حاملاً مسدساً في يده، ولم يكن ثورسون جاهزاً ليرى هذا. التقت أعينهما ولبرهة بدا الأمر وكأن ويغينز على وشك أن يشهر سلاحه، ولكنه أبعده جانباً إشارة إلى الاستسلام.

تلعثم وقال بعد أن نظر إلى المكان الذي تمدّدت فيه فيرا: «لم أقصد... لقد كان... إنها... لم أقصد...»

53

كان اللقاء بين ثورسون وقائده الكولونيل فرانكلن ويبستير مختصراً؛ لقد أقسم ثورسون على أن يلتزم الصمت، وتعاملا أولاً مع الحادثة التي تضمنت بيلي ويغينز.

قال الكولونيل ويبستير: «هذا مؤسف للغاية».

كانت هناك كلمات أخرى لا تُعد ولا تُحصى يمكن لثورسون أن يستخدمها لوصف قدر فيرا ولكنه اختار ألا يُعلّق.

قال الكولونيل: «أفهم أن الدافع كان الغيرة، وكانت هذه جريمة شرف».

قال ثورسون: «يبدو أنها بدأت مواعدة جندي أميركي».

كرر ويبستير: «مؤسف للغاية» فأخبره ثورسون أن الرقيب ويغينز ينتظر ترحيله إلى بريطانيا.

قال ويبستير حين لاحظ أنه ليس هناك داع لتضييع وقت على ذلك الأمر: «نعم، بالطبع، وفي أي حال، لقد حظيت بعدة اجتماعات مع صديقينا في مستشفى ليبير»، وأردف: «وعلى الرغم من أنهما كانا مضيافين إلا أنهما لم يكشفا عن أمور كثيرة، وبالطبع علينا احترام فكرة أنهما لا يستطيعان أن يكشفا تحركاتهما علناً. لم يكن لديهما خيار سوى أن يتخلصا من الرجل، وكانت لديهما أسبابهما. وعلى الرغم من أن الأمور قد ساءت كثيراً، لم يكن هناك داع لمتابعة الأمر. يبدو أن الرجل الذي اختير لتطبيق الإعدام كان من فريق بالانتاين وقد غادر البلاد. إن إهماله يقع على عاتق بالانتاين وحسب، وآمل أن يتعلم غراهام من هذا».

قال ثورسون: «نعم يا سيدي، أفهم أن الاستخبارات كانت جاهزة للتدخل في تحقيقنا عند الضرورة».

«هناك أمور أخرى على المحك يا ثورسون، مع أنهما لم يخبراني بشكل مباشر ولكنهما لمّحا إلى أنهما ردعا فضح عملية تجسّس مضاد كبير في القارة، لقد فعلا المستحيل لحماية شعبهما، وكان فيلكس هذا سيفسد كثيراً من المخططات. قيل لي إنه كان مبتدئاً وهاوياً».

«نعم، يبدو أنه لم يحظَ بتدريب كافٍ مع أنه اكتشف أنه استخدم لنقل معلومات مغلوطة، وكان يريد أن يحذرهم».

«نعم، يستحق المدح على هذا».

«سمعت أنه زود بمعلومات بخصوص تحركات تشرشل».

قال ويبستير: «بالطبع، إن تلك المعلومات سرية ولا تعنينا. يقولان إن تحركاتهما كانت على وشك أن تكشف وعلينا أن نثق بكلمتهما في هذا. لم يكن لديهما متسع من الوقت لذا تحركا بسرعة، ولكن كان بوسعهما أن يخططا للإعدام بطريقة أفضل».

«هذا أكيد».

«ولكن هذه التضحية الضرورية لا تعني كثيراً حين ترى الصورة الأكبر؛ لقد وافقت الحكومة الآيسلندية على أن يعتبر الأمر سراً عسكرياً. لا علاقة لهم بالأمر في جميع الأحوال: الآيسلنديون ليسوا طرفاً في هذه الحرب».

لم يرَ ثورسون جدوى من الجدال.

بعد الاجتماع ذهب ثورسون ليتحدث إلى فلوفينت الذي كان يجلس في مكتبه في فريكيركيوفيغور. ومع أنه أقسم على السرية اعتقد ثورسون أن لا ضير في إخبار زميله الآيسلندي بما سمعه من الكولونيل ويبستير.

أطلق سراح برينهيلدور ولم يُعطَ أي تفسير رسمي عن موت فيلكس؛ عُدّ انتحاره مأساة عائلية. وعثر فلوفينت على جهاز الإرسال الذي كان يستخدمه

في كوخ رودولف الصيفي على شاطئ ماسليشيشترند.

سأل فلوفينت بعد أن تناقشا في القضية مجدّداً: «وإيفيندور؟». لقد تناقشا فيها مراراً وتكراراً في الأيام الأخيرة كما أنهما كانا يعلقان عند السؤال نفسه في كل مرة.

قال ثورسون: «هناك حرب قائمة».

سأل فلوفينت: «هل هذا عذر كافٍ؟».

«ستبقى القضية مفتوحة بشكل رسمي مهما يحصل، أعتقد أنه لا يوجد شيء يوقف شخصاً عن كشف الحقيقة بمجرد انتهاء الحرب».

سأل فلوفينت: «وماذا عن الصليب المعقوف على جبهته؟».

رفع ثورسون كتفيه وقال: «لا أعرف كيف تعمل عقول أولئك الناس».

قال فلوفينت بازدراء: «تضحية ضرورية؟».

فلم يقل ثورسون شيئاً.

قال فلوفينت: «أتساءل إن كانوا أكثر توتراً من العادة في مستشفى ليبير بسبب الزيارة».

«الزيارة؟».

«يبدو أنه في طريقه إلى هنا».



54

اجتمع حشد كبير في لوغافيغور؛ كان الرجال يعتمرون قبعات، والنساء يرتدين معاطف أو سترات فوق أثوابهن الصيفية الخفيفة، أما الأطفال فكانوا يركضون من الشارع وإليه، فأبعدهم رجال الشرطة برفق وأرشدوهم إلى الرصيف وطلبوا منهم البقاء هناك والتصرف بأدب. لوّح بعض الأشخاص بأعلام الاتحاد ولوّح آخرون بأعلام آيسلندا، وبدا الجو وكأنه أول أيام الصيف الذي يحتفلون فيه بانتهاء الشتاء. جاب الجنود البريطانيون الحشد متيقظين، وأفادت شائعة أنه سيسلك هذا الشارع في طريقه إلى البرلمان، فانتظر الناس لساعات ليلقوا نظرة على هذا الرجل العظيم.

ركضت امرأة تبلغ من العمر عشرين عاماً على الطريق من المنطقة المحجوبة، ووجدت نفسها في مكان ذي أفضلية عند ناصية كلابارستيغور. كانت ترتدي معطفاً قصيراً وتعتمر قبعة جميلة وتحمل بين ذراعيها طفلة تبلغ من العمر سنتين، كانت تعدل قبعة الطفلة الصيفية حين سمعت تمتمة من آخر الشارع، وعرفت أن شيئاً سيحدث.

غمرتها الحماسة عندما رأت السيارة أمام الموكب، ولوّح الناس الذين يقفون أمامها بأعلامهم بشكل هستيري وتعالت الهتافات حين تقدمت المركبات وتحركت أخيراً بالقرب منهم. تجرأت المرأة ووقفت على الطريق وحملت الطفلة كي لا يفوتها شيء، وحين مرّ الموكب رأت رجلاً سميناً مدوّر الوجه يضع قبعة عسكرية على رأسه وينحني إلى الأمام في إحدى السيارات. ابتسمت ولوّحت له فلوّح لها بدوره، والتقت أعينهما لبرهة قبل أن تتابع السيارات طريقها في لوغافيغور وتتوارى عن الأنظار.

المكان ريكيافيك

الزمان، آب 1941.

الموضوع: العثور على بائع متجول مقتولاً برصاصة من مسدس كولت 0.45.

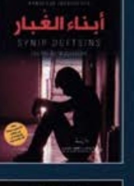
في ظل الفوضى التي تترافق مع تسليم الأميركيين السلطة الميدانية في آيسلندا للبريطانيين، ومع كثرة الجنود الذين يجوبون الشوارع من الجيشين، والذين تشكّل علاقاتهم مع النساء المحليات مصدر قلق كبير، يُعثر على جثة. في البداية، تشتبه الشرطة بأحد جنود الحلفاء خاصة وأن المسدس المستعمل في الجريمة يتسلح به الجنود الأميركيون.

ينضم المحقق فلوفينت، وهو المحقق الوحيد الذي لم يكن يتابع أي ملفات في الوقت الحالي، إلى ثورسون، وهو من رجال الشرطة العسكرية. ويركزان تحقيقاتهما على عائلة الطبيب الألماني رودولف وابنه المختفي فيلكس الذي يُظن أنه يعمل جاسوساً.

كل ذلك يحصل في ظل شائعات تفيد عن زيارة محتملة لتشرشل إلى آيسلندا. ومع ظهور أدلة على تجارب مشكوك فيها أُجريت على تلاميذ آيسلنديين في ثلاثينيات القرن الماضي، يُصبح ثورسون متشككاً بشكل متزايد في الدور الذي أدّته صديقة الرجل المقتول فيرا وعشيقها البريطاني.

صدر أيضاً للمؤلف:



























الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com





ISBN: 978-614-01-3611-3